رحلات في أمريكا الجنوبية

(غيانا وسورينام)

مشاهدات وأحاديث عن المسلمين

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي ، محمد بن ناصر

رحلات في امريكا الجنوبية : غيانا وسورينام .ـــ الرياض.

... ص ؛ .. سم

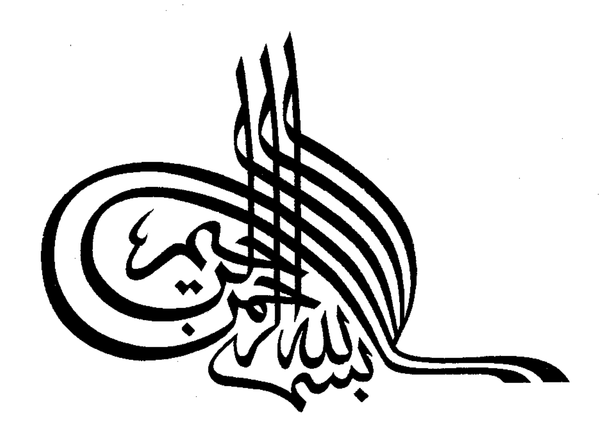
ردمك ٨-٤١١-٣٤-٩٩٦٠

١ - أدب الرحلات ٢ - الاسلام في أمريكا الجنوبية ٣ - سورينام - وصف رحلات ٤ - سورينام - وصف رحلات أ - العنوان

ديوي ٩١٨ ١٨/٢١٤٠

رقم الإيداع : ١٨/٢١٤٠

ردمك : ٨-٤١١-٣٤-٩٩٦٠





المؤلف في سطور

- ولد في مدينة بريدة عاصمة منطقة القصيم عام ١٩٣٠م.

- تعلم في مدارسها، وتلقى العلم على يد عدد كبير من علمائها ومشايخها، وكان من الملازمين للشيخ عبد الله بن حميد - رحمه الله - أحد كبار علماء المملكة العربية السعودية، ورئيس المجلس الأعلى للقضاء، وسافر معه إلى مكة المكرمة عندما انتدب لإنهاء القضايا المتأخرة في محاكمها، ورغم ما يتمتع به من علم شرعي إلا أن ميله نحو الأدب طغى على كتاباته، ويعتبر من رواد أدب الرحلات في المملكة العربية السعودية، ساعده على ذلك ما يتمتع به من ذاكرة قوية، وملاحظة دقيقة، وصبر على تجميع المعلومات وتوثيقها، وقد بلغ عدد كتبه في الرحلات (١٢٤) كتاباً، طبع منها (٥٢) كتاباً، والباقية لا تزال مخطوطة، وتعتبر كتبه مرجعاً علمياً بالإضافة إلى النكهة الأدبية الرفيعة التي تبرز فيها، فهو ذو أسلوب رشيق سلس.

- حائز على ميدالية الاستحقاق في الأدب عام ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

- شغل وظائف رئيسية، منها: مدير المعهد العلمي في بريدة، من عام

١٣٧٣هـ إلى عام ١٣٨٠هـ، ثم انتقل إلى وظيفة الأمين العام للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة عندما افتتحت، وكان من الموظفين المؤسسين للجامعة، وذلك لمدة ثلاث عشرة سنة.

- عين بعدها وكيلاً للجامعة الإسلامية لمدة سنة واحدة.

- ثم نقل إلى وظيفة الأمين العام للدعوة الإسلامية برتبة وكيل وزارة (المرتبة الخامسة عشرة)، وبقي فيها ثماني سنوات.

- ثم اختير أميناً عاماً مساعداً لرابطة العالم الإسلامي بالمرتبة الممتازة.

- له بحوث عديدة، واشترك في عشرات المؤتمرات الإسلامية والأدبية.

- عضو في عدة هيئات، ومؤسسات علمية وأدبية؛ مثل رابطة الأدب الإسلامي، والجمعية الجغرافية السعودية، والنادي الأدبي في القصيم، ونادي الرياض الأدبي.

- عضو عامل في عديد من اللجان الحكومية، منها: لجنة الوكلاء، واللجنة التحضيرية للدعوة، ولجنة تقويم أم القرى... إلخ.



بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

براءة
تكريم الأدباء السعوديين

يسر وزير المعارف والرئيس الأعلى لجامعة الملك عبد العزيز - بناء على الصلاحيات المخولة له وبناء على المادة التاسعة والعشرين من نظام الجامعة وبعد الاطلاع على محضر مجلس الجامعة الثالث المنعقد بتاريخ ٥ / ٣ / ١٣٩٤ والمبني على توصيات اللجنة الفنية المنبثقة عن المؤتمر الأول للأدباء السعوديين لتكريم الأدباء.

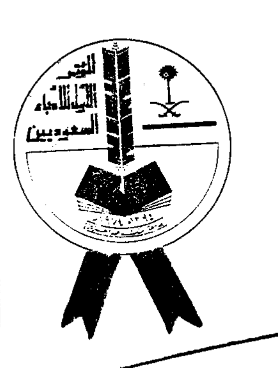
أن يمنح السيد / محمد بن ناصر العبودي ميدالية الاستحقاق تكريماً لجهوده وإنتاجه الفكري

والله ولي التوفيق.

صدرت بمكة المكرمة في ٥ / ٢ / ١٣٩٤هـ
الموافق ٢٨/ ٣ /١٩٧٤م

مدير الجامعة

وزير المعارف
والرئيس الأعلى للجامعة



مؤلفاته المطبوعة في الرحلات

(١) في إفريقية الخضراء مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - بيروت دار الثقافة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢) رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا -الرياض دار العلوم ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين - الرياض النادي الأدبي١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٤)جولة في جزائر البحر الزنجي أوحديث عن الإسلام والمسلمين وجزر المحيط الهندي - الرياض - المطابع الأهلية للأوفست ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

(٥) رحلة إلى سيلان - الرياض - جمعية الثقافة والفنون ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م

(٦) صلة الحديث عن إفريقيا مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - الرياض - دار العلوم ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧) مشاهدات في بلاد العنصريين رحلة إلى جنوب أفريقية وحديث في شؤون المسلمين - بريدة - نادي القصيم الأدبي ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي - مكة المكرمة - نادي مكة الثقافي ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية - الرياض - المؤلف ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠) شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين - الرياض المؤلف ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١) في نيبال بلاد الجبال رحلة وحديث في شؤون المسلمين - الرياض - مطابع الفرزدق ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢) رحلات في أمريكا الوسطى - الرياض - المطابع الأهلية للأوفست ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣) إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي - الرياض المؤلف ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤) على ضفاف الأمازون رحلة في المنطقة الاستوائية والبرازيل - أبها - النادي الأدبي ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٥) على قمم جبال الأنديز - الرياض مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٦) في غرب البرازيل - الرياض - مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧) في بلاد المسلمين المنسيين بخارى وما وراء النهر - طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٨)بقية الحديث عن إفريقية - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام١٤١٢هـ.

(١٩) جولة في جزائر البحر الكاريبي - مطابع الرياض الأهلية للأوفست عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادي - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢١)داخل أسوار الصين (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٢) بلاد الداغستان - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٣) الرحلة الروسية - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ.

(٢٤) مع المسلمين البولنديين - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٥) جمهورية أذربيجان - طبع مطابع الفرزدق الأهلية عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٦) في أعماق الصين الشعبية - نشرته مجلة المنهل.

(٢٧) بين الأرغواي والبارغواي - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٨) بورما الخبر والعيان - طبع بيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩) مقال عن بلاد البنغال - طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٠) ذكريات من يوغسلافيا - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣١) كنت في بلغاريا - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢) في جنوب الصين - طبع رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣)كنت في ألبانيا - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٣٤) ذكرياتي في إفريقيا - محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(٣٥) أيام في النيجر - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦) على أرض القهوة البرازيلية - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٥هـ.

(٣٧) نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكرى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٣٩) من أنقولا إلى الرأس الأخضر - مطابع الفرزدق بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٤٠) سياحة في كشمير - مطابع الفرزدق عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) يوميات آسيا الوسطى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٤٢) نظرة في وسط إفريقية - مطابع الفرزدق عام ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤٣) بلاد القرم - نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) قصة سفر في نيجيريا (مجلدان) - مطابع الفرزدق.

(٤٥) حديث قازاقستان - نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية - نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها

عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) في جنوب الهند من سلسلة الرحلات الهندية - طبع في مطابع الفرزدق التجارية في الرياض.

(٤٨) رحلات في أمريكا الجنوبية: غيانا وسورينام.

(٤٩) إطلالة على أستراليا - طبع في مطابع التقنية للأوفست - الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠) أيام في فيتنام - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١) في غرب الهند - من سلسلة الرحلات الهندية - نشرته رابطة العالم الإسلامي عام ١٤١٧هـ.

(٥٢) إطلالة على موريتانيا - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات

(٥٣) معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات) - نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأفست بالرياض عام ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(٥٤) أخبار أبي العيناء اليمامي - طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(٥٥) الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبد العزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام

١٣٩٨هـ.

(٥٦) كتاب الثقلاء - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(٥٧) نفحات من السكينة القرآنية - طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس - نشرته دار العلوم في الرياض عام ١٤٠٣هـ.

(٥٨) مأثورات شعبية - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(٥٩) سوانح أدبية - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

(٦٠) صور ثقيلة - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

(٦١) العالم الإسلامي والرابطة - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها عام ١٤١٤هـ.



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين الذي هدانا، وأعطانا ما لم يعط مثله سوانا، أعطانا هذا الدين الحنيف، وشرفنا بحمله قبل الأمم، إلى أن انتشر نوره في الأقطار، وتجاوز المعروف من الأمصار، وأصبح دين أمم كثيرة سوّاها بنا وبغيرنا من حملته الأولين؛ لأنه دين المساواة والأخوة بين المؤمنين.

والحمد لله الذي جعلنا من سدنة بيته، وسكنة حرمه، وخدمة شرعه، فجعل إخوتنا المسلمين من سائر الأقطار القصية ينظرون إلينا إذا حزبهم أمر، أو نابهم خطب، أو أرادوا الاستعانة على تحقيق مطلب صعب، يريدون منا أن نشاركهم في الآلام كما شاركناهم في الآمال والأحلام.

والحمد لله الذي بسط لنا أسباب الرزق، وأدرَّ لنا الأرض حتى غدت تجود بما لم تجد به السماء، فكان في ذلك الخير والنماء الذي فاض على الإخوان والجيران فتطلع الإخوة الأبعدون في المكان، وإن لم يكونوا كذلك في المكانة، يشيرون إلينا يحركون الصلة، ويثيرون النخوة، وما هم إلى ذلك بحاجة؛ لأننا لا ننتظر في نصرهم محركاً، وإنما نسعى إلى ذلك قياماً بالواجب، وأداء لشكر النعمة.

فكان الإخوة يخبرون الإخوة، أو هم يعلمون حتى من غير الإخوة ذلك؛ فيغريهم بطلب المزيد الذي نود نحن أن يزيد.

وكان التعاون والتعاضد لا بد له من مقدمة من التعارف والتواصل، وإلاّ كان على غير قاعدة من الواقع، وربما أخطأ الهدف في بعض المواقع التي

شملت القارات، واتسعت لجزر غير معدودة من أية قارة إلا من باب التجاوز لقربها منها رغم انفصالها عنها، مثل مدغشقر، وموريشيوس، ورينيون في بحر الزنج شرق القارة الإفريقية، وترينداد، وجامايكا، وكورساو في بحر الكاريب بين القارتين الأمريكيتين: الجنوبية والشمالية، وجزر فيجي، ونيوزلندا من جزر المحيط الهادئ الجنوبي؛ شرق القارة الأسترالية.

إلا إن بلاد الله واسعة، ومهاجر المسلمين شاسعة، فكان لا بد لمعرفة أحوالهم، والنظر في أعمالهم من مواصلة الترحال، والانتقال من بلاد الجنوب إلى بلاد الشمال، فكان ذلك بفضل من الله، وكان للعبد الضعيف كاتب هذه الحروف شرف القيام ببعض هذه المهام.

وقد صحبه توفيق من الله تعالى أملى عليه أن يقيد ما رآه، أو سمعه في تلك البلاد عن أحوال أولئك العباد؛ حتى اجتمعت له من ذلك مجلدات كثيرة، طبع أكثرها، وربما لا تستطيع ذاكرته الآن أن تحصرها، وكان اولها كتاب: «في إفريقية الخضراء»، الذي تتابعت بعده الكتب تترى، حتى كان منها كتاب في أمريكا الجنوبية، وكان عنوانه: «رحلات في أمريكا الجنوبية».

وكان مبتدأ أمره رحلة إلى فنزويلا بلاد النفط والشط، التي جمعت في البضاعة بين الزراعة والصناعة، وكانت بلاداً نفطية خضراء؛ بخلاف بلاد النفط الأخرى التي أكثرها صحراء.

ثم ثنيت بزيارة لغيانا التي كانت بريطانية، وأصبحت غيانية خالصة لأهلها السود والهنود، ثم البرازيل، والأرجنتين، وتشيلي، وبيرو، والأكوادور.

وبعد فترة من الانصراف عن تلك الأطراف، كانت رحلات عديدة

إلى بقية الأقطار الأمريكية الجنوبية شملتها كلها حتى لم تُبق منها قطراً.

فأصبح الكتاب لثقله يعجز القارئ عن حمله، وربما أصابه الكسل والملل حتى من النظر إليه، كمن يطلب منه دفعة واحدة أن يقطع طريقاً طويلاً إلى هدف يشق عليه الوصول إليه.

فكانت فكرة تقسيمه، أو لنقل فكرة تقويمه إلى كتب تكون أقصر وأخصر، وهي تتناول شؤون البلاد بتفصيل أكثر، حتى أصبح الكتاب كتباً، بعضها طويل مثل: «الحل والرحيل في بلاد البرازيل» الذي يقع في ثلاثة مجلدات، وبعضها متوسط الحجم، وإن لم يكن نَزْرَ العلم، وكانت عنواناتها:

«إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة إلى الأرجنتين وتشيلي»، وقد طبع.

«على قمم جبال الإنديز»، وهو مطبوع.

«الحل والرحيل في بلاد البرازيل»، ولا يزال مخطوطاً.

«الرحلات الفنزويلية»، وهو مخطوط أيضاً.

«بين الأرغواي والباراغواي»، وقد طبع بعد ذلك.

وبقيت بقية من الكلام ألفت هذا الكتاب الذي بقي يحمل الاسم الأصيل؛ كما يحمل الصغير من الأسرة اسم القبيل، وهو: «رحلات في أمريكا الجنوبية: غيانا وسورينام».

وتكون هذه الكتب مع كتب أخرى لي عن أمريكا الجنوبية، وكتابين عن منطقتين متجاورتين هما: أمريكا الوسطى التي طبع عنها

كتاب بهذا العنوان، ومنطقة البحر الكاريبي التي ألفت عنها كتاباً عنوانه: «جولة في جزر البحر الكاريبي» قد أكملت ما تيسرت كتابته من المشاهدات عن تلك الجهات، وقد اعتنت بالحديث عن شؤون المسلمين، وإن لم ينسها ذلك أن تتكلم عن الآخرين، بل لم يمنعها ذلك عن الكلام فيما يزين أو يشين من أفعال أولئك الأمريكيين الجنوبيين.

والذي أرجو، وقد تحدثت عن أصل هذا الكتاب وفصله، أن يجد فيه القارئ الكريم ما يحوز على إعجابه، أو على الأقل ما يرى أن صغير خطئه يغتفر في كثير صوابه.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي

وقفة في ترنداد



يوم السبت ١٤٠٢/٢/٢٣هـ - ١٩٨١/١٢/١٩م:

من كاراكاس إلى بورت أف اسبين:

وصلنا المطار الدولي في كاراكاس عاصمة فنزويلا في الساعة الثانية ظهراً، فودعنا إخواننا الكرام، وغادرنا كاراكاس في الرابعة إلا ربعاً على خطوط ترينداد الجوية المسماة اختصاراً «بيوا» في طائرة من طراز د.س. تسعة النفاث.

كان الركاب أغلبهم من ذوي الأصول الأمريكية والهندية الآسيوية؛ لأنهم من أهل ترينداد الذين هم من السود الإفريقيين، والهنود الآسيويين، وهناك قسم قليل منهم يسمون "الكريول" بمعنى المختلطين، وهم الذين ولدوا ما بين السود والهنود، أو ما بين السود والبيض.

وكان الفرق واضحاً ما بينهم وبين الفنزويليين الذين هم في الأصل لاتينيون اختلط بعضهم بهنود أمريكيين، وأثر الجو الاستوائي أو الشبيه بالاستوائي على ألوانهم، فغدت ألوانهم مائلة إلى السمرة، وبقي الفرق بينهم وبين هؤلاء الترينداديين ظاهراً إذ ترينداد جزيرة رطبة ليس فيها مرتفعات عالية مسكونة؛ بخلاف فنزويلا، لذلك لم يزد الجو سكانها من الهنود الآسيويين إلا سواداً، ولم تتغير ألوان السكان فيها من الإفريقيين الذين كانت شمس إفريقية قد أجهزت على ما كان قد بقي من سمرة ألوانهم منذ قرون، فلم تبق لهذا الجو الأمريكي الجنوبي الشبيه بالاستوائي ما تجهز عليه من بياض.

كان مضيفو الطائرة الترينداديه من ذوي الأصل الأوروبي مع امرأة صينية واحدة؛ رغم كون الأوروبيين والصينيين في ترينداد لا يؤلفون من سكانها إلا عدداً لا يستحق أن يذكر.

وقد استغرق الطيران ساعة كاملة، وكانت إعلانات الطائرة بإنكليزية واضحة؛ لأن البلاد كانت مستعمرة إنكليزية سابقة.

وهذا من الفروق ما بينها وبين الطائرات الفنزويلية تضاف إلى فروق أخرى، منها أن هذه الطائرة الترينيدادية جميع مقاعدها مرقمة، لذلك لم يتراكض الركاب إلى الجلوس فيها، ولم يتزاحموا على ذلك.

وأما ضيافتهم فإنها غير بعيدة من الفنزويلية؛ إذ هي كأس من العصير، وحبات من الفول السوداني المقلي.

في مطار بورت أوف اسبين:

وعندما كانت الطائرة تحلق فوق شاطئ جزيرة ترينداد، كان المنظر هو المنظر المألوف لدي إذْ سبق لي أن زرت ترينداد مرتين، وكتبت عنها فصلاً في كتابي: «جولة في جزائر البحر الكاريبي» المطبوع.

ومن اهم المناظر التلال الخضراء، ومستنقعات المياه التي تختلط فيها مياه النهر العذبة بمياه البحر الملحة. والسفن التي يغص بها ميناء الجزيرة، فهي ذات اقتصاد جيد؛ لأن لديها ناتجاً وفيراً من الغاز، وإنتاجاً قليلاً من النفط.

وبعد ذلك على البر حقول السكر الواسعة التي تشتهر بها الجزيرة.

العذاب في مطار ترينداد:

زرت ترينداد، ونزلت في مطارها هذا الذي هو مطار عاصمتها «بورت أوف اسبين» مرتين، وكانت كلتاهما زيارة رسمية، إن صح التعبير، فكنت أجد أمامي قوماً من أهلها الرسميين، وبعض كبار الموجودين في الجزيرة يستقبلون، فأكون فيما يسمى بصالون الشرف

الذي هو غرفة كبار الزوار، بينما يكونون يسعون في إنهاء الأوراق، وعندما غادرتها في كلتا المرتين، كان الوداع رسمياً أيضاً، فلم أقف في طابور المنتظرين أمام مكاتب الترحيل، وهو أمر لم أكن أرحب به في أكثر أماكن العالم؛ فضلاً عن ان أسعى إليه، لأنني أريد أن أركب كما يركب أي مسافر من المسافرين، حتى أطلع على أحوال القوم في السفر، ومعاملتهم لمواطنيهم ولغيرهم.

وأما في هذه المرة، فلم يكن أحد في استقبالي أنا وزميلي الرائد عبد الله العريفي؛ مع أن إخواني في السفارة السعودية في كاراكاس، وكذلك الأخ حسن فضل المجذوب رئيس المركز الإسلامي في كاراكاس ألحوا في الإبراق لبعض الأشخاص لاستقبالنا في ترينداد، فلم نقبل بذلك. وقلنا لهم: إننا لن نبقى إلا بضع ساعات ربما نستطيع أن نقضيها في قاعة العابرين نغادر بعدها إلى "غيانا".

ولم يفت في عضدنا أن حجزنا ليس مؤكداً؛ لأنهم في وكالة السفر في كاراكاس قالوا: إن هذه عادة من عادات شركة ترينداد ألا تجيب على طلب الحجز بالإيجاب أو الرفض.

وقفنا صفوفاً أمام موظفي الجوازات في المطار، وكان وقوفاً طويلاً لاأدري سببه، إلا البطء في العمل، وقد استغرق ذلك أكثر من ساعة.

وعندما حان دورنا، سألت الضابط عما إذا كنا نستطيع أن نؤكد حجزنا، ونعتبر أنفسنا من العابرين؛ لأننا حجزنا على الطائرة التي من المقرر أن تسافر في التاسعة والنصف، أي بعد حوالي أربع ساعات؟ فأجاب: لا، يجب أن تمروا من الجمرك.

وهكذا مررنا، وأنهينا كل شيء، وأعفينا بسبب الجواز

الدبلوماسي من تفتيشهم الذي كان شديداً على سائر المسافرين.

ولكن البلاء جاء بعد ذلك، إذ ذهبنا نبحث عن مكتب للشركة نؤكد منه حجزنا، فلم نجد، لأن هنا مكاتب للترحيل خاصة بشركة ترينداد عليها حلقات من المراجعين الذين لا يرد عليهم الموظفون.

فلم يكن بد من أن نسأل بعض الموجودين من المسافرين عن الطريقة في تأكيد الحجز، فقالوا: إنه لا توجد طريقة أخرى، وإنما الوسيلة الوحيدة أن تقفوا في هذا الصف الراكد. وكان الصف طويلاً أمام مكاتب الترحيل قبل أن يحين موعد إقلاع الطائرة بثلاث ساعات.

والذين في الصفوف بعضهم نائم على أمتعته، وبعضهم جالس عليها؛ لأنه لا توجد مقاعد في قاعة الترحيل الخاصة بالشركة، وهي ضيقة، والزحام فيها شديد، فوضعنا حقائبنا، ووقفنا حتى مللنا الوقوف، ثم جلسنا على حقائبنا، ثم أخذنا نتناوب حراسة الأمتعة والمحافظة على الدور، فيبقى واحد عند الأمتعة، والآخر يخرج من القاعة ليملأ رئتيه من الهواء.

ولم يكن في تلك القاعة ، ولا ما قرب منها من المطار، مقهاة، ولا مطعم، وإنما يوجد باعة واقفون خارجه يبيعون المشروبات الباردة.

والشيء الذي أتعبنا أكثر ذلك البطء والتردد من الموظفين، فهم لا يكادون يرحلون الشخص إلا بعد لأي، وأخذ ورد وصراخ.

ومضت الساعات الثلاث، ومعها نصف ساعة أخرى، وحان موعد قيام الطائرة، ونحن في الصف لم يصل إلينا الدور لبطء الموظفين وسوء تصرفاتهم.

وأصبنا بخيبة أمل، ولم يسمع أحد أي كلمة منا، فسألنا بعض

الركاب عن الطريقة التي نستطيع أن نسافر بها، فقالوا: حاولوا في طائرة الغد في الساعة التاسعة والنصف مساء، أي بعد أربع وعشرين ساعة.

ومما سهل الأمر علينا أننا رأينا طائفة من المواطنين مثلنا، وبعضهم كان يقف أمام مكتب الترحيل قبلنا بساعتين، أي أنهم ظلوا واقفين، أو جالسين على أمتعتهم امام مكتب الترحيل حتى قامت الطائرة وتركتهم.

واستقر كلام كل من سألناه منهم على أن الوسيلة الوحيدة للسفر هي التبكير غداً، والوقوف في الصف، وإلا فإنه لا سبيل إلى الحجز إلى غيانا، وبالتحديد لمدينة "جورج تاون" عاصمة غيانا المجاورة.

وقد أصبح الجمهور هم المصدر الوحيد لهذه المعلومات الهامة بالنسبة إلينا، لأن الموظفين في الشركة لا يجيبون على السؤال لكثرة أسئلة الناس، ولكسلهم هم، أو لأمنهم من الحساب على المسؤولية؟ لا أدري. و(من أمن العقاب أساء الأدب).

الدخول إلى ترينداد:

واضطررنا مرغمين على الإقامة في ترينداد أربعاً وعشرين ساعة، والذي أهمنا أننا لا نضمن السفر مع ذلك، فربما يحصل لنا غداً ما حصل اليوم، فقد أخبرني بعض الركاب أنهم لبثوا هكذا ثلاثة أيام.

وذكرت قدومي إلى هذه المدينة «بورت أوف اسبين» في المرتين السالفتين، وعرفت أن الاستقبال الرسمي لا يعطي صورة واضحة عما يفعله الموظفون بسائر الناس.

فاستأجرنا سيارة أجرة، وسألنا عدة فنادق واحداً بعد الآخر عن

غرفتين خاليتين، فلم نجد إلا في فندق «هولدي إن» الذي أعطانا غرفتين كل واحدة بخمسة وسبعين دولاراً أمريكياً، وكنا على حالة من التعب، فحاولنا النوم، فلم نستطع؛ لأن الفندق كان قد نظم حفلة راقصة على انغام موسيقى صاخبة منكرة؛ ما بين موسيقى الجاز الأمريكية، وما بين الموسيقى المحلية ذات اللون الإفريقي الاستوائي، ودام هذا الإزعاج إلى الثانية بعد منصف الليل، وذلك بزعمهم لكون غدٍ هو الأحد، وهو من أيام عيد الميلاد.

وكان إفطار الفندق في الصباح غالياً بلغت قيمته تسعة دولارات أمريكية، وهو غير نظيف تحوم عليه أعداد من الذباب ذات الصوت الرنان، وكان استقبال من في المطعم بوجوههم العابسة غير النضرة أشد على النفس من ذلك.

يوم الأحد ١٤٠٢/٢/٢٤هـ - ١٩٨١/١٢/٢٠م:

مع المسؤولين عن الدعوة الإسلامية:

لن أطيل الحديث عن الدعوة الإسلامية، والقائمين عليها في تريند اد، فقد أو ضحت ذلك في كتاب «جولة في جزائر البحر الكاريبي» الذي تم طبعه.

وإنما أقول هنا: إننا اتصلنا هذا اليوم ببعض المسؤولين عن الدعوة الإسلامية، فحضروا إلينا، وزرنا بعض المؤسسات والجمعيات الإسلامية، ومنها جمعية « قلد» للتبليغ.

واتصلنا بطائفة من الإخوة القائمين عليها، وبالدعاة المبتعثين من بلادنا للدعوة إلى الله في هذه البلاد، ثم قضينا جزءاً من النهار في بيت

الأخ الكريم (قولشير محمد شكري جمعة).

وكان الحر شديداً جداً في وسط النهار، والرطوبة بالغة، إلا أن بيته كان مريحاً؛ فيه غرفة مزودة بآلات تكييف الهواء، وطعمنا عنده الغداء؛ من صنع زوجته العربية اليمانية التي كان قد تزوج بها عندما كان يتلقى العلم في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.



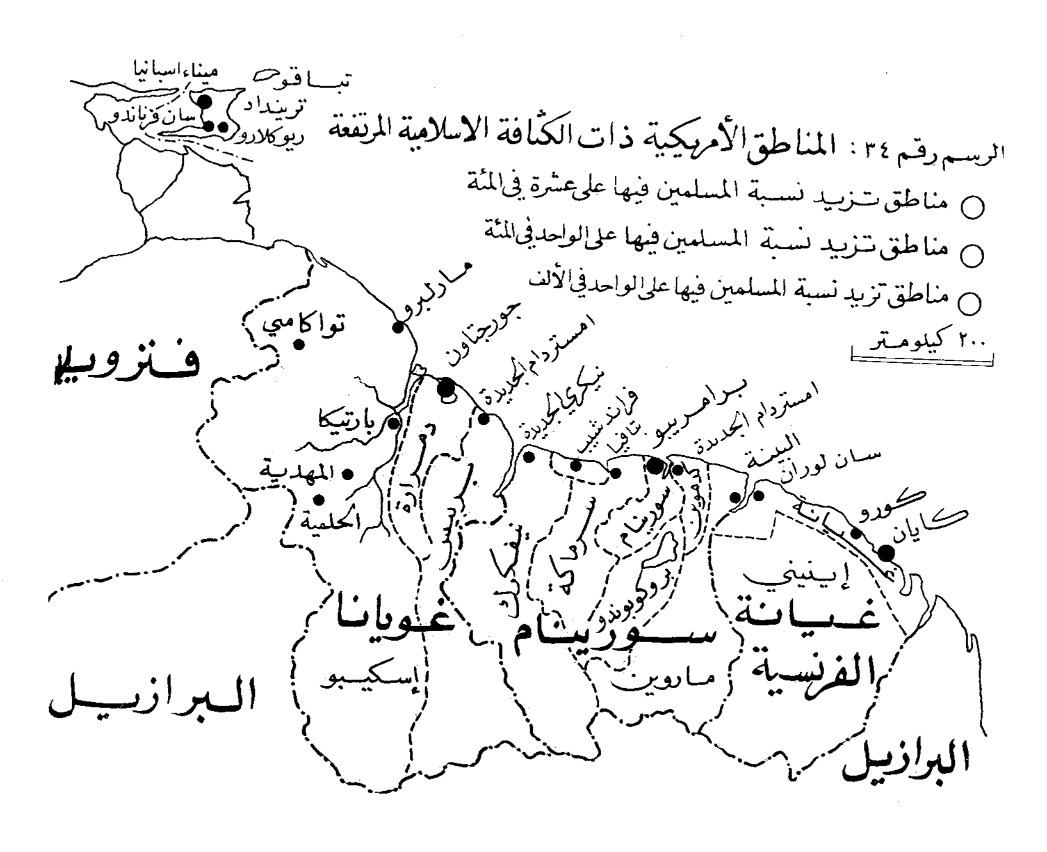
الفصل الأول

جمهورية غيانا

موقع غيانا من القارة الأمريكية الجنوبية

المناطق الأمريكية ذات الكثافة الإسلامية المرتفعة:

◎ مناطق تزيد نسبة المسلمين فيها على عشرة في المئة
◎ مناطق تزيد نسبة المسلمين فيها على الواحد في المئة
◎ مناطق تزيد نسبة المسلمين فيها على الواحد في الألف



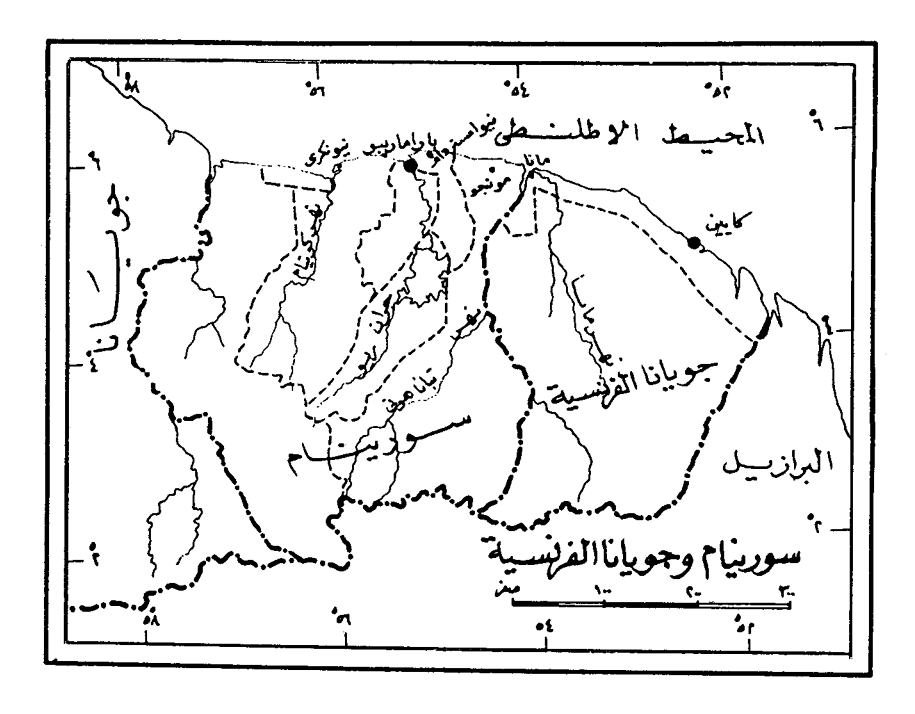
جمهورية غيانا هي إحدى غيانيات ثلاث متجاورة كانت كل واحدة منها تضاف إلى الدولة التي تستعمرها، أولها «غيانا» هذه التي تتجه إليها رحلتنا الآن، وعاصمتها جورج تاون، وكانت تسمى غيانا البريطانية، وعندما استقلت اقتصر اسمها على لفظة «غيانا» غير مضافة لا إلى بريطانيا، ولا إلى غيرها.

الثانية: وهي التي تجاورها من جهة الجنوب، كانت تسمى غيانا الهولندية، وعاصمتها باراماريبو، ولكن أهلها أسموها قبيل الاستقلال: (سورينام)، وقطعو كل أثر لتسميتها الاستعمارية: غيانا الهولندية.

الثالثة: غيانا الفرنسية التي عاصمتها قايين، وتقع إلى الجنوب من سورينام، وكانت تسمى في زمن الاستعمار غيانا الفرنسية؛ إلا أنها استمر اسمها «غيانا الفرنسية» مع العلم بأنها لم تعد من الناحية القانونية مستعمرة، وإنما هي أرض فرنسية فيما وراء البحار، طبقاً لرغبات شعبها الذي وافق على ذلك في تصويت حر.

وكانت الغيانيات الثلاث قبل الاستعمار الغربي أرضاً واحدة تقطنها مجموعات بشرية من سكان أمريكا الجنوبية الأصلاء؛ الذين يسميهم الأوروبيون بالهنود، مع أنه ليست لهم علاقة بالهند الآسيوية ولا بأهلها، ولكن الآوربيين وصلوا إليها بدافع البحث عن طريق إلى الهند جهة الغرب أقصر وأكثر أمناً من الطريق الشرقي الطويل إلى الهند الذي كان لا بد له من أن يدور حول رأس الرجاء الصالح قبل أن تشق قناة السويس، فلما وصل المكتشفون الأوائل منهم إلى البحر الكاريبي سموا الجزر التي فيه: «جزر الهند الغربية»، وسموا اهلها بالهنود.

مع أن هذه الجزر هي واقعة في البحر الكاريبي، وبينها وبين الهند أبعد مما بين الهند وأوربا، ولا تزال تلك الجزر تحتفظ بهذا الاسم: جزائر الهند الغربية.



سورينام وغيانا الفرنسية

الغيانيات

وقد تنازع المستعمرون الأوروبيون على الغيانيات الثلاث، وقد كان أول من احتل أرض (غيانا) بنية الاستعمار والاستملاك الإسبانيون؛ حيث استولت عليها إسبانيا في عام ١٥٨١م، ثم نازعها عليها الهولنديون، واحتلوها في عام ١٦١٦م، وفي عام ١٦٤٣م شاركهم الفرنسيون في حكم

أجزاء منها.

وظل الشقاق والنزاع على اغتنام هذه الفريسة محتدماً بين المستعمرين المذكورين، واستمر لمدة طويلة، حتى تم الاتفاق بينهم على اقتسامها في عام ١٨١٤م على أن يكون القسم الجنوبي منها لفرنسا باسم غيانا الفرنسية، والذي بعده من جهة الشمال لهولندا، وجمهورية غيانا هذه التي عاصمتها الآن (جورج تاون) لبريطانيا.

وضمت إسبانيا جزءاً من أرض غيانا وشعبها إلى فنزويلا، وهو جزء لا تزال جمهورية غيانا الحالية تطالب به، ولكنها أضعف من أن تنال منه شيئاً.

وحصلت جمهورية (غيانا) على استقلالها عن بريطانيا في عام ١٩٦٦م برئاسة أول رئيس لجمهوريتها الدكتور (فورس بورنهام).



رئيس غويانا: (بورنهام)

وتقع (غيانا) في الشمال الشرقي من القارة الأمريكية الجنوبية، وتبلغ مساحتها ٢١٤,٩٧٠ كيلو متر مربع.

وتحدها البرازيل من الجنوب والغرب، وفنزويلا من الشمال الغربي، وسورينام من الجنوب الشرقي، والمحيط الأطلسي من الشمال الشرقي، وينقسم سطح أرضها إلى قسمين هما السهول والمرتفعات، والسهول هي الغالبة على أكثر البلاد؛ إذ تمتد في أراضي البلاد الشمالية والشرقية والجنوبية.

بل إن المستنقعات تغطي مساحات من الأرض في جهة السواحل الشمالية الشرقية، أما المرتفعات، وتحتل ربع مساحة البلاد، فإنها تمتد بامتداد الحدود الجنوبية الغربية.

ومناخ البلاد حار ممطر طول العام. ولذلك هي كثيرة الأنهار والمياه، حتى إن نهر سكيبو فيه جزر تزيد على عدد أيام السنة؛ بعضها من السعة بحيث تصل إلى سعة دولة باربادس في البحر الكاريبي.

وهذا النهر العظيم هو نهر واحد من عدة أنهار في البلاد كما سيأتي الكلام عنه في اليوميات.

ولذلك استوحى سكانها القدماء تسميتها من هذا المعنى، وهو (غيانا)، أو (غويانا) الذي يدل في لغتهم على الأرض الكثيرة المياه.

وحتى بالنسبة لمسافة الأرض فإنها واسعة جداً بالنسبة إلى عدد سكانها الذين يقدرون بمليون ومائتي نسمة؛ يسكنون في البلاد التي تبلغ سعتها: ٢١٤,٩٧٠ كيلو متراً مربعاً، أي أنها تزيد على مساحة لبنان بإحدى وعشرين مرة، على حين أن سكانها أقل من نصف عدد سكان لبنان.

السكان:

ينقسم سكان (غيانا) من حيث العنصر إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

الأول: الهنود الآسيويون، وتبلغ نسبتهم فيها: ٥٥٪.

الثاني: الأفارقة السود، ويبلغون: ٤٠٪.

الثالث: الهنود الأمريكيون الذين هم السكان الأصلاء، وتبلغ نسبتهم الآن فيها حوالي: ٥٪.

وكانوا هم سكنة البلاد قبل وصول الأوروبيين لا يشاركهم فيها غيرهم، ولم يكن عددهم كثيفاً فيها.

وعندما زاحمهم العنصران الأولان لحقت جماعات منهم إخوانهم، في فنزويلا المجاورة، وعاشوا معهم في أدغالها الاستوائية، والشبيهة بالاستوائية.

وسبب مجيء الهنود الآسيويين هو أن البريطانيين الذين كانوا يحتلون الهند، ويعتبرون أهلها من رعاياهم احتاجوا إلى عمال مهرة، وموظفين يشغلون الأعمال التي لا يقوم بها البريطانيون لكون عددهم كان قليلاً، فسهلوا لأهل الهند أن يأتوا للبلاد بعقود عمل مغرية، وبخاصة أن يعملوا في زراعة قصب السكر، فجاءت أعداد منهم كبيرة؛ بعضهم رجع إلى البلاد، وبعضهم بقي في غيانا حتى الآن.

أما الأفارقة الذين هم السود، وتسميتهم بالأفارقة بالنظر إلى أصولهم القديمة، وإلا فإنهم الآن لا علاقة لهم بإفريقية، فإنهم جلبوا عبيداً أرقاء في الأصل للعمل في الأعمال الشاقة في البلاد قبل اختراع الآلات الكبيرة التي تستعمل في زراعة الأرض، وشق القنوات، ثم تحرروا

وبقوا فيها.

اللغة:

اللغة الغالبة في غيانا هي الإنكليزية لغة المستعمرين السابقين، ويفهمها الجميع، وهي لغة التعليم، ولغة الدواوين الرسمية والشركات.

وتعتبر (غيانا) الدولة الوحيدة في قارة أمريكا الجنوبية كلها التي تتكلم الإنكليزية، لأن أغلب أقطارها تتكلم الإسبانية، ما عدا البرازيل التي يتكلم الناس فيها البرتغالية، وغيانا الفرنسية بالفرنسي طبعاً، و(سورينام) لغتها الهولندية؛ لغة المستعمرين السابقين.

ولذلك لا يزال يوجد من يتكلم الإسبانية من سكانها بحكم الصلات القديمة بإسبانيا التي كادت تتمحي الآن، ولكن الصلات بالجوار في القارة، وبخاصة مع فنزويلا المجاورة قد أبقت على شيء من الإسبانية في البلاد.

الإمكانات الاقتصادية:

إمكانات الاقتصاد في غيانا جيدة، وتعتمد على إنتاج الذهب، والماس، والبوكسيت (خام الألمنيوم) التي تعتبر من الدول الرئيسية لتصديره في العالم، وهناك محصولات زراعية جيدة مثل البن، والمطاط، والأرز، وتصدر منها الشيء الكثير، كما تعتبر دولة غنية في الخشب الصلب، وفيها ثروة حيوانية جيدة.

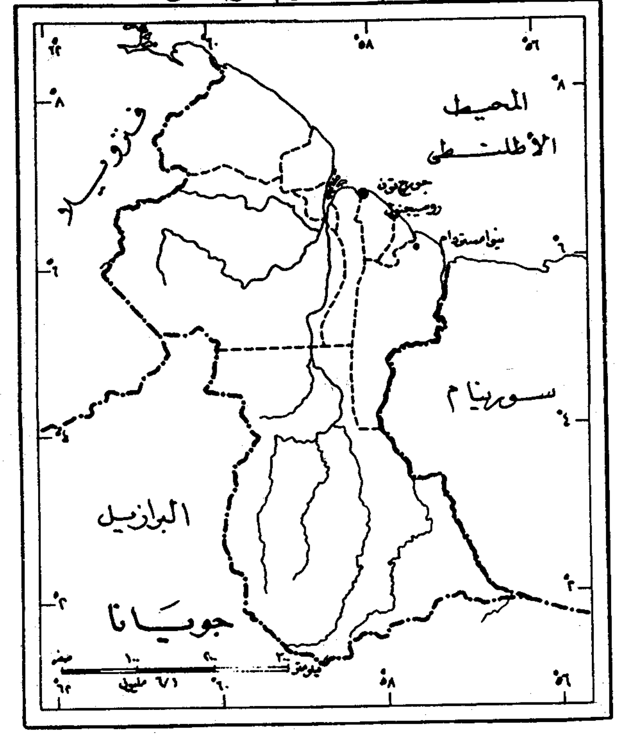
وفي غيانا بعض المصنوعات المحلية، كما أن المنتوجات من الحمضيات، والسكر، والتجارة تلعب دوراً كبيراً في الاقتصاد.

وتستخدم البلاد (الدولار) الغياني عملة محلية.

ولكن السياسة الاشتراكية التي اتبعتها حكومة البلاد نكاية بأمريكا التي تؤيد فنزويلا في الخلاف مع غيانا على الأراضي قد أضرت بالبلاد؛ بل حولتها إلى دولة فقيرة كما ستأتي شواهد ذلك في اليوميات.

وأهم المدن في البلاد هي العاصمة (جورج تاون) التي يقطنها نحو ثلث السكان، وتعتبر المدينة الرئيسة للمواصلات البرية، والجوية، والبحرية.

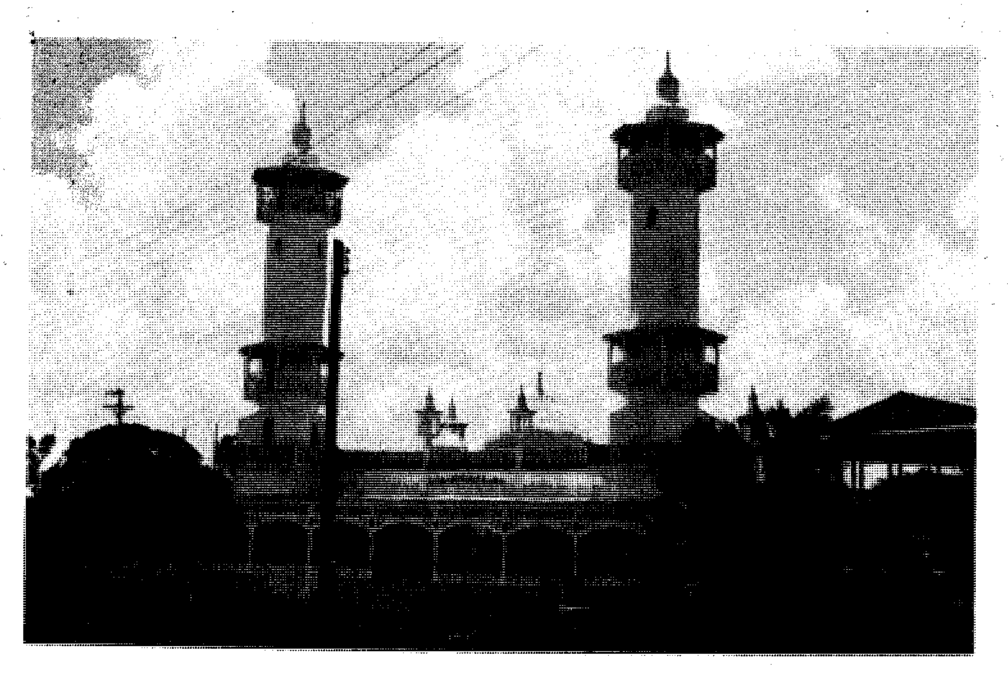
ومدينة (مكنزي) الداخلية، والتي تقع بالقرب من العاصمة، وإلى الجنوب منها، وفيها مناجم خام الألمنيوم، وبعض الصناعات الأخرى.



غيانا

المسلمون في غيانا:

يعتقد أن أول المسلمين دخولاً إلى غيانا هم إخواننا الأفارقة الذين جلبهم المستعمرون عبيداً أرقاء إليها، ولكنهم لم يؤسسوا جمعيات إسلامية، ولا تنظيمات قانونية، كما كانت حياتهم حافلة بالمآسي، فلم تكن لهم حرية في مثل هذه الأمور، وقد انقطعت صلتهم بالإسلام والمسلمين في بلادهم الأصيلة، لذلك ذابوا في السكان، ولم يعد يعرف لهم انتماء إلى الإسلام.



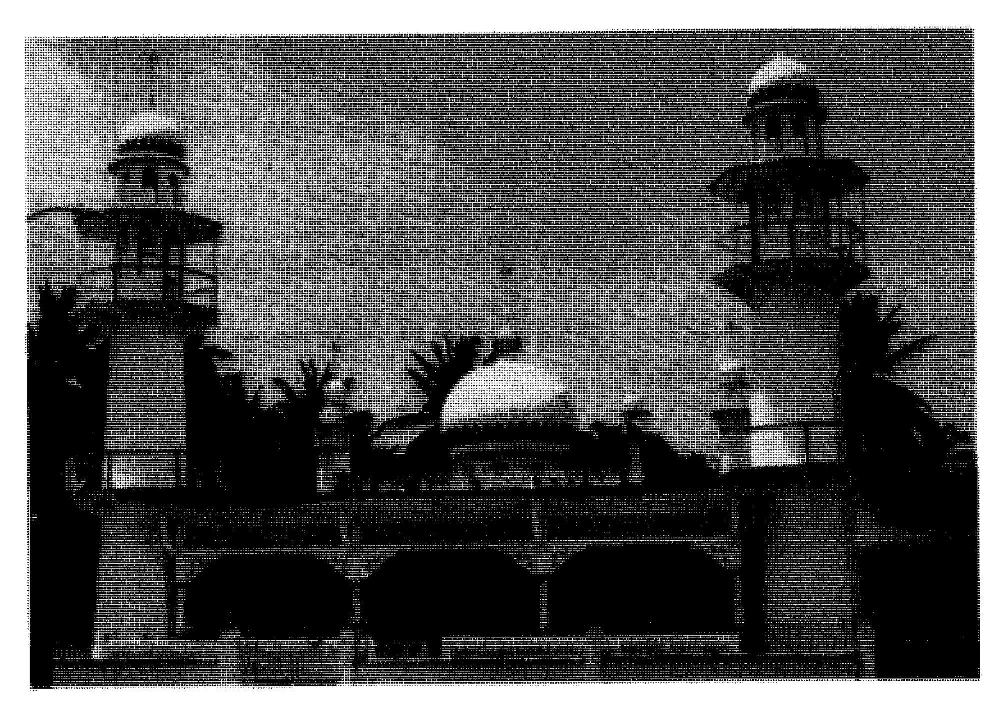
مسجد القرية رقم (٧٨) في بربيس في غيانا

ثم جاءت الدفعة القوية من المسلمين عندما أصبحت بريطانيا تسيطر على (غيانا)، فأحضرت عمالاً وموظفين من اهل الهند، كانت فيهم نسبة من المسلمين الذين نشطوا في مهجرهم (غيانا) كما هي عادة الإخوة المسلمين من أهل الهند، في أي مكان حلوا فيه من العالم، فقد

تعودنا منهم الحرص على دينهم، وعدم ترك أولادهم للضياع والذوبان في المجتمعات الكافرة، فكان أن باشر هؤلاء الإخوة بعد أن استقروا في البلاد مدداً جعلتهم يحسون أنها ستكون دار إقامة لهم بإنشاء الجمعيات الإسلامية إلا أنها كانت في أول الأمر صغيرة متفرقة.

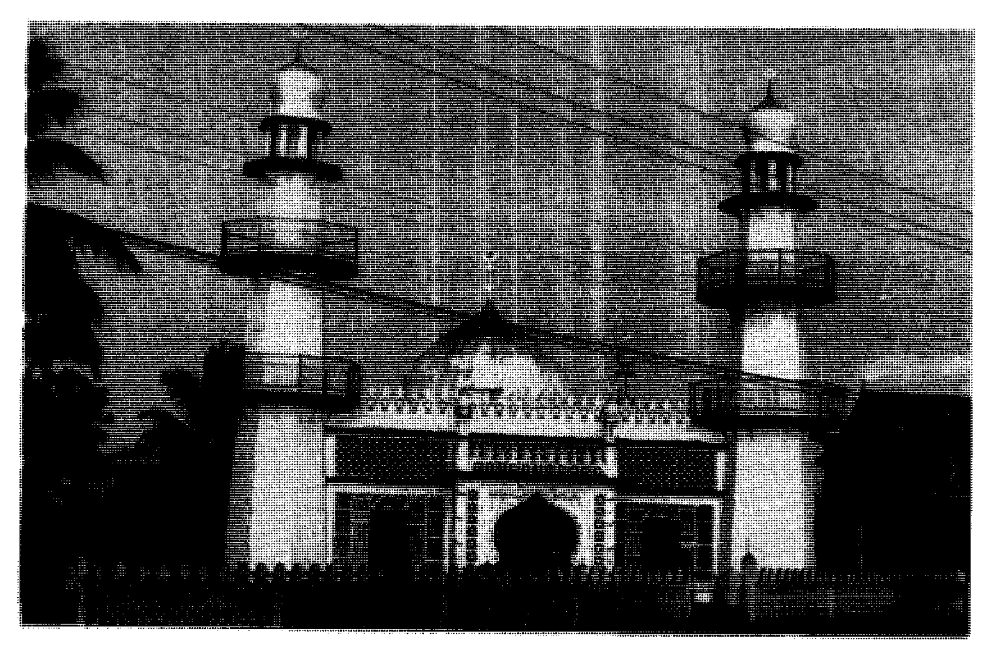
وفي عام ١٩٣٦م اجتمعت الجمعيات الإسلامية في جمعية واحدة كبيرة باسم (إنجمان صدر الإسلام الموحد). ومعنى إنجمان بالأوردية جمعية. واعترفت الحكومة بأنها تمثل المسلمين في قانونها الذي صدر في عام ١٩٦١م، وكانت آنذاك أكبر جمعية إسلامية في غيانا.

ثم حصلت خلافات وانقسامات بين أعضائها، أرجعها بعض الناس إلى اتباع بعض قادتها اتجاهات سياسية.



مسجد غابة وندسوز في ضفة داميريرا الغربية

وكان أكبر الانشقاق بين أعضائها هو ما حصل بين محمد نصير، وبين يعقوب علي؛ حيث وصل الخلاف بينهما على زعامة الجمعية وتمثيل المسلمين إلى الحاكم، واستمر زمناً ليس بالقصير، وقد دعا ذلك بعض المسلمين إلى تأليف المزيد من الجمعيات الإسلامية.



مسجد قرية كوتون تري (شجرة القطن)

وهذا بيان بالجمعيات الموجودة في غيانا:

١- الجمعية المركزية الإسلامية:

وتتمتع حالياً بكثرة أتباعها من الجماعات المسلمة، ومن جمعيات المساجد التي تتعاون معها، ويرأسها الأخ فضيل محمد فيروز الذي سيأتي الكلام عليه مطولاً في اليوميات، ويعتبر شخصية إسلامية عالمية؛ إذ هو عضو في الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية في الكويت،

وهو ممثل الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية.



الأخ فضيل فيروز على يمينه المؤلف وعلى يساره الرائد عبد الله العريفي

وقد نص دستور الجمعية على عدم التورط في الأمور السياسية، وعدم التدخل في سياسة الدولة الخاصة.

٢- وقف غيانا الإسلامي.

٣- جمعية إنجمان صدر الإسلام الموحد، وهي الجمعية الكبيرة العريقة التي مضت على إنشائها خمسون سنة؛ بل تزيد، وتتبعها جماعات عدة من الجماعات القائمة على المساجد.

٤- مجلس غيانا للأخوة الإسلامية، وله نشاط ملحوظ في نشر الكتب الإسلامية.



لافتة مركز الأخوّة الإسلامية في جورج تاون (غيانا)

٥- جمعية شباب غويانا الإسلامية.

٦- جمعية يريس الإسلامية سنة أنجمان.

٧- جمعية جماعة التبليغ.

٨- جمعية أنجمان حفظة الإسلامية.

٩- جمعية إرشاد الواعظين الإسلامية.

١٠- جماعة علماء الدين.

١١- الأنصار.

١٢- المجاهدون.

١٣- الصندوق الإسلامي للفقراء.

١٤- مسجد محمد الجمعية العالمية للإسلام الغربي.

١٥- جمعية الطلبة للدعوة الإسلامية.



داخل مسجد الجامع في جورج تاون

النشاط الإسلامي:

يؤلف المسلمون في (غيانا) ١٥٪ من السكان الذين يبلغ عددهم مليوناً ومائتي ألف نسمة، ولكن نشاطهم الأسلامي أكبر من ذلك بكثير.

ويتمثل أكثر نشاط المسلمين في إنشاء المساجد وعمارتها، حتى بلغ عدد المساجد فيها ١٦٧ مسجداً شاهدت منها عشرات المساجد، وتكلمت على بعضها.



انصراف المصلين بعد صلاة عيد الفطر بمسجد الجامع في جورج تاون

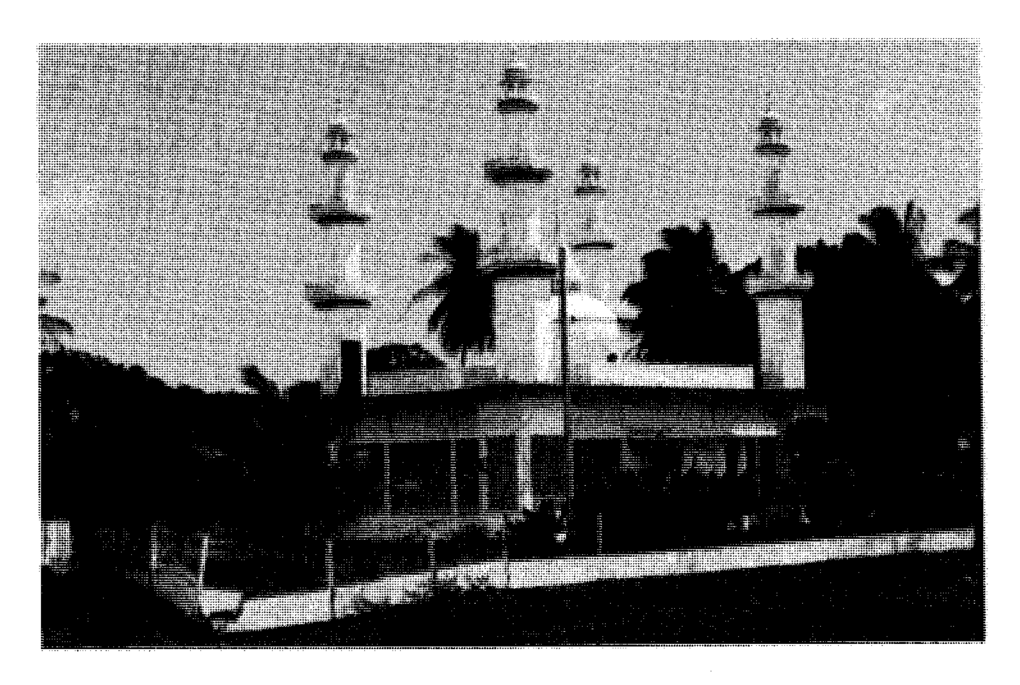
ولا يقتصر بناء المساجد على العاصمة؛ بل يتعداها إلى القرى والأرياف؛ حتى الطرق التي يسلكها مسلمون قد تبنى فيها مساجد صغيرة لكي يصلي فيها المسلمون الذين يمرون من ذلك الطريق، وقد رأيت بعضها، وصليت فيه.

كما يتمثل نشاط المسلمين في إنشاء المدارس والكتاتيب، ونشر الكتب الإسلامية، وترجماتها إلى الإنكليزية؛ لغة البلاد العامة.

قلت في عدة مناسبات: إن الإخوة المسلمين من اهل الهند هم أنشط

المسلمين في أمورهم الدينية في مهاجرهم، وأقول: إن أهل غيانا هم انشط أهل الهند المهاجرين في هذا المجال.

ولو لم يكن هناك شاهد لما ذكرته إلا كثرة المساجد فيها التي يبلغ عددها ١٦٧ مسجداً لكفى دليلاً على ذلك.



مسجد في ريف غيانا في القرية رقم (٧٠)

ولولا ما شاب النشاط الإسلامي من خلاف بين القائمين على الجمعيات الإسلامية، ذكر بعض الناس له أسباباً، وذكر آخرون أسباباً أكثرها حب الزعامة والظهور لحكم المرؤ بأنهم أعظم أقلية مسلمة في العالم عملاً لدينهم لا يقارنهم أو يقاربهم في ذلك إلا الإخوة المسلمون في جمهورية جنوب إفريقية.

ويتمتع المسلمون في غيانا بالحرية الدينية التامة، وبالعمل الإسلامي

الذي لا يحده شيء إلا شيء يأتي من قبل المسلمين أنفسهم، ولهم الحقوق المشروعة ما لسائر المواطنين المسيحيين وغيرهم.

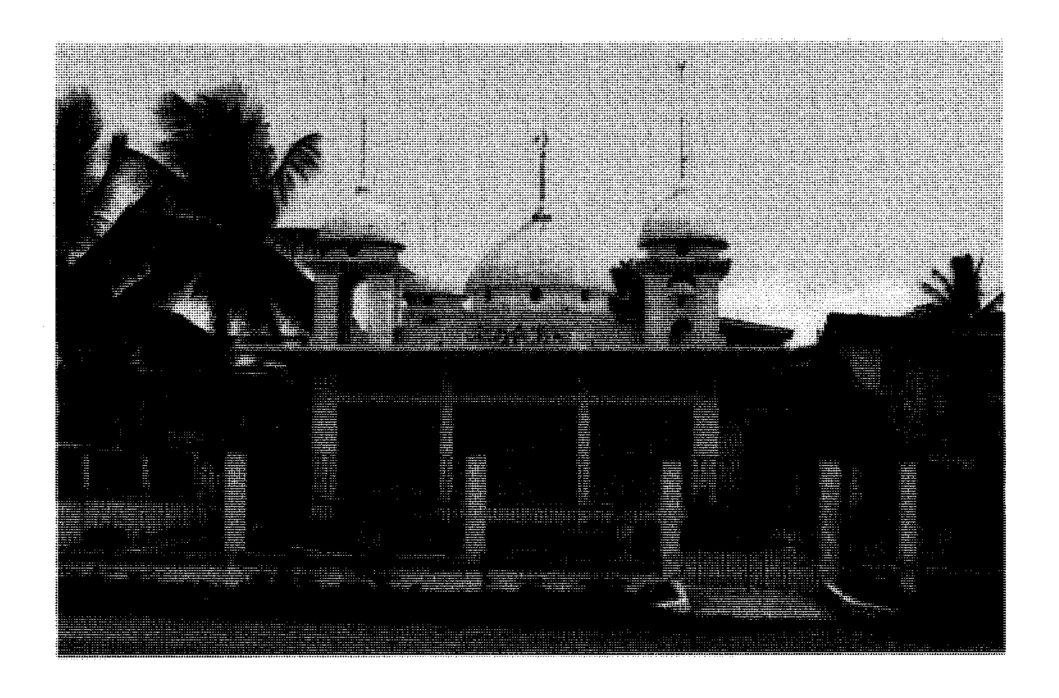
وتمنح الحكومة للمسلمين عطلة تسميها العطلة الوطنية يوم عيد الأضحى، ويوم مولد النبي ﷺ، كما يسمح للعمال المسلمين بترك العمل وقت صلاة الجمعة، والذهاب لأدائها في الجوامع.

المسلمون من أصل إفريقي:

أكثر الجمعيات الإسلامية المشهورة في غيانا، بل أكثر العمل الإسلامي النشط يقوم به الإخوة المسلمون من أصل هندي آسيوي، أما المسلمون من أصل إفريقي فإن عددهم قليل جداً إذا قورن بعدد المسلمين الهنود، لأن المسلمين الأوائل منهم الذين يقال: إن أولهم وصل إلى هذه البلاد الغيانية عام ١٨٦٠م، وأعلن أنه مسلم، فإنهم قد ذابوا، ولم يبق لهم وجود معروف كما تقدم.

وقد عاد فريق منهم إلى الإسلام عن طريق الدعاة في (غيانا)، وفي الولايات المتحدة الأمريكية، ولهم جمعية واحدة كبيرة في العاصمة لها عدة فروع في خارج العاصمة.

وقد زرت جمعية المسلمين من أصل إفريقي، وسوف يأتي الكلام عليها في اليوميات بإذن الله.



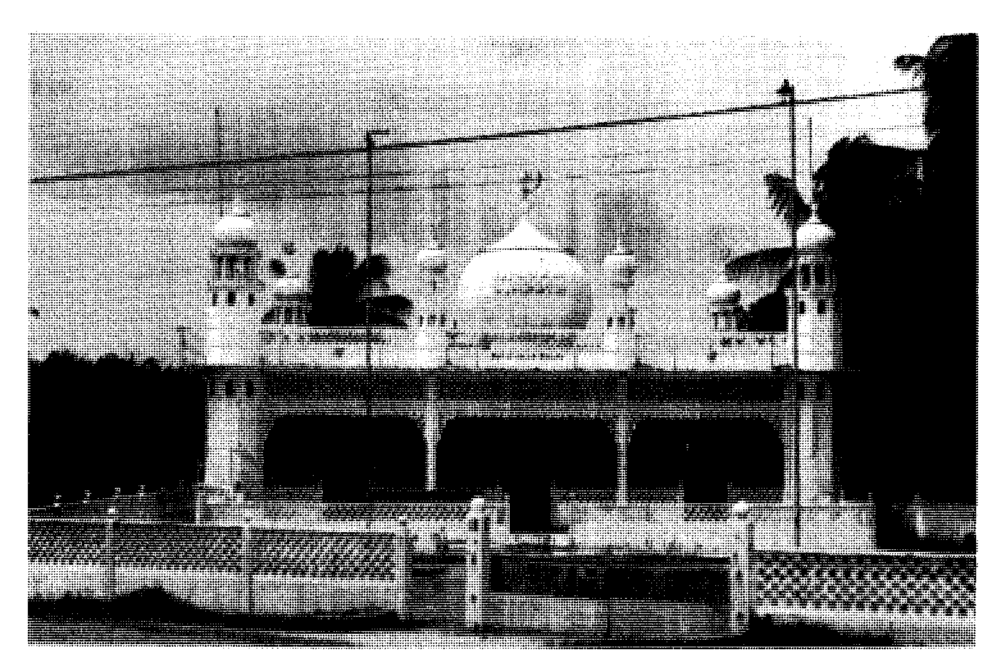
مسجد شارع ساندي باي في كيتي في غيانا

الأديان الأخرى في غيانا:

أكبر الأديان في غيانا الهندوكية؛ لأن أكثرية الهنود الآسيويين فيها هم من أهل الهند الذين قدموا إلى هذه البلاد إبان الاستعمار الإنكليزي الذي كان يحكم الهند أيضاً، وذلك بحكم كون الهنادك لهم الأغلبية بين سكان الهند كما هو ظاهر.

إلا أن الهندوكية ليست ديناً واحداً محدداً، وإنما هي مجموعة مذاهب متفرقة يجمعها الطابع الوثني المتمثل في كثرة عدد الآلهة، وكثرة تماثيلها، حتى إن الهندوكيين يقدسون حيوانات، وزواحف، مثل البقرة معبودهم الأكثر عدداً، ومثل القرد (هانومان) الذي شيدوا له معبداً ضخماً في مدينة لكنهو عاصمة ولاية أترا برديش بمعنى الولاية

الشمالية، وللقرد هذا عيد في السنة، تعطل فيه جميع الدوائر الرسمية في الولاية، ويذهب المتدينون من أهلها إلى معابد القرد، وقد شاهدت معبده الكبير في مدينة لكنهو، ووصفته في كتاب: ((شمال الهند)) من سلسلة الرحلات الهندية. ولكن الهندوكية ليست دين دعوة، لذلك قلما يدخل إليها ناس من غير أهلها، إلا من أفلسوا في دياناتهم، مثل أفراد من الأوروبيين، والأمريكيين الذين يبحثون عن الغريب بالنسبة إليهم.



مسجد النجاح في ساحل دميريرا الشرقي في غيانا

ويعتنق الهندوكية الأكثرية النسبية من السكان، ولذلك كان حكام البلاد في عهد الاستعمار من الهنادكة؛ غير أن الوضع تغير عندما استقلت البلاد، فصار رئيسها من الأفارقة، وحتى المقربون منه من الأفارقة، وإن كان فيهم بعض الهنود فإن النفوذ هو للأفارقة رغم كونهم أقل عدداً في البلاد من الهنود الذين إذا أطلق التعريف لهم هنا

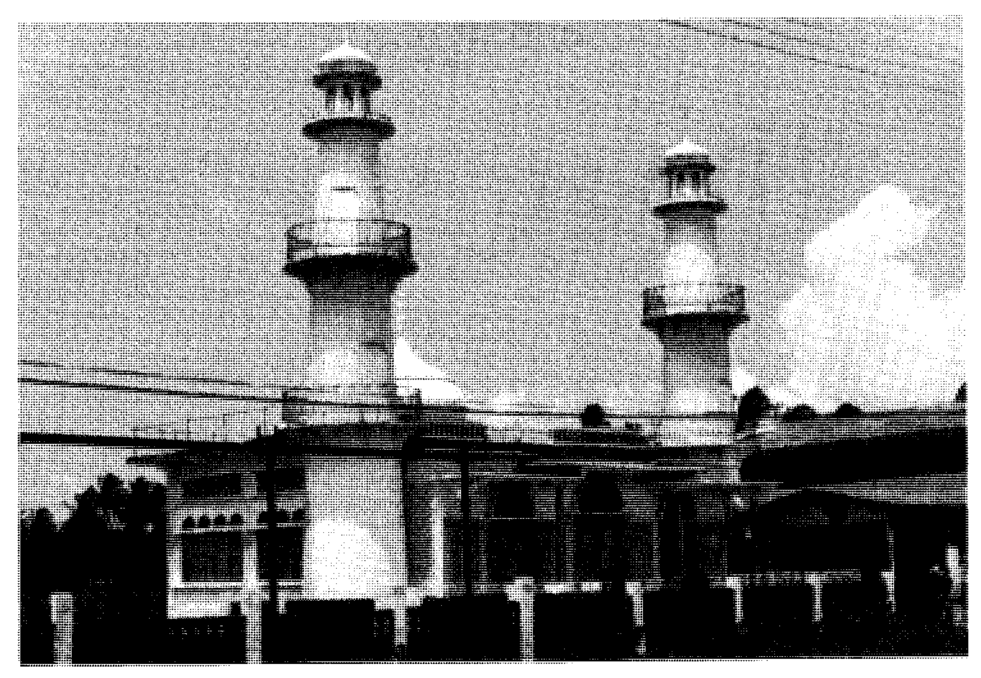
فإنه يشمل الهندوكيين منهم والمسلمين.

ويلي الهندوكية من الأديان المسيحية، وقد اعتنقها أغلبية السكان من أصل إفريقي على أيدي المنصرين الأوروبيين الذين جاؤوا في ركاب المستعمرين، فوجدوا أكثر هؤلاء الأفارقة من دون دين على حد قول الشاعر:

أتاني هواها من قبل أن أعرف الهوى		فصادف قلباً خالياً فتمكنا

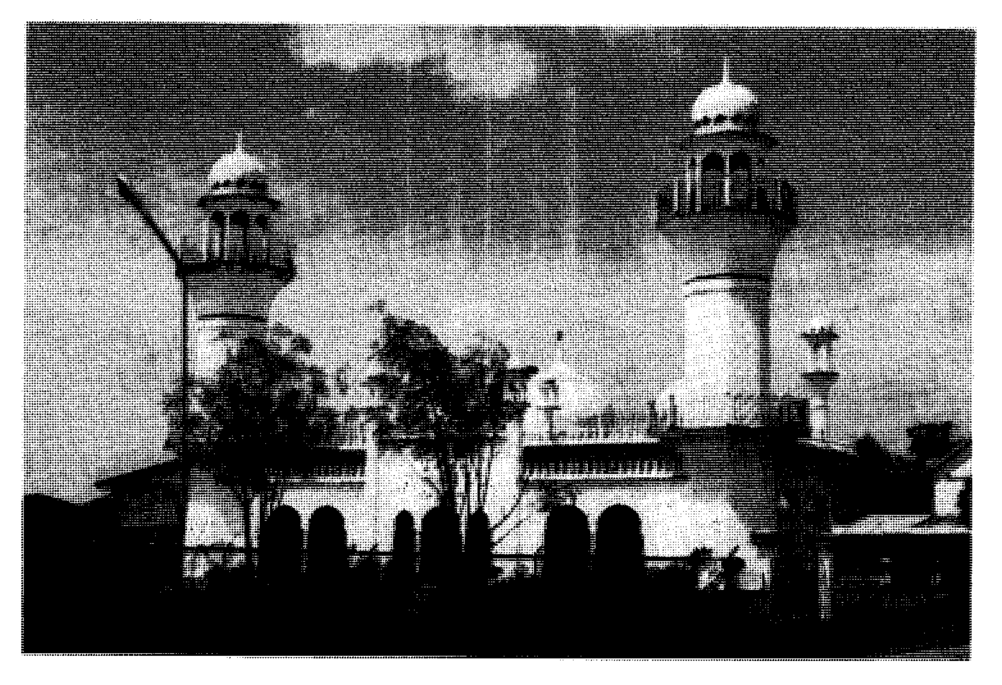
المسلمون يزدادون:

لا يزال عدد المسلمين في غيانا يزداد، وإن لم تكن الزيادة تأخذ شكل الطفرة.



مسجد ليونورا في ضفة دميريرا الغربية في غيانا

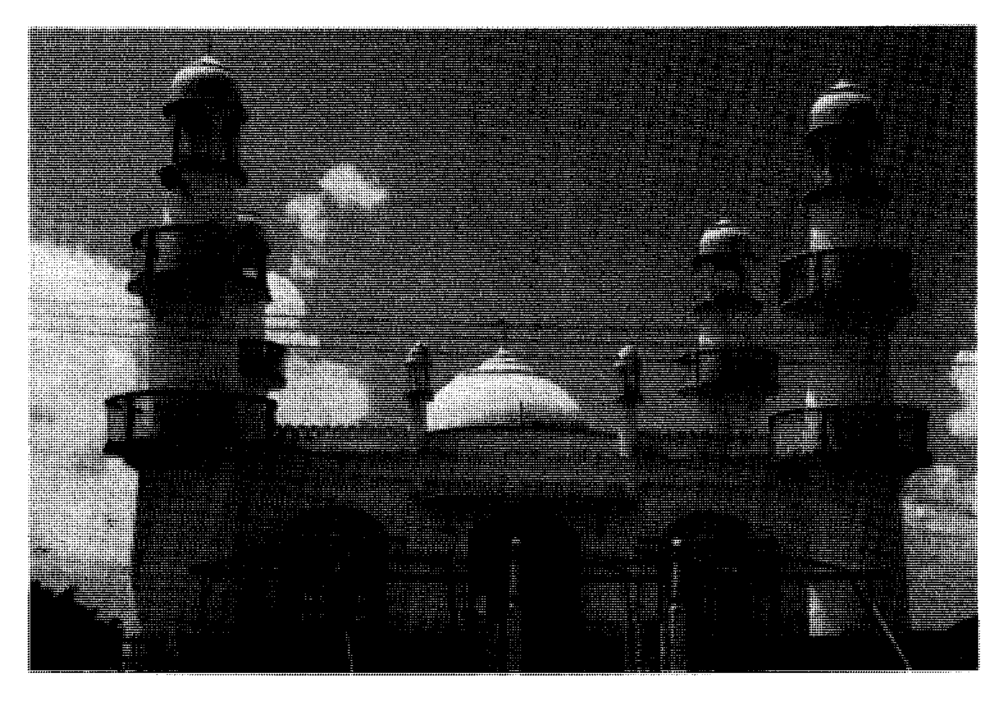
مسيحيين، فإنهم قريبون من الإسلام إذا أحسن الداعية إلى الله عرض الإسلام عليهم، ولذلك يسلم منهم أفراد من المتعلمين، وكبار المقامات، ومنهم رئيس الوزراء الحالي، ورئيس لأركان القوات المسلحة، والنائب العام.



مسجد روم فلديت في جورج تاون العظمى

وللمسلمين اتصال قوي برئيس الجمهورية، وهو قريب من المسلمين، ويعلن احترامه للدين الإسلامي الحنيف.

وسوف يأتي الكثير من الحديث عن الإسلام والمسلمين في هذه البلاد أثناء الكلام في اليوميات؛ لأن زيارتنا في الأصل هي للاطلاع على أحوال المسلمين، وتفقد مؤسساتهم ومساجدهم.



مسجد القرية رقم (٧٩) في بربيس في غيانا

يوم الأحد ١٤٠٢/٢/٢٤ هـ ٢٠ ديسمبر ١٩٨٠ م.

من بورت أوف اسبين إلى جورج تاون:

ذكرت أنهم كانوا قد أخبرونا أنه لا سبيل للحجز عندهم في هذه الرحلات، وإنما السبيل للركوب أن يبكر الشخص واضعاً أمتعته معه، فيقف عند مكتب الترحيل قبل السفر بساعات إذا ما أراد أن يكون له حق التقديم.

لذلك بكرنا اليوم مع إخواننا إلى مطار (بورت أوف اسبين) عاصمة ترينداد من الساعة السادسة والنصف، أي قبل ساعتين ونصف من قيام الطائرة، غير أننا وجدنا أناساً قد بكروا أكثر منا، وشبعوا وقوفاً

وتعباً، حتى جلس بعضهم على الحقائب، وبعضهم استند إليها قبل وصولنا بفترة.

ومع هذا التعب الشديد لم يصلنا الدور في الطائرة الأولى المسافرة في التاسعة مساء، ولكن ذلك نفعنا للطائرة الثانية التي كان من المقرر أن تقوم في الثانية عشرة ليلاً، فكان بعد تعب ومشقة تحمل بعضه معنا إخواننا (حيدر علي) من ترينداد، و(فيصل الأبودي) من غانا، ومقيم في ترينداد، قطعنا التذاكر، وصعدنا إلى قاعة المسافرين في ركن من الدور الثاني في المطار، وقد رأيت المسافرين، وبخاصة المسافرات من النساء، وهن لا يكدن يجررن أرجلهن من التعب والإرهاق.

فبعض المسافرين كانوا معنا في المطار منذ ليلة أمس، وبعضهم جاء إليه مبكراً ووقف ساعات طويلة.

وفي قاعة المغادرة قضينا أربع ساعات حتى قامت الطائرة في الساعة الثانية إلا ربعاً من بعد منتصف الليل، وهي من طراز: د،س، (ناين) تابعة لشركة طيران ترينداد.

وقد استغرق طيرانها من ترينداد إلى (غيانا) ساعة واحدة.

يوم الإثنين ١٤٠٢/٢/٢٥هـ ١٩٨٠/١٢/٢١م:

في مطار جورج تاون:

وصلت الطائرة في الثالثة إلا ربعاً حسب توقيت ترينداد، وهي الرابعة إلا ربعاً قبل الفجر بتوقيت غيانا المتقدم ساعة واحدة عن توقيت ترينداد.

كنا نظن أن تعب الانتظار قد انتهى عندما وصلنا المطار، وتجاوزنا

مكاتب الجوازات بطريقة معتادة.

وكان الجو في هذا الفجر جميلاً منعشاً عكس ما كنت أتصور في النهار قياساً على الجو في ترينداد، وغيرها من الأماكن الاستوائية أو الشبيهة بالاستوائية الرطبة، وكان الموظفون هنا كالموظفين في ترينداد خليطاً من عنصرين غالبين هما أهل الهند الآسيوية المتأمركون الذين كان "تأمركهم" أشبه بالتأفرق، لأنهم يعيشون مع العنصر الآخر، وهو العنصر الإفريقي الأسود الذي يبدو في هذه الجواء الاستوائية الرطبة كأنه في إفريقية.

الساعات العصيبة في انتظار الحقيبة:

عندما دخلت إلى قاعة الجمرك كان معي الأخ الشيخ عبد الوهاب، واسمه الكامل (سالو سينا عبد الوهاب)، وهو من اهل غانا؛ متعاقد مع دار الإفتاء في المملكة العربية السعودية للدعوة إلى الله في هذه البلاد، وقد جاء لاستقبالنا في هذه الساعة المتأخرة من الليل، بل سهر الليل بطوله مع الأخ (محمد شكري) والد الشيخ (قولشير محمد شكري جمعة)، وهو شيخ في الثالثة والسبعين من عمره خرج يقود سيارته في الليل الماطر إلى المطار ليقابل أخويه في الإسلام، وكان ابنه الشيخ قولشير قد هتف به من ترينداد ليستقبلنا في غيانا.

كنت أمني نفسي والساعة قد زادت على الرابعة قبل الفجر بالراحة في فندق مريح؛ غير أنني لم أجد حقيبتي بين الحقائب التي وصلت، ففزعت من ذلك لأن بعضهم ذكر لي أن حالة الأمن في غيانا غير جيدة، وأن أشياء كثيرة تسرق من المطار.

إلا أن فتاة جميلة لا أدري إلى أي جنس تنتمي، وكنت أراها كما أرى بقية الركاب في حبس الانتظار عند مكاتب الترحيل، وقاعة السفر

في مطار ترينداد.

لقد سارعت تلك الفتاة، وهي تراني أبحث عن حقيبتي فلا أجدها، وقد بان القلق على وجهي، بقولها: إن حقيبتك ستأتي في الرحلة التالية، ثم اضافت ذاكرة أن حقيبتها لم تصل كذلك، فأسرعت مع الأخ الشيخ سالو عبد الوهاب إلى ضابط الجمرك، وليس معنا غيره من الرسميين، لأننا في قاعة الجمرك، أسأله عما أصنعه، فقال: إنها ستأتي في الطائرة التي تصل في الثامنة إلا ربعاً صباحاً، أو في طائرة الساعة التاسعة مساء. فسألته، وأنا قلق عما إذا كانت هناك حقائب أخرى لم تصل غير حقيبتي؟ فأشار إلى جمهور كبير، وقال: هؤلاء كلهم لم تصل أمتعتهم.

فاطمأننت لذلك، وجعلت أسألهم عما سيفعلونه، فكلهم قال: إنهم سيبقون في قاعة الجمرك هنا إلى الصباح حتى تصل الطائرة الأولى من ترينداد؛ عسى أن تكون أمتعتهم معها؛ لأن المطار بعيد من المدينة، فهو يبعد عنها بأربعين كيلاً، وبعضهم قالوا: إنهم يخافون على أمتعتهم إذا لم يكونوا حاضرين عند وصولها، وقالت امرأة مسنة: إن الأمتعة تفتح أحياناً، ويسرق بعض ما فيها. فعزمت على الأخوين المستقبلين، وزميلي الرائد عبد الله العريفي أن يذهبوا ويستريحوا، وأبقى أنا في المطار وحدي حتى النهار في انتظار حقيبتي.

فذهبوا على أمل أن يعودوا في الثامنة من هذا الصباح.

وافترش القوم أرض قاعة الجمرك، وهي خشنة غير مريحة، ونفعني الله بسجادة الصلاة، وكنت أحملها دائماً في حقيبتي اليدوية للصلاة عليها، ولمثل هذه المناسبات. فافترشتها، غير أن امرأة كانت معها طفلة في السابعة غلبها النوم، فطلبت مني أن أسمح لها أن تضع رأس طفلتها على طرفها، وجاءت أخرى ففعلت مثل ذلك، فلم أقو على الممانعة.

وبعد قليل جاء ضباط الجمرك، وأخرجونا من قاعة الجمرك إلى القاعة الخارجية، ولا ندري كيف ندخل إلى الجمرك إذا وصلت حقائبنا بعد ذلك.

وكانت في القاعة الخارجية كراس جيدة، وإن تكن غير كافية، فجلس الناس عليها، ورؤوسهم تميل نعاساً.

ولم يكن في المطار مقهاة تقدم شاياً أو قهوة، وإنما كان فيه محل يبيع الخمور، والمشروبات الباردة، فتح أبوابه في وقت مبكر، وكانت دورة المياه فيه سيئة الترميم متسخة؛ غير معتنى بها، وكان الأصعب من ذلك هو الجلوس على الكراسي في القاعة، ومغالبة النعاس، مع وجود حقيبة اليد التي تحمل كل ما هو غالٍ، وضروري لمواصلة رحلة طويلة من النقود، والتذاكر، والأوراق الثمينة، وبخاصة إذا تذكر المرء أنه في بلاد الأمن فيها غير مستتب، والحكومة لا تقبض بيد من حديد على السارقين والمنتهبين مما جعل هذه الليلة التي أحييناها في مطاري ترينداد وغيانا ليلة ليلاء.

وفي الساعة الثامنة من صباحنا الذي كان مع ليله كالنهار إلا أنه متعب، جاءت الطائرة المنتظرة من ترينداد، فاشرأبت الأعناق التي كانت ناعسة، وتفتحت العيون المغمضة، وبادروا جميعاً وهم يتمطون يسحبون أمتعتهم اليدوية إلى الجمرك يسألونه الإذن بالدخول لأخذ أمتعتهم، ولكن الموظفين صدوهم، وأمروهم بالانتظار حتى ينتهي المسافرون القادمون، فبقوا في انتظار ممل، وهم وقوف على هيئة صفوف غير منتظمة إلا من لم تسعفه صحته، أو لم يتسع صدره، فإنه عاد إلى الكراسي، وإن كان بصره لا يزال مشدوداً إلى المدخل.

وقد استمر ذلك ساعتين كاملتين مع أن الطائرة القادمة هي من

طراز: د.س. ناين، وتحمل مائة وأربعة ركاب في العادة.

وكان الشيخ سالو عبد الوهاب ـ جزاه الله خيراً ـ قد عاد من المدينة إلى المطار، كما كان الأخ الثري الوجيه فضيل فيروز رئيس منظمة الشباب المسلم في غيانا، قد خرج إلى المطار مع أربعة لاستقبالي، فسمعوا الموظفين بعد العذاب الطويل في الانتظار يقولون للركاب الذين ينتظرون أمتعتهم: اذهبوا إلى شأنكم، فإذا جاءت الأمتعة نقلناها إلى مكتب الشركة في المدينة، ويمكنكم أن تأخذوها من هناك.

فضج الناس، وهاجوا، وجعل أحدهم، وهو من أصل إفريقي، طويل القامة، قوي الجسم، جهوري الصوت، جعل يصرخ كالمجنون، حتى حضر جنود من الشرطة يحفظون النظام.

وطرأت فكرة للأخوين هي أن يروا مدير المطار جوازي الدبلوماسي، عسى أن يبحث عن حقيبتي، فقال المدير: هذا جواز سياسي لا تفتش أمتعة حامله، وإذا جاءت الحقيبة عصراً في الخامسة، أو ليلاً في التاسعة، فإنه يمكنكم أخذها أنتم من دون أن يحضر هو إلى المطار لفتحها.

فأيست، ودخلت المدينة، ولكن المطار هتف بعد ذلك بالأخ فضيل، وقال: إن الحقيبة موجودة، ويمكنكم أن ترسلوا من يأخذها من المطار، وذلك قبل أن نصل إلى الفندق، فأرسل إلى المطار، وهو يبعد أربعين كيلاً عن المدينة سيارة ورجلاً معه جوازي، وتذكرتي، وتفويض مني، بأن يسلموها له، فأحضرها.

وتبين من ذلك أنها كانت جاءت مع بعض الأمتعة المتخلفة، أو كلها، ولكن الموظفين لم يخبروا أهلها، ولم يسلموها لهم.

المسكنة في مواطنة الدول المتخلفة:

رثيت لهؤلاء القوم مثلما رثيت أمس لمواطني ترينداد، ومثلهم مواطنو الدول المتخلفة الذين إذا أرادوا أمراً سهلاً هيناً في الدول المتقدمة في الإدارة، فكأنما يقدمون على مخاطرة لا يأمنون السلامة من عواقبها في كل الأحوال.

فقد سادت الفوضى والكسل والتراخي وعدم المبالاة أعمال المطارين في ترينداد وجورج تاون عاصمة غيانا، وكان الوقوف على مكاتب الترحيل عذاباً أليماً، ثم الانتظار للخلاص من مطار الوصول لا يبعد عن ذلك.

أما ضياع الوقت في مثل هذه الأمور، فإنه خسارة عظيمة، لأنهم لا يبالون بأوقات الناس، ولا بشقائهم، وإنما يتمتعون بإتعابهم وإشقائهم.

من المطار إلى جورج تاون:

ركبت مع الأخ الشيخ (سالو سينا عبد الوهاب) بسيارة له اعتذر عن قدمها لغلاء السيارات في هذه البلاد، وبخاصة بعد اعتناقها الاشتراكية التي أغلت الرخيص، وقضت على غلاء الغالي بأن جعلته لا يوجد.

وكان الجو ماطراً منذ الليلة البارحة، وذلك لكون الفصل هو فصل الأمطار في هذه البلاد، وهو فصل الشتاء، لأنه ليس فيها فصول كالتي تكون في بلادنا، وإنما لها فصلان: موسم مطر، وهو يلطف الجو، ويميل إلى البرودة النسبية، وأوسطه شهر يناير، وفصل قليل المطر، حار رطب ثقيل، تكون ذروته في شهر آب (أغسطس).

وكانت مغادرة المطار في الساعة العاشرة والنصف ضحىً، فبدت الأرض التي يقع فيها المطار كثيفة الأعشاب، مثل سائر الأراضي

الاستوائية المطيرة، وإذا ظهر شيء من الأرض بسبب حفر أو نحوه، وهو قليل، فإن التربة تبدو رملية بيضاء.

فصار الطريق، وهو مزفت تزفيتاً غير جيد يساير نهر (داميرارا)، وهو أحد الأنهار الكبار في هذه البلاد (غيانا) التي اشتق اسمها من هذا المعنى إذ معناه أرض المياه والأنهار بلغة من يسمون (الأمروإنديان) أي الهنود الأمريكيين، ويراد بهم سكان هذه البلاد قبل وصول الأوروبيين إليها.

وكان النهر هذا بالغ الاتساع، ومع ذلك فإنه ليس أوسع الأنهار في غيانا، وإنما هناك نهر فيها أوسع منه بكثير اسمه (إسكيبو).

وعلى جوانب الطريق نبتت الأعشاب الوحشية الكثيفة، وبعدها غرست أشجار الموز والبرتقال، وبينها أشجار كبيرة ربما كانت من أشجار الظل غير المثمرة، في أرض خضراء كثيفة الخضرة.

وقد أخذ المطر ينهمر بغزارة.

وفي هذا الريف بعض البيوت المنفردة المكونة من طابقين في الأغلب، وأكثرها من الأخشاب، ولكنها مطلية طلاء رديئاً، وأكثرها غير بهيج المنظر، وغير معتنى به، فهي منسجمة مع حالة الطريق، ولكنها متنافرة مع وجه الأرض الأخضر الذي أجمل ما فيه أنه يبدو وكأنه غفل لم تعمل فيه يد التحسين والتهذيب، وليس لهذه البيوت طابع محلي، وإنما تقرب من البيوت الريفية الأوروبية، وإن لم تماثلها. أما الجو فإنه لطيف بسبب هطول الأمطار، وإن كان لبس أكثر من القميص فيه لا يطاق.

واعترض الطريق قطيع من الأبقار الضخمة الجسم، وقال الشيخ

سالو عبد الوهاب: إن الأبقار كثيرة في هذه البلاد، ولذلك كان اللحم فيها رخيصاً، لا يزيد ثمن الكيلو الواحد منه على ستة دولارات (غيانية)، ويساوي ذلك بالصرف الرسمي ٨ ريالات سعودية، وبالسوق الحرة خمسة ريالات. ثم مر الطريق بنهرين آخرين، ومر بعد فترة بنهر (داميرارا) من جهة اخرى وهو يرى متسعاً يشبه نهر النيل، ويفوقه في الاتساع.

قرية قروف:

اخترق الطريق قرية قروف، وهي ذات بيوت غير بهيجة المنظر، وفي وسط ريف مزروع بقصب السكر، ومن أبرز المناظر التي شدتني بعدها منظر مسجد ظاهر للذين يسيرون من هذا الطريق الهام، والناس الموجودون فيها هم الهنود الآسيويون، ويحتاج الأمر في هذه البلاد إلى وصفهم بهذه الصفة؛ إذا كانوا من القارة الهندية، لأنه يوجد أناس فيها يسميهم الناس الهنود، إلا أنهم يقولون لهم: الهنود الأمريكيون، وهم السكان الأصلاء فيها قبل وصول الأوروبيين.

وهؤلاء الهنود الآسيويون قد زادوا سمرة وكموداً في اللون، قد يصل في بعض الأحيان إلى السواد، وبينهم قوم من الأفارقة الذين لم تتغير ألوانهم إلا من كان منهم قد دخل دمه دم غريب في تزاوج، أو نحوه، وذلك لأن جو (غيانا) شبيه بالاستوائي، فهو مماثل للجو في كثير من البلدان الأفريقية السوداء.



مسجد قروف في ضفة داميرارا الشرقية في غيانا

وبعد هذه القرية رأينا مصنعاً كبيراً للسكر.

الترعة التي شقها العبيد:

ابتدأ الطريق يماشي ترعة من المياه كبيرة عميقة هي أثر من آثار الاستعمار الأوروبي إبان عهد الاكتشاف، واستغلال خيرات البلاد، وطاقات أهلها.

فقد كان أوروبيون من الناس من يقول: إنهم من الهولنديين، ومنهم من يقول: إنهم الإنكليز، لأن كلا الطرفين قد حكم البلاد حكماً استعمارياً، والأغلب أنهم الهولنديون؛ لأنهم مشهورون بالقسوة، وقلة الإنسانية في معاملة الشعوب المستعمرة أكثر من الإنكليز. كانوا قد

سخروا العبيد الذين جلبوهم من القارة الإفريقية في حفر هذه الترعة، وذلك لكي يحمل فيها قصب السكر إلى المصانع، وكذلك يحمل فيها غيره على القوارب الصغيرة.

حتى الحمير:

رأيت حمارين في هذه البلاد شبه الاستوائية، فاسترعى انتباهي ذلك لكون وجود الحمير في البلاد الاستوائية أمراً نادراً، ولا أدري السبب، وربما كان ذلك في القديم لوجود حشرات وأمراض تصيب الحمير في الجواء الاستوائية الرطبة.

غير أنه يظهر أن الحمير أحضرت إلى (غيانا) بعد انحسار عهود الأوبئة العامة، والأمراض التي تفتك بالناس والحيوان بصفة جماعية.

ولما سألت الأخ الشيخ عبد الوهاب عن وجود الحمير في هذه البلاد قال: إنها موجودة، وإن بعض الناس يحملون عليها الأمتعة الخفيفة التي لا يحتاج فيها إلى الحصان الذي يجر العربات أيضاً، إلا أن الحكومة تضع ضرائب على الحمير التي تستعمل في جر عربات الحمل؛ مع أن الكسب منها قليل، ولا يعاني التكسب بالحمل عليها إلا فقير.

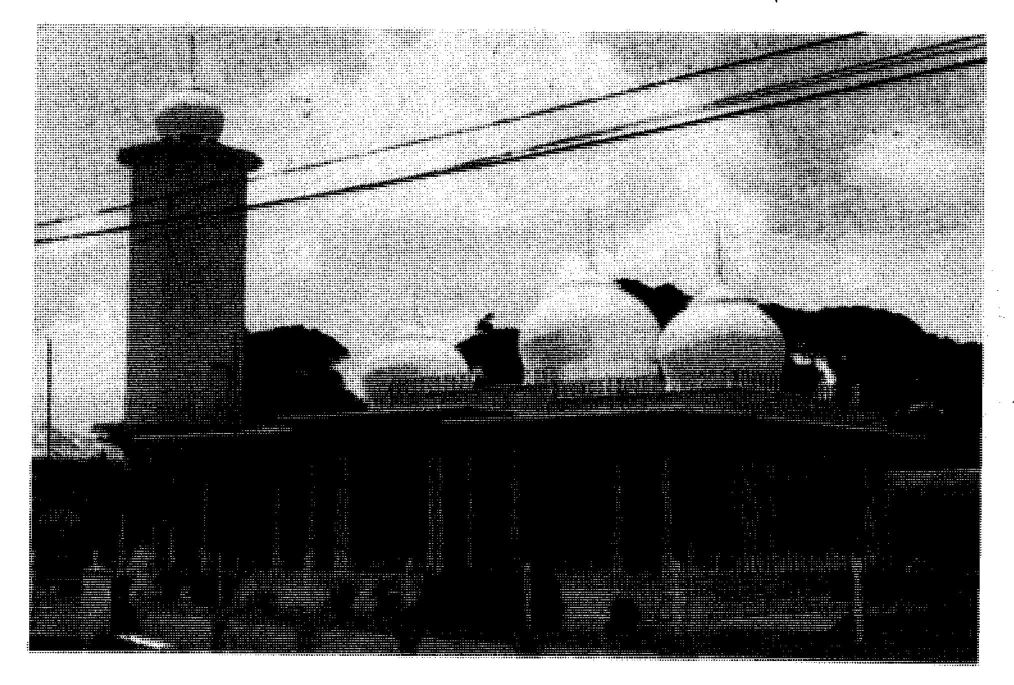
وهذه بركة الاشتراكية التي لم تنس حتى الحمير.

ومر الطريق بمنازل قليلة، ثم بمسجد ظاهر الشعار، أبيض الطلاء، واضح المنظر.

مدينة جورج تاون:

دخلنا مدينة(جورج تاون) عاصمة جمهورية (غيانا) مع حي من أحيائها الخارجية اسمه (بيتس هول) نظيف، بيوته من طابقين، علي

الطراز الأوروبي، وإن كان يبعد عن بيوت الأوروبيين كثيراً في النظافة والأناقة والترميم.



مسجد قاعة بيتر في ضفة داميريرا الشرقية في غيانا

وفي هذا الحي يسكن بعض المسلمين ذوي الأصل الهندي، ولذلك رأينا مسجداً على يمين الطريق يسمى (مسجد بيتس هول). ثم اخترقنا حياً يقال له: (المقدوم)، وربما كانت هذه الكلمة التي عليها مسحة عربية مما دخل إلى اللغة الأوردية، فنقله أهل الهند إلى هذه البلاد إذْ فيه مسجد ظاهر.

ثم مررنا بمصنع للخمور؛ يصنعون فيه أيضاً شراباً ليس حراماً، وهو (البيبسي كولا). ثم حي يسمى: (الكزندر فليج)، وترجمتها الحرفية: (قرية الإسكندر)، فيه مسجد مشرف المنار، فخم المظهر.

وفي شارع مهم رئيسي في البلدة كان في أوله مصنع للأدوية، وقفنا عند متجر كبير يعمل فيه عدد من العمال، وهو عامر بالمتسوقين، وهو لأخينا في الله الذي أخذ على نفسه أن يكون دليلنا ومرشدنا في هذه البلاد، الأخ فضيل فيروز؛ رئيس منظمة الشباب المسلم في (غيانا)، وهو صيدلي يعمل في التجارة، وله ووالده مصنع للأدوية.

وهو من أنشط العاملين في حقل الدعوة في هذه البلاد؛ يستقبل الزائرين من البلدان الإسلامية، ويعرفهم بالنشاط الإسلامي فيها، ويسهل الحصول على ما يريدون الحصول عليه من هذا الأمر، كما أنه عضد وسند للدعاة إلى الله فيها.

وكان الشارع يعج بالحركة، وفيه سيارات كثيرة، أكثرها، أو كلها من عهد الرخاء، قبل اليسارية، وذهاب رؤوس الأموال من البلاد، وذلك ظاهر من كون كثير من السيارات يحتاج إلى إصلاح، ولا يستطيع أهلها ذلك لعدم وجود قطع الغيار اللازمة.

وكان أحد إخواننا قد حجز لنا غرفتين في (فندق بيقاسس) من فنادق الدرجة الأولى، وهو من سلسلة فنادق بهذا الاسم في عدة بلدان كنت قد نزلت واحداً منها في جزيرة جامايكا.

وأجرة الغرفة الواحدة فيها (١٨٥) دولاراً غيانياً، ويساوي ذلك بالصرف الرسمي (٧٣) دولاراً أمريكياً، ولكنه بالصرف في السوق الحرة يرجع إلى (٤٦) دولاراً، وكان وصولي إلى الفندق في الثانية عشرة والنصف، فيكون بذلك قد مضى علي في محاولة الطيران، وفي محاولة أخذ الحقيبة، والطريق إلى ذلك ثماني عشرة ساعة لرحلة لا يتعدى وقت الطيران فيها ساعة واحدة.

العرب في جورج تاون:

إذا قيل في جورج تاون فكأنما قيل: في غيانا، ؛ ذلك بأن العاصمة هي مركز التجارة، والحركة، ولذلك كان سكانها حوالي نصف سكان البلاد التي مجموع سكانها يبلغ مليوناً ومائتي ألف نسمة. كان السبب في هذا الحديث المبكر عن العرب هنا أن الأخ فضيل فيروز مرّ علينا في الساعة السادسة من مساء اليوم، وذلك قبل غروب الشمس بقليل، ومعه رجل فلسطيني مسن قال: إنه أمضى في هذه البلاد أربعين سنة، وأنه تزوج وله ابنتان، وهاجرتا مع أمهما إلى كندا، وتركتاه، وبقي وحيداً هنا، واسمه (أسعد عبد العزيز)، وقد حدثنا عن العرب حديثاً طويلاً، وإن كان هو ليس متعلماً، ولا رفيع المستوى في الذكاء، ومن قوله عنهم: إنهم كانوا كثيرين، وأن اكثرهم من المسيحيين، إلا أنه لا يوجد الآن في الوقت الحاضر منهم في العاصمة (جورج تاون) إلا ثلاثة: مسلمان: هو أحدهما، ومسيحي واحد.

وقد سألت بعد ذلك عن وجود العرب هنا، فأخبرت أنه ليس لهم الآن وجود ملموس؛ بل قال أحدهم: كيف يبقى العرب هنا، وهم رجال أعمال، في حين أن أعداداً من (الغيانيين) أهل البلاد يهجرونها إلى بلاد أخرى طلباً للعمل والتجارة؟.

كان الحديث يدور، والسيارة تسير، وعلى شارع بجانب المحيط مما يسمى بشارع الكورنيش قد أقاموا عليه مما يلي البحر جداراً يمنع مياه الأمواج المتطايرة من الوصول إلى الشارع وما حوله؛ لأنه منخفض قليلاً عن الساحل، وذلك في نزهة جميلة كان الجو خلالها ملبداً بسحب سوداء كثيفة؛ لأن هذا الوقت هو موسم الأمطار، وهو موسم الشتاء عندهم، وإن لم يكن فيه برد؛ إلا أن الهواء يهب بارداً منعشاً بسبب الأمطار.

ومن هذا الشارع الملاصق للبحر الذي لم نقف فيه طويلاً بسبب ضيق الوقت ذهبنا مع طرق جيدة في المدينة، وإن لم تكن واسعة، وهي كلها محاطة بأرصفة خضراء إن صح التعبير إذ جوانب الطريق كلها التي تكون أرصفة حجرية، أو مزفتة أو ترابية في العادة، إنما هي مكسوة بالأعشاب الكثيفة الخضرة المتشابكة، وكأنما زرعت زرعاً، فأنت في سيارتك تسير في الشارع، وكأنما تسير في طريق يخترق حديقة، ولست في شارع في مدينة. وأما البيوت التي مررنا بها، فإنها لا بأس بها، وكلها من طابق أوطابقين، وأما العمارات السكنية العالية الكثيرة الطبقات فإنها نادرة.

وتلك البيوت ترتفع في أفنائها المكشوفة أشجار الثمار الاستوائية النافعة مثل الموز والباباي والنارجيل والعمبه (المانجو)، وإن كان ذلك على غير كثرة، وكان بإمكانهم أن يجعلوها أكثر لكثرة المطر والندى.

• ويرى المرء الأراضي الخالية من البناء داخل المدينة، وقد تشابكت الأعشاب في أرضها، وارتفعت كأنها الزرع، وذلك بسبب كثرة الأمطار في هذا الفصل كما تقدم.

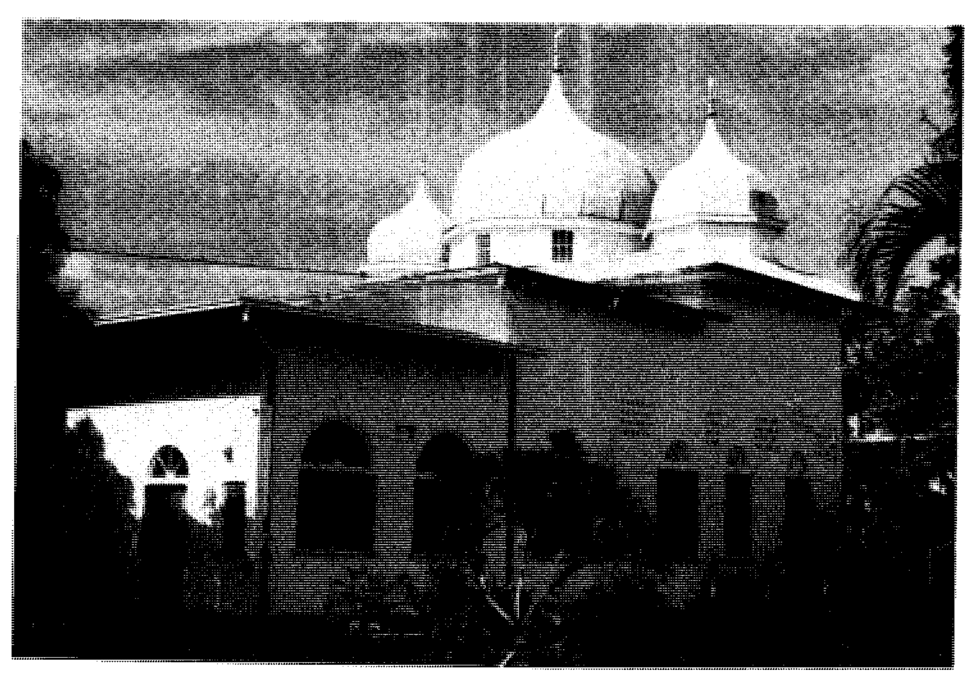
وتسير مجاري المياه في جانبي شوارع المدينة كما هي عليه الحال في أكثر البلدان الاستوائية في إفريقية وآسية، وهي مكشوفة في أكثرها أيضاً إلا أنها هنا لا ترى بسبب كثافة الأعشاب النامية على ضفافها، وتأتي الأمطار فتملأ مجاري المياه، وتذهب بما يكون فيها من خبث أو مياه فاسدة إلى البحر أو إلى النهر كما هو المعتاد.

ولذلك لا يشم المار منها في هذا الفصل الروائح الكريهة التي تكون في مثيلاتها إذا تأخر المطر وركدت بعض المياه الخبيثة.

أما السكان الذين يرون هنا فأغلبهم من الهنود الآسيويين الدهم الألوان، أي ذوي السمرة القاتمة التي لا تبعد كثيراً عن السواد، ويخالطهم السود من ذوي الأصل الإفريقي الذين جاء بهم المستعمرون الأوروبيون في الأصل عبيداً إلى هذه البلاد.

جامع كوين تاون:

وصلنا إلى جامع كوين تاون مع أذان المغرب، فوجدنا عند بابه رجلاً استقبلنا ببرود، وتحفظ، فسألته عن اسمه، فأجاب: (عبد العزيز غفور)، ولكنه نطق بكلمة غفور بما لا يبعد عن النطق بكلمة (كفور)، لأنه لا يستطيع نطق الغين نطقاً صحيحاً.



مسجد كوينز تاون جاما في جورج تاون في غيانا

وهو رئيس جمعية (كوين تاون مسجد) هذا.

وقال: إنه أكبر جامع في مدينة جورج تاون، وإنه من أقدم المساجد فيها إذْ كان بناؤه الأول عام ١٨٩٦م، ولكنهم وسعوه أكثر من مرة.

وهو عالي السقف جداً، فوق محرابه قبة مرتفعة على غرار القبة النبوية الشريفة، وقد منعهم ارتفاع السقف من وضع مراوح سقفية، فركّبوا في المسجد عوضاً عنها مراوح على جانبيه كبيرة جداً.

اغتنم رئيس جمعية المسجد الأخ (عبد العزيز عبد الغفور)، وهذا هو أصل اسمه، الفرصة قبل حلول الظلام، فأخذ يريني مدرسة خارج المسجد، وقسماً منفصلاً يصلي فيه النساء، وأرضاً قال إنهم اشتروها في الأسبوع الماضي بثلاثة وثلاثين ألف دولار غياني ليقيموا عليها مسكناً للأيتام.

وقال: إنهم ينفقون على كل أعمالهم من التبرعات الداخلية لمسلمي غيانا؛ غير أنهم لا يزالون يحتاجون للمال للمشروعات الكبيرة.

وقد أدينا صلاة المغرب معهم، وأمَّ بنا الشيخ سالو عبد الوهاب، وكان أحد المرافقين في هذه الجولة والآخر هو الأخ (كمال آزاد محمد)، وهو من أهل غيانا يتكلم بشيء من العربية لأنه درس في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، ولكنه لم يوفق إلى إتمام دراسته.

وطلبوا مني إلقاء كلمة بعد الصلاة، فتكلمت فيهم بكلمة ترجمها الشيخ عبد الوهاب تضمنت التعريف بنا، والغرض من حضورنا إلى هذه البلاد، والوصية بتقوى الله تعالى، وبما ينبغي أن يكون عليه المسلم من الأخلاق الإسلامية الرفيعة، وبخاصة في المعاملات، والعلاقة بالمواطنين الآخرين من غير المسلمين؛ لأن الناس عامة ينظرون إلى الإسلام

من خلال أفعال وخصال أهله المتمسمين به. فعلق عليها الأخ (عبد العزيز غفور) بكلمة أكثر فيها من سب الجمعيات الإسلامية الأخرى في (غيانا)، وقال: «إن جمعية من هذه الجمعيات هي الجمعية الوحيدة المستقيمة في هذه البلاد»، وقال، وكلامه هذا في المسجد: «إنني مستعد إذا كنتم تريدون التحقيق مع الجماعات الأخرى في غيانا التي تسلمت مساعدات مالية أن أضع بين أيديكم الأدلة على الخيانة فيها».

وقال: «إن فقراء المسلمين في الشوارع لا تصلهم تلك الأموال».

وقد علقت على كلامه مبيناً أن المقصود من إرسال المساعدات المالية ليس لفقراء المسلمين، لأن فقراء المسلمين يعدون بعشرات الملايين، وناهيك بفقراء المسلمين في الهند وحدها، وإنما المقصود من هذه المساعدات هو مساعدة الجمعيات، والمؤسسات، والمدارس الإسلامية للنهوض بأبناء المسلمين، وتعريفهم بأمور دينهم، ومن ثم مكافحة الجهل، والفقر بينهم عن هذه الطريق.

وأما التحقيق مع المسؤولين عن الجمعيات فإن هذا أمر ليس من مهمتنا، ولا من هدفنا، ونحن لا نريد أن نتدخل في الأمور الداخلية لإخواننا المسلمين في الخارج، وإذا وجدت خيانة من أحد فعلى إخوانه المسلمين المواطنين أن يردوه عن الغي بما يرونه.

وكلام الأخ عبد العزيز عبد الغفور مظهر واحد من مظاهر تفرق المسلمين في هذه البلاد، واختلاف القائمين عليها، وهو أمر مؤسف بطبيعة الحال.

حق حلال:

بعد هذه الجلسة الطويلة في هذا المسجد الكبير، توجهنا إلى مطعم

لأحد المسلمين اسمه (حق حلال)، أي الطعام الحلال حقاً، ويراد من ذلك أن الطعام الذي يقدم فيه كله حلال، وأن اللحم فيه قد ذبحه مسلمون.

وكان ذلك بدعوة من الأخ فضيل فيروز، ولذلك لم أعرف قيمة الطعام فيه، وهو طعام لذيذ سخي، وبخاصة اللحم، فهو كثير جداً.

ومما يذكر أن هذا المطعم، وإن كان إسلامياً، كتب ذلك في لافتة بارزة على واجهته الخارجية، فإنما رواده في العادة تسعون بالمائة منهم من غير المسلمين؛ كما أخبرني إخواني بذلك، وقالوا إن المواطنين من أهل البلاد من غير المسلمين يحبون طعام المسلمين لنظافته، ورخصه، وحتى الأجانب يأكلون فيه على اعتبار أنه طعام شعبي نظيف رخيص.

وكان مسك الختام بعد الطعام جولة في مكان مكشوف على شاطئ المحيط الأطلسي مرتفع عن أن تصله السيارات، قد وضعت فيه كراسٍ حجرية يجلس فيها الناس، وبعضهم جاؤوا مع أطفالهم فيتمتعون باستنشاق هواء البحر النقي في جو هادئ.

يوم الثلاثاء ٢٦/٢/١٤٠٢هـ ٢٢/١٢/١٠٨١م.

صباح غيانا:

أزحت ستارة النافذة في غرفتي قبل طلوع الشمس، فأسفرت عن منظر جميل، هو منظر حدائق واسعة تابعة للفندق، بعدها مباشرة شاطئ المحيط، ولا يسمح بمرور الغرباء بينهما طلباً للأمن، وكان من أبرز المناظر وضوحاً أسراب من الغرانيق، وهي الطيور البيض، ذاهبة في طلب الرزق مبكرة، وقد تلا الأسراب أسراب منها أيضاً ببياضها الناصع الذي يجعلها وهي تطير أشبه بقطع الغيوم الصغيرة السابحة في الهواء، وقد يتلاصق أفراد السرب الواحد، فيبدو السرب كله كأنه الشراع

الأبيض الخافق على صفحة اليم.

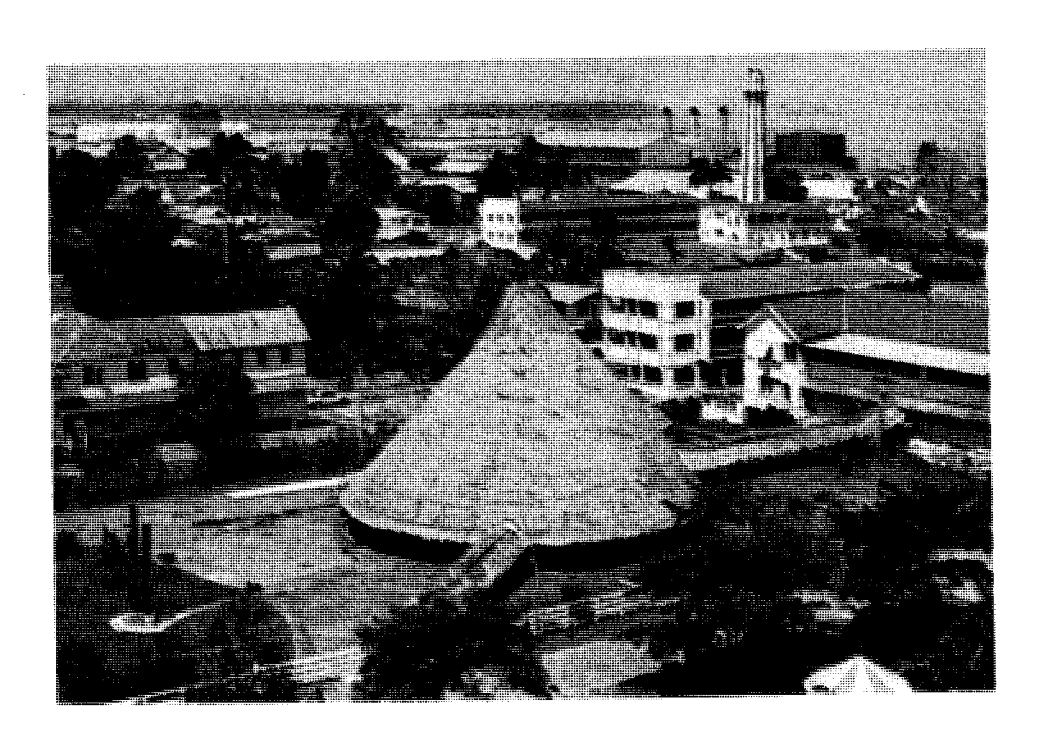
وقد كانت طيور أخرى تنطلق من أوكارها في طلب الرزق أيضاً، ولكنها بأعداد أقل، مثل أنواع كبيرة من البط.

بل إن هناك طيوراً تطلب حياتها في موت طيور أخرى صغيرة أو ضعيفة، وذلك متمثل في فرادى من الصقور، والطيور الجارحة قد بكرت أيضاً في السعي وراء بقائها عن طريق فناء غيرها. ومن أجمل المناظر منظر قوس قزح، وقد انطلق من السحاب إلى صفحة المحيط، وكأنه سيف متعدد الألوان، يغرزه السحاب في قلب الماء، وذلك لأن بعض السحاب كان يمطر، وأشرقت الشمس على جانب منه صحو.

وكان على البر أيضاً منظر جميل، كما كان على البحر، ويتمثل في رقصات هادئة لفروع أشجار النارجيل وقد داعبها النسيم.

ولم تخل المناظر من الجد المضني إذ كنت أرى على البعد قوارب صغيرة من قوارب الصيد قاصدة شباكاً على الشاطئ من فروع الأشجار تسقط فيها بعض الأسماك عند المد، فلا تستطيع الخروج منها عند الجزر.

ورجل وكلبه يحرسان مداخل الحديقة في الفندق لأن الأمن ليس على ما يرام في هذه البلاد، والفقر يحمل حتى بعض الناس الذين لا يميلون بطبيعتهم إلى الإجرام على السرقة والانتهاب، وكنت شاهدت الليلة البارحة من مظاهر المحافظة على أمن النزلاء جندياً واقفاً طول الليل على باب المصعد في الفندق يتعرف على الصاعدين فيه والنازلين منه.



ضاحية في جورج تاون

جولة في مدينة جورج تاون:

بدأت هذه الجولة في التاسعة، وكان الرفقاء فيها الأخ (عبد العزيز عبد الحق) من الإخوة النشطين في الدعوة الإسلامية، وهو مواطن غياني من أصل هندي، ولكنه لايدري من أين جاء أبوه أو جده من الهند، ولكنه يظن أنه بنغالي، والشيخ سالو عبد الوهاب غاني الجنسية، وليس غيانياً، فهو من غانة في غرب إفريقية، ويقيم في غيانا هذه في شرق أمريكا، ويفصل بين البلدين المتشابهين في الاسم والموقع والجو والمظهر خضم من مياه المحيط الأطلسي الذي كان يسميه، أو يسمى بعضه أسلافنا العرب (بحر الظلمات)، أو البحر المحيط الأعظم، والأخ سالو

مبعوث من رئاسة الإفتاء والدعوة في المملكة للإرشاد في غيانا، والأخ (كمال آزاد محمد)، ورفيقي في الرحلة الرائد عبد الله بن عبد الرحمن العريفي.

متجر الحكومة:

حكومة غيانا يسارية؛ بل هي نصف شيوعية، فقد أممت المصانع، والممتلكات العامة، واستولت على التجارة كلها، ومن ذلك أنها تولت الاستيراد والتصدير كله. فأصبح التجار السابقون عملاء لها، وليسوا تجاراً مستقلين، وقد فتحت محلات عامة لبيع البضائع، منها هذاالذي سندخله للتفرج برؤيته، ومعرفة المزايا التي تزعم الحكومة بأنها بسياستها الاشتراكية قد كفلتها لأفراد الشعب.

وقد رأينا أعداداً كثيرة من الناس يدخلون إلى المتجر، وقال لي إخواني المرافقون: إن هذا الازدحام للشراء بمناسبة عيد الميلاد.

وأوصونا أن نحترس على ما في جيوبنا، وبخاصة على ساعات اليد، وقالوا: أنتم تلاحظون أن معظم الموجودين ليس في أيديهم ساعات، ومنهم نحن، فكان الأمر كذلك، وذكروا أن السبب الرئيسي هو الخوف على الساعة من النهب، وأن تكون سبباً لإيذاء حاملها إذ اللص إذا ما تعسر عليه الحصول على الساعة ألحق بصاحبها الأذى. وقالوا: إنه كثيراً ما يقطع اللصوص أصابع الناس الذين يلبسون الخاتم لأن إخراجه صعب.

وقالوا: إن هناك سبباً آخر لقلة الساعات في معاصم الناس، وهو غلاؤها، وقلة النقود بأيدي الناس، فلا يستطيعون شراءها، لأن الحكومة، وهي المستورد الوحيد، لا تستورد من الساعات ما يكفي، وترفع الضرائب عليها.

وقد دخلنا السوق، فوجدناه صغيراً والازدحام فيه شديداً، والسلع المستوردة الموجودة غالية إلى درجة أنها أغلى منها في المملكة ٤ مرات وكلها من السلع الضرورية كالملابس ونحوها، فسألت عن المصنوعات اليدوية المحلية، فوجدت أثمانها مرتفعة أيضاً إلى درجة لا تصدق، من ذلك حقيبة يد صغيرة، مصنوعة من الخوص، أو القش، مكتوب عليها ثمنها بأنه أربعة عشر دولاراً غيانياً ونصف.

ولما سألت بعض الإخوان عن سر هذا الارتفاع الفاحش في أسعار السلع الضرورية للشعب، قالوا: لأن البلاد صارت اشتراكية، والحكومة مواردها من الضرائب التي تضعها على هذه السلع الضرورية.

المجلس العام للأخوة الإسلامية:

كانت الفقرة الثانية في هذه الجولة زيارة المجلس العام للأخوّة الإسلامية، ويقع في بناء ملك للجمعية وسط أرض متسعة، ذكروا أن قيمته عليهم كانت ٩٣٠ ألف دولاراً، وهذا مبلغ قليل بالنسبة للبناء والأرض، ولكنه ربما كان ذلك منذ زمن، أو لأن النقودالكثيرة قلّت الآن في أيدي الناس.

أول ما يرى المرء فيه لافتة أعلاها بالعربية: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ ثم بالإنكليزية: (المجلس العام للأخوّة الإسلامية).

دخلنا غرفة للدراسة فيه تشغلها دورة تثقيفية للأخوات المسلمات، فوجدنا المدرّسة قد كتبت عنوان الدرس بالعربية (عبادة)، وتتضمن السطور المكتوبة على السبورة كلمات بالعربية تقابلها ترجمتها بالإنكليزية، وهي تتحدث عن هذا الموضوع.

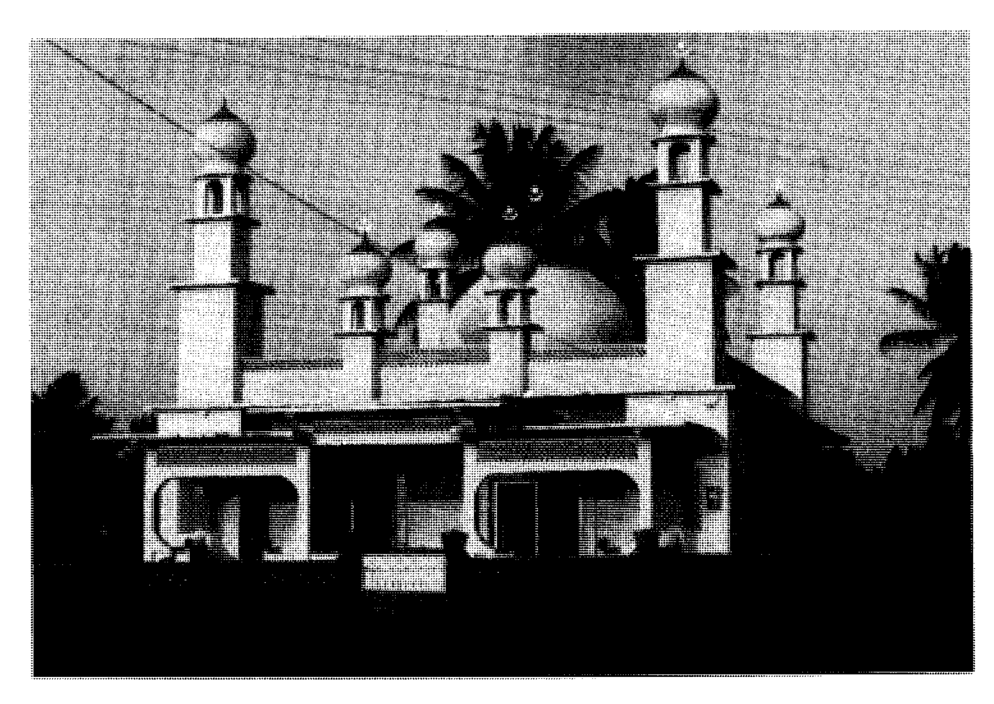
وفي هذا الفصل حوالي (٤٠) امرأة مسلمة. أغلبهن من الشابات، وقد لبسن كلهن لباساً ساتراً لا يظهر من الجسم غير الوجه والكفين في زي ليس بعيداً من زي بعض الأخوات المسلمات في مصر، وعلى وجوههن جميعاً بهاء الديانة، وطمأنينة الإيمان.

والواقع أنهن من مناظرهن يفقن بقية النساء في هذه البلاد، لأن المسلمة المتدينة لا تشرب الخمر، ولا تأتي الموبقات، فيساعد ذلك على حفظ صحتها، ورونق وجهها إلى جانب إشراق وجهها بطمأنينة الإيمان، فيكون من مجموع ذلك أن يقال فيها: إنها أجمل من بقية زميلاتها في المواطنة.

ألقيت فيهن كلمة ترجمها الشيخ سالو عبد الوهاب، ذكرت فيها لهن الحكمة من الطلاق في الإسلام، وهي مسألة من جملة المسائل التي يثير أعداء الإسلام حولها الشبه والشكوك في نفوس بعض المسلمات المتعلمات، وبينت فيها بكلام مختصر الحكمة من الارتباط بالزواج، ومن ذلك الآية الكريمة: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾، و «تسكنوا» هنا من السكينة التي تعني الأمن والاطمئنان.

وعريفة الفصل، أو رئيسته أخت اسمها (دورينا قيوم) قالوا: إن أصل اسم دورينا هو درية بالعربية، ويسمونها (أميرة النساء) بمعنى عريفة هذه الدورة.

وتستمر هذه الدورة ثلاثة أسابيع، والغرض منها تثقيف الملتحقات بها بما أمكن من الثقافة الإسلامية في تلك المدة.



مسجد قرية زيلاست في ساحل بربيس الغربي في غيانا

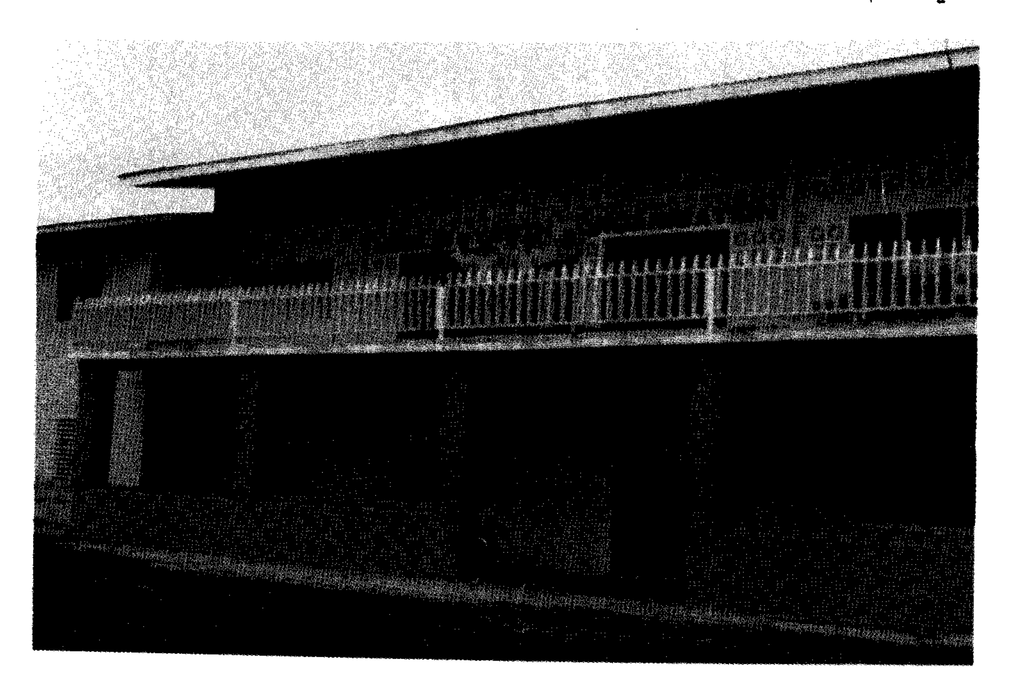
وقالوا: إن هذه الدورة تقيمها حركة الشباب المسلم في غيانا، وفي هذا المكان، لأنها تقيم دورة للرجال في مقرها الذي هو:

مركز جمعية الشباب المسلم:

ذهبنا إليه في حي يسمى (توماس لاند)، ويشغل بناء من طابقين وسط أرض واسعة جداً أخذوها من الحكومة على سبيل الانتفاع دون التمليك، وإن كان ذلك لا يمنعهم من إقامة بناء آخر عليها كما يقولون؛ لأنهم يدفعون للحكومة إيجاراً اسمياً لها منذ (٤٠) سنة قدره دولار واحد.

استقبلنا عند مدخله الشيخ (رؤوف بن محمد قمر الزمان) من أصل هندي يتكلم العربية لأنه تعلم في مصر، وهو يتولى التدريس في الدورة

التي تقام الآن في هذا المركز.



في شرفة منظمة الشباب المسلم في جورج تاون

فأرونا أول الأمر كيف يعدون الطعام للدارسين في الدورة، وعددهم ثلاثة وثلاثون دارساً؛ يأكلون ويشربون وينامون في المركز، ووجدناهم يعدون المرق من القرع أو اليقطين ونوع من الخضار لا نعرفه ولا يوجد في بلادنا، وهو ذو ورق غليظ.

وكان من اللافت للنظر أنه كان في المطبخ غاز مهمل، قالوا: إنه معطل لعدم تيسر الغاز بعد حلول الشيوعية في البلاد، وإنما يطبخون الطعام خارج الغرف بالحطب.

ثم شاهدنا مهاجع الطلبة في أسرة؛ الواحد منها فوق الآخر، وكل

ذلك في هيئة متوسطة النظافة والترتيب.

ثم صعدنا إلى الطابق الأعلى لسماع الدرس الذي يلقيه المدرس على الطلبة، وهو في النحو، وكانت المسألة مسألة جمع المذكر السالم، فأردت أن أشرح لهم ذلك، ثم ألقيت فيهم كلمة بعربية مبسطة، ولكنهم قالوا: إننا نود أن نسمعها مترجمة إلى الإنكليزية.

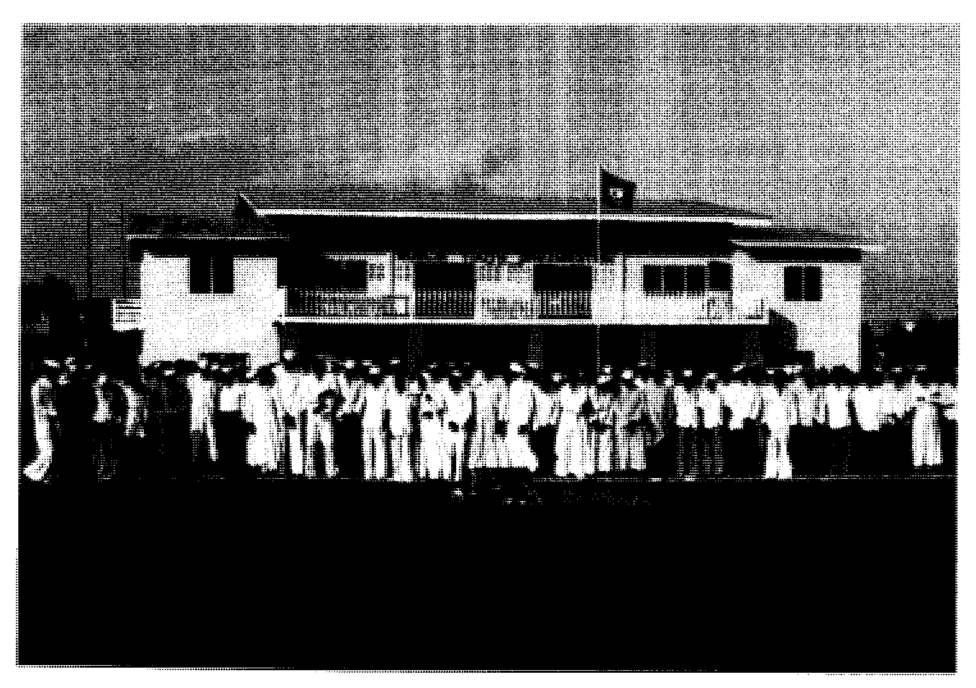
فقلت في نفسي: إذا كانوا لا يفهمون الكلام المعتاد بالعربية، فكيف يفهمون النحو؟

وقد ترجمها الشيخ رؤوف الذي كان يلقي الدرس عليهم عندما دخلنا.

وكنت أتكلم فانهمر المطر بغزارة بالغة، وكان لوقعه على سقف المبنى المكون من الصفيح الغليظ على هيئة سنام ضجة عظيمة لم نستطع التحدث معها، ولكن المطر استمر بالهطول، واستمرت الضجة من وقوعه، فمكثت أجاهد في رفع صوتي رغم قربي منهم.

وكانت القاعة التي فيها الدرس مسجداً في الأصل يستعمل للصلاة، وعقد الاجتماعات، والمحاضرات الثقافية الإسلامية.

وقد أخبرونا أن هؤلاء الإخوة المجتمعين في الدورة الذين عددهم (٣٣) هم من عشرة أقطار في منطقة البحر الكاريبي، وليسوا من غيانا وحدها، وأن مدة هذه الدورة: سنة واحدة، وأن (حركة الشباب المسلم) في غيانا تتولى القيام عليها، مع ما يتطلبه ذلك من نفقات الإعاشة وإلقاء المحاضرات وغيرها.



صلاة عيد الأضحى في ساحة مبنى جمعية الشباب الإسلامي في جورج تاون غويانا أمريكا الجنوبية

وعندما كنا نودعهم عند الباب الداخلي للمركز كنت أجيل بصري في الأرض الواسعة المسورة التي تتبعه، وهي كلها خضراء ذات أعشاب نامية كثيفة، دون أن يتكلفوا عليها شيئاً من ذلك، وذكرت شيئاً كنت قد رأيته في ضواحي مدينتي: لاجوس، وإبادان في نيجريا، وذلك أنهم يأتون بحيوانات، وبخاصة من الغنم والماعز، يجعلونها ترعى في الأفنية العشبية المكشوفة؛ تعيش على أعشابها في فصل الأمطار. فسألتهم: لماذا لا يأتي مثل أولئك الإخوة ببعض الأغنام والماشية يسيمونها هذا العشب الكثيف؟ فقالوا: إن هذا أمر لا تقره الحكومة؛ لأن المواشي لا ترعى إلا في أماكن خلوية معينة، وهذا المكان يعتبر داخل المدينة، وأنه حتى لو كانت الحكومة تسمح بذلك، فإننا لا نأمن على المواشي

التي نحضرها من السرقة والانتهاب.

فإذا كانوا يأخذون الساعة من معصم الإنسان كيف لا يأخذون العنز أو الشاة من هذا الفراغ ذي السور المتطامن.

وعلى ذكر السرقة أقول: إنني رأيت فراشاً من الخيش معلقاً بين خشبتين قالوا: إنه ينام عليه حارس المبنى، وأن هذه هي طريقة النوم عند (الهنود الأمريكيين) وإن بعضهم ممن لا يزالون يسكنون في الغابات والأماكن النائية، لا ينامون إلا فيها، فلا ينامون على الأرض، ولا على السرر المعروفة.

وخرجنا من منظمة الشباب المسلم، فمررنا بحانوت عليه لافتة مغرية هي: (منتجات الأمرإنديان)، أي منتجات الهنود الأمريكيين، ويبيع البضائع التي تنتج محلياً، وكنت أظنه مخصصاً للآشياء القديمة، ومحاولة تقليدها، فلم أجد فيه إلا أشياء معتادة، أو مصنوعة على مثال الأشياء القديمة للهنود الأمريكيين، ومن ذلك سرير من القماش معلق بين خشبتين، ولكنه وكل مافيه غالٍ مرتفع الثمن.

المركز الإسلامي الثقافي:

عندما وصلناه رأينا على بابه جنديين مسلحين، فسألت عن السبب في ذلك؛ فأجابوا: لأنه مركز ليبي في الحقيقة، والعلاقات بين الحكومة الليبية وبين حكومة هذه البلاد علاقات متينة؛ لأنهما جميعاً ينتميان إلى الدول التي تدور سياستها في فلك الاشتراكية الدولية.

وكان هذا المركز قد أنشأته الحكومة الليبية إبان أن كان الأخ أحمد حواس سفير ليبيا في غانا، وقبل أن يعارض الحكومة الليبية،

ويأبى الرجوع إلى البلاد لعدم رضائه عن سياسة حكومتها.

لم نجد فيه من الموظفين إلا شيخاً كبير السن، هندي الأصل، اسمه (محمد حنيف)، قال: إنه القائم على المكتبة، وفتاة عند آلة كاتبة. وقال قيم المكتبة: إن رئيسه يدعى (كمال آزاد جان ياسين)، وإنه محام.

وقال لنا الأخ محمد حنيف: إن فيه فصولاً خاصة للرجال والنساء لتعليم العربية، ولكننا لم نجد فيه أحداً، ولم نر مراجعاً واحداً؛ حتى للمكتية التي فيها طائفة من الكتب لا بأس بعددها، منها مراجع من أمهات كتب التفسير، والتراث، ومنها كتب حديثة، مما يتفق وفكر الحكومة الليبية، وهي بالعربية والإنكليزية.

في السوق المركزي:

هذا سوق قديم، يقع في قلب المدينة، وهو أكبر سوق للخضراوات والفاكهة، وفيه أقسام لبضائع أخرى غير ذلك، ورؤية السوق هذه مهمة على أمل رؤية نباتات من نبات أمريكا الجنوبية؛ مخالفة لما هو مألوف لدينا، وفيه مزية كونه يقع على فرع من النهر، فيأتي منه الفلاحون بمنتجاتهم الزراعية على القوارب، ويبيعونها أو يفرغونها فيه.

ولكن هذه المزية استعملت في بعض الأحيان للإيذاء، فقد نبهنا إخواننا إلى الاحتراز من اللصوص والمنتهبين الذين يكثرون فيه، والذين قالوا إن بعضهم يسرق الشيء، أو ينهبه، ثم يقفز سابحاً في مياه هذا النهر دون أن يستطيع أحد أن يمسك به، وفي جانب من السوق اختلطت مياه المحيط الأطلسي بمياه النهر، فأصبح لونها بين الزرقة والبياض.



صورة تذكارية في السوق المركزي في جورج تاون

أول شيء لفت نظري من المعروض في السوق نوع من القهوة كبير الحب، كأن حباته حبات الفاصولياء؛ إلا أنها على هيئة أقراص، ويبيعونه محمصاً بسعر ثمانية دولارات غيانية للكيلو الواحد، ويساوي ذلك عشرة ريالات سعودية تقريباً بالصرف الرسمي، وتباع غير مقشورة.

ومن الأشياء المألوفة فيه الأناناس، وهو كثير، إلا أن نوعه وحجمه مختلف، فهو أطول من نظيره الآسيوي الذي اعتدنا على أكله في بلادنا مستورداً من المناطق الاستوائية، والقريبة من الاستوائية في جنوب آسيا الشرقي، وهو أقل حلاوة.

وكذلك الموز الأخضر الكبير الحجم الذي يستعمل في الطبخ، ولا يؤكل نيئاً كما يؤكل الموز المعتاد، وهو يوجد بكثرة في الأقطار الإفريقية، وفي بعضها مثل يوغندا يستعمل غذاء رئيسياً مطبوخاً بديلاً

عن القمح والأرز، يسمونه الموتوكي.

وبجانبه يعرض بكثرة المأكول الشعبي الرئيسي في كثير من الأقطار الإفريقية، وبخاصة في غرب إفريقية، وهو الكسافا، وهو عروق غليظة كالأخشاب كثير النشا، ويكاد يخلو من المواد الزلالية (البروتينية).

وهو هنا ليس بالغذاء الرئيسي، وإنما ذلك هو الأرز الذي رأينا بعضه يباع في هذا السوق بقشره، وإنما يأكل الكسافا بعض الفقراء.

وهناك ليمون (البنزهير)، وأنواع من الخضراوات، كالسلق، والزنجبيل الطري الذي أخرج لتوه من الأرض، ويبيعون الكيلو الواحد منه بدولارين ونصف من دولاراتهم.



السوق في جورج تاون

وأنواع أخرى من الفواكه، أرونا بعضها، وقالوا: إنها تنقع في الماء لمدة يوم، ثم يشرب ماؤها، وفي طعمها حلاوة.

وشيء عندهم يزعمون أنه لهم كالتفاح، وقد اشترينا منه خمساً في حجم التفاحات الصغار، أحمر اللون، فوجدت طعمه طيباً، ولكنه هش ليس بينه وبين التفاح قرابة في شيء، وثمنها دولار واحد.

وقرع كالذي عندنا تماماً، ونسميه في نجد (قرع مصر) يبيعونه قطعاً صغاراً مع أنه هو بنفسه ليس كبير الحجم، والكيلو الواحد منه بدولار واحد من دولاراتهم.

والملاحظ أن البائعات في السوق أغلبهن من ذوات الأصل الهندي، فالإفريقيات قليلات، وهناك نسبة من البائعين الرجال خلاف ما عليه الحال في كثير من البلدان الإفريقية الاستوائية.

ومن الأشياء الموجودة بكثرة ثمار النارجيل، أي جوز الهند، وهو أخضر يفلق البائع أحياناً، وأحياناً البائعة، رأس الثمرة بسكين حادة جداً، ثم يشرب المشتري ماءه لذيذاً صافياً طيباً على المعدة.

وقد لاحظت أن أكثر المشتريات فيه هن من ذوات الأصل الهندي، وأما ذوات الأصل الإفريقي فإنهن قليلات، وقال لنا إخواننا: إن السبب في ذلك أن الإفريقيات يعملن في هذا الوقت أكثر من الهنديات لأن بعض الهنود لا يرضون بأن تعمل زوجاتهم في المكاتب العامة.

والأسعار هنا على وجه العموم، أرخص منها في فنزويلا عدة مرات، وأرخص منها كثيراً في ترينداد، ولكنها أغلى من عندنا بكثير؛ حتى الطماطم، والقرع، والخضراوات هي عندنا أرخص رغم أن هذه البلاد هي بلاد المياه، و الأنهار، واليد العاملة الرخيصة موجودة فيها، وبلادنا

في قلة الماء، وغلاء اليد العاملة، حتى ما هو محلي هنا، كالعمبة (المانجو) غالٍ جداً في هذا الوقت.

والانطباع العام عند الخروج من السوق أنه مليء بالمنتجات الزراعية، وأنه لولا الاشتراكية، وسياسة التأميم، لازداد إنتاجها الزراعي، وبالتالي ازداد دخل البلاد من الزراعة.

وقد أخبرنا إخواننا أن الحكومة الحالية تعطي من يشاء من الناس أراضي زراعية نائية، ولكنها تشترط عليهم تعميرها، إلا أنها تكون في الغالب في مناطق لا تصلها طرق المواصلات.

ولا تشكو البلاد من ضيق الأرض، ولا من كثرة السكان فيها.

وعند الساعة الواحدة ظهراً مررنا بمكتب الأخ (فضيل فيروز)، وكان قد دعانا لطعام الغداء، فأخبرناه بأننا قد نضطر للتأخر؛ لأنه ما زال لنا في برنامج اليوم بقية، واخترق الطريق جزءاً من وسط المدينة.

وكان مما لفت نظري فيها كثرة الحوانيت التي تبيع الخمور، والمشروبات المسكرة، وسعتها، ووفرة محتوياتها، فأخبرت إخواني بذلك، فقالوا: إنها كثيرة جداً، وإن الحكومة لذلك قد أعلنت أنها تتقاضى منها ضرائب أكثر مما تتقاضى على أي من السلع الأخرى.

والواقع أننا رأيناهم يشربون كثيراً، ولكننا أرجعنا ذلك إلى مناسبة أعياد الميلاد، وكان الجو في هذه الساعة من الظهر غائماً، ولكنه رطب ثقيل، وغالباً ما يتحسن بعد سقوط المطر.

بين النهرين العظيمين:

كان عجبي عظيماً من ضخامة نهر (دميرارا)، ولكن إخواني

قالوا: إن نهر (سكيبو) هو اعظم منه بكثير، وقد نظموا رحلة إلى هذا النهر الآخر الكبير، كان قائدها وسائق السيارة فيها الأخ النشيط الماهر (عبد العزيز عبد الحق)، وكان رفقاؤها هم الرفقاء المعتادون: الشيخ سالو عبد الوهاب، والأخ كمال آزاد بن محمد، وزميلي في الرحلة الرائد عبد الله العريفي.

أطول جسر عائم:

بدأت الرحلة بالخروج من مدينة (جورج تاون) مع أطول جسر عائم في العالم كله، ودفعنا رسم المرور عليه ٦ دولارات غيانية، أي سبعة ريالات ونصفاً من ريالاتنا السعودية، وهذاالرسم كثير جداً إذا عرفنا أن هناك خلف هذا الجسر قرى ومحلات يضطر أهلها للمرور فوق هذا الجسر، وربما أكثر من مرة في اليوم الواحد، إلا أن هذا الرسم هو على من يأتي إليه خارجاً من المدينة، أما أن يكون عائداً إليها، فإنه ليس عليه أن يدفع شيئاً.

حتى الدراجات العادية، أي غير ذات المحرك، عليها أن تدفع رسماً قدره (٣٠) سنتاً في كل مرة.

لقد بني هذا الجسر من الحديد، جوانبه غليظة، وأرضه من رقائق الحديد، تسمع له أصواتاً، تشفق عليه إذا سمعتها أن يسقط، أو أن تتكسر تلك الرقائق، وقد جعلوا تحتها مباشرة ما يشبه القوارب المتلاصقة تحمل الجسر، وعلى يمينه ويساره صف من الأوعية الكثيرة الشبيهة بالبراميل مربوطة بتلك القوارب، وهي خالية من الهواء، حتى تساعد على أن يظل طافياً على وجه المياه.

وفي وسطه جزء يفتح تمر من خلاله السفن، وتعطل مرور السيارات.

ويبلغ طوله حوالي ثلاثة آلاف متر، وقد بناه البريطانيون إبان حكمهم على هذه البلاد، وهذه الثلاثة آلاف متر هي أضيق مكان في هذا النهر العظيم نهر (راميرارا) القريب من المدينة، وغالب النهر أوسع من ذلك.

وهذا الجسر على هذا النهر، والنهر نفسه بسعته الكبيرة هما من العجائب التي لم يتحدث عنها الكتاب من العرب كثيراً.

وعند انتهاء السير فوق هذاالجسر العائم وصلنا إلى منطقة تسمى (غرب راميرارا)، لأننا كنا متجهين بالفعل إلى جهة الغرب، وليس في تلك المنطقة مما يلي النهر مباشرة مساكن، وإنما هو ريف فيه مزارع قصب السكر، والحشائش الوحشية المتشابكة.

ومن الجميل فيه أن رأينا أسراباً متفرقة من الغرانيق البيض الناصعة البياض، وهي من طيور الماء التي نعرفها في بلادنا، ونسعى لاصطيادها إذا مرت بنا مهاجرة من جنوب الأرض إلى شمالها، وبالعكس.

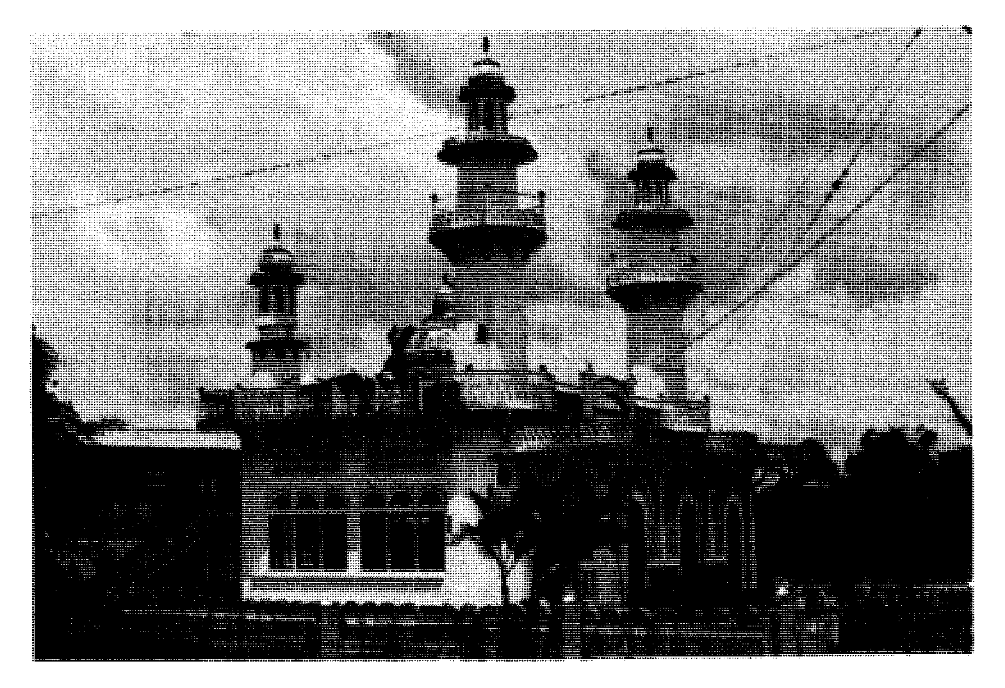
وقد أصبحت تلك الغرانيق البيض ترصع هذه الأرض الخضراء الكثيفة الخضرة إلى درجة تخرج بها إلى حد السواد في عين الناظر، فهي بذلك تبدو كأنها الأصداف البيض التي تزين نحور غانيات غيانا الخضر الشديدات السمرة إلى حد يقرب من السواد.

وهناك أشياء بيضاء في هذه الأرض التي تصبغ الآدميين بالسواد، وهي أغنام من الضأن بيض صغيرة الحجم.

قرية فورسيل:

استقبلتنا بمزارع فيها أشجار الموز والعمبة (المانجو)، وبدا لنا

مسجدها واضحاً يذكر الزائر بأن في هذه القرية طائفة من إخواننا المسلمين، وإن لم تكن كثيرة في العدد، فإنها كثيرة الحب لدين الله، والبذل في سبيل الله؛ حتى ترفع شعار بيت من بيوت الله يؤدي فيه المسلمون المقيمون فرائض الله، وتقر به عيون المسلمين المارين العابرين.



مسجد فورسيل في الضفة الغربية لنهر داميرارا

وأكثر البيوت في هذه القرية من طابقين، ذات سقوف مسنمة بسبب كثرة الأمطار، وهي بهيجة الألوان، حسنة المظهر.

محلة فريدن هوب:

كما قرت أعيننا بمنظر مسجد قرية (فورسيل) فرحت قلوبنا برؤية مسجد في محلة أخرى اسمها (فريدن هوب) مسجدها بني على الطريق

العام، وطلي بطلاء أبيض ناصع واضح يرى من بعيد.

وفي هذه القرية وقفنا لمشاهدة ميناء لها خشبي على الجانب الغربي من النهر، ويستعمل هذا الميناء للعبّارات أي السفن التي تنقل المشاة وأمتعتهم دون السيارات، وهي هنا مرادفة للجسر العائم المخصص لمرور العربات، ولا يسمح بمرور المشاة عليه.

ولم نطل المكث في هذه القرية؛ لأن أمامنا طريقاً لا بد من قطعه قبل العودة لتناول الغداء في العاصمة.

وكان مما يلفت النظر في الطريق أنه طريق جيد التزفيت، حسن السعة، وأن فيه بعض الحمير الشهب تعكر صفو المرور، أو قد تسبب الحوادث مثل ما تفعل الآن على الطرق السريعة في بلادنا خارج المدن والقرى، وبخاصة في الليل.

وذلك لأن عقل الحمير، أو قل قلة ذكائها، لا يمكنها من إدراك خطر السيارات المسرعة، كما تفعل أكثر الحيوانات الأخرى.

لم نجد الأخ ريمون:

وقفنا عند منزل على الطريق العام، وقال لنا إخواننا: إننا نريد أن نرى الأخ (ريمون)، فاستغربت ذلك، وقلت في نفسي: ربما كان مسلماً جديداً كان هذا اسمه قبل إسلامه. ولكن إخواننا المسلمين الجدد يغيرون في الغالب أسماءهم عندما يغيرون أديانهم.

وعلق الإخوان على ذلك: إنه ليس مسلماً جديداً، بل هو من أصل هندي، وهو كما يقولون رئيس جمعية متعصبة لبعض المفهومات القديمة، ولا يحب أهل التوحيد والعقيدة السلفية، قد حاول ضرب أحد

الدعاة عندما نصحه بترك بعض البدع والخرافات، ولهم اعتقاد مبالغ فيه في تعظيم الإمام أبي حنيفة، وفي يوم المولد النبوي يتلون أذكاراً، ويزعمون أن الرسول ﷺ يحضر بروحه، فيقفون جميعاً إجلالاً للرسول ﷺ، ويلزمون من يكون موجوداً عندهم بذلك.

هكذا قالوا: فقلت لهم: إذا كان الأمر كذلك، فإننا سنمر عليه، ونتحدث إليه رجاء أن نوضح له ما نعتقده في مثل هذه الأمور، وأن نبذل له النصيحة الواجبة.

وعلق أحدهم على ذلك بقوله: إن تعصب الجمعية شديد، ولا يظن أن النصح يؤثر فيهم، ولكننا لم نجده في البيت؛ بل لم نجد في المكان أحداً، فقلت ما قاله المثل المصري العامي عن رجل ذهب إلى المسجد، ولم يكن شديد الرغبة في الصلاة، فوجد باب المسجد مغلقاً فقال: (بركة اللي جت منك يا جامع).

إلا أننا بعد ذلك قابلنا المذكور في الطريق، فوقف وسلم، ولما سألته عن اسمه، قال: (رحمان ...)، وذكر أن جمعيته اسمها (إنجمان حفاظ إسلام) أي بالأوردو: جمعية الحفاظ على الإسلام. وقال: إن هدفها الدعوة العامة، ومساعدة الفقراء، ومعاونة المدارس الإسلامية، وإن جميع النفقات هي من المسلمين الغيانيين، وليس لهم من الخارج شيء.

ولما فارقنا قال أحد الإخوان أن اسمه كان (ريمون)، ولكنه غيره أخيراً إلى رحمن، وأظن أنه كان قريباً من ريمون في الأصل بسبب لفظ الاسم في اللغة التي كان والداه يتكلمان بها، وإلا فإن رجلاً يترأس جمعية إسلامية مهما كانت حالة تلك الجمعية لا يعجزه أن يجد له اسماً إسلامياً.

ثم واصلنا السير في هذه الطريق الجيدة، والأخ عبد العزيز يضغط

على جهاز دفع الوقود في السيارة فيسجل عداد السرعة مئة وثلاثين كيلو متراً، فأرجو وألح في الرجاء أن يخفض السرعة، فيقول: إنني معتاد على ذلك، ويقول أحد الإخوان: إن له خبرة في قيادة السيارات تصل إلى عشرين سنة، ولكنني رأيت من حوادث السيارات ما جعلني أخشى السرعة.

وقد حفت بالطريق إلى ما لا يبلغ البصر مداه أرض ريفية خضراء، من أبرز المناظر فيها ظهوراً أحواض الأرز الخصبة الغارقة في المياه، وأبقار ترعى قد غاصت قوائمها في الطين.

ومع تلك الحقول من الأرز ما يكون مرافقاً لها في الأراضي الاستوائية الرطبة، والشبيهة بالاستوائية إذا كان نداها غالباً، ومطرها كثيراً، وهي أشجار النارجيل، وهي هنا ريانة الفروع إلا أنها غير سامقة في السماء، ولا هي بالغة النحول كما يكون في أكثر البلدان الاستوائية الإفريقية. ومن الحيوانات التي ترعى فيها ماعز ألوانها حمر وبيض، وليست سوداً، أو سمراً كما هي ألوان الآدميين في هذه البلاد.

حتى وصلنا إلى شاطئ المحيط الأطلسي، وهو هنا كما في العاصمة يسايره شارع عليه جدار في مقدار نصف قامة الرجل من الحجارة والإسمنت، حتى يمنع مياه المحيط أن تصل إلى الشارع عند هيجان البحر.

وأما الناس الذين يرون هنا فإن أكثرهم أفارقة، كأنهم لم يغادروا إفريقية، وإن كان مضى على أسلافهم في هذه البلاد مئات من السنين، وذلك من أجل الشبه الشديد الذي قد يصل إلى درجة التماثل ما بين الجو في هذه المنطقة الشبيهة بالاستوائية من أمريكا الجنوبية، وبين الأجواء الإفريقية الشبيهة بالاستوائية.

ويراهم المرء في هذا الجزء أكثر مما يرى ذوي الأصل الهندي

الآسيوي الذين هم في العاصمة أكثر ظهوراً لعين الناظر من الإفريقيين؛ إلا ان الهنود الآسيويين موجودون هنا في كل مكان.

ولمحنا والسيارة تسير مسجداً في مكان ناء، قال لنا إخواننا: إن جماعة هذا المسجد متمسكون بالمذهب الحنفيٍّ في ستر الرأس خلال الصلاة، حتى إنهم يمنعون من جاء للصلاة معهم من الصلاة بدون (طاقية)!.

وهذا أمر معروف عند عدد من إخواننا أهل الهند؛ في داخل الهند وخارجها، ولذلك يجعلون في المساجد طائفة من الطواقي الموقوفة عليها، يضعها المصلون على رؤوسهم أثناء الصلاة، ثم يتركونها فيه إذا فرغوا منها.

ولكن المرافقين أضافوا بأن جماعة هذا المسجد أيضاً بلغ بهم الجهل بالعقيدة السلفية أن طردوا أحد الدعاة المتخرجين من المملكة العربية السعودية عندما جاء ليعظهم بحجة أنه وهابي.

ولم يكلفوا أنفسهم عناء السؤال عن معنى هذه الكلمة فضلاً عن أن يتباحثوا معه أو يناظروه فيما يريد أن يقوله لهم.

كانوا يقولون ذلك، والسيارة تمعن في هذا الجو الريفي البهيج الذي لم يكدر بهجته إلا وجود قناة مكشوفة لمياه المجاري الخبيثة، وهي تطلق رائحة خبيثة تؤذي حتى المارين فكيف بالمقيمين؟ والسبب في ذلك أن منتهاها إلى المحيط قد ارتفع، ويحتاج إلى تطهير حتى يسرع فيها جريان المياه، ولم تجد من يفعل لها ذلك، وألا وجود بط أهلي يتبختر على الطريق المزفت العام، فيضطر سائقو السيارات إلى التريث في السير حتى لا يدهسوه.

وقد ذكرني ذلك بالطرقات الريفية البعيدة عن العاصمة في ولاية كشمير التي تسيطر عليها الهند فهي أكثر بلاد الله بطاً سائباً في الطرقات العامة، وذلك من أجل وفرة المياه والأمطار فيها، فهي تشبه هذه البلاد في هذين الأمرين على فرق بينهما في قلة البط وكثرته، إلا أن أوجه الفروق بينهما أكثر من أوجه الشبه، فكشمير باردة، وغيانا حارة، وأهل كشمير بيض، وأهل هذه البلاد الغيانية سمر وسود.

والزهور البهيجة، والوجوه الصبيحة، هما المنظر الأعم في كشمير، والأمر بالعكس في هذه البلاد.

وتكررت في الطريق رؤية الحمر - جمع حمار - فساءلت نفسي: لماذا توجد هنا؟ ثم جعلت السؤال معكوساً، وهو: لماذا لا تكون أكثر، فالمياه والأعشاب متوفرة بكثرة زائدة، وماذا يريد الحمار غير ذلك؟ بل إن مثلنا العامي النجدي ينطبق عليها، وهي: (جنة حمار: ثغب وثيلة) والثغب هو الغدير، والثيلة: نوع من النبات الذي تحبه الحمير.

قرية ماتين مارقا:

مررنا من عند قرية (ماتين مارقا)، وفيها مسجد على الطريق العام متوسط السعة، وبعده رأينا مسجداً كبيراً على الطريق أيضاً، ولكن بناءه لم يكمل، وقالوا: إن رئيس الجمعية التي تشرف عليه قدمه إلى السفارة الليبية، وطلب منهم إعانة، وهو على طراز عربي خالص ذو أقواس عربية جميلة.

الريف الأخضر:

الخضرة الندية، والمزروعات التي تغلق حواشيها الأعشاب الطبيعية

المتشابكة، هي المنظر الذي لا منظر سواه في هذه المنطقة.

ولذلك لم ير إخوني المرافقون أن هذه الأمور مما ينبغي أن يلفت إليها نظر السائح مثلنا، أو حتى أن يجري الحديث فيها.

وعندما كنا في ريف تلفه الخضرة الشاملة، ويسافر البصر فيه إلى أقصى ما يستطيع من دون أن يحجزه عن الخضرة حاجز كنت أتحدث أنا ورفيقي الرائد عبد الله العريفي عن ذلك دون أن يشاركنا الحديث بقية الرفقاء.

وهو ريف مفتوح، وفيه حقول الأرز التي غرقت أحواضه بالمياه، وأشجار النارجيل والباباي الفاكهة الاستوائية الشهيرة هناك.

ولم نعدم في هذا الريف الندي من هذا الركن القصي عن بلادنا العربية منظر مسجد أبيض صغير في منازل قليلة، وذلك لأن المسلمين في هذه المنطقة هم من أصول هندية آسيوية، والمسلمون من أهل الهند معروفون بالتمسك بدينهم، والحرص على تنشئة أولادهم تنشئة إسلامية، لا يضنون في سبيل ذلك بجهد ولا مال، فتراهم يستقدمون شيخاً من أهل الهند يعلم صغارهم، ويرشد كبارهم، ويتكفلون بإيجاد سكن له، ودفع راتب يكفيه.

بخلاف بعض الأقليات المسلمة من غيرهم الذين يهملون أنفسهم، ويتركون أولادهم عرضة للضياع الثقافي، وبالتالي الذوبان والاضمحلال في المجتمعات التي يعيشون فيها، من المجتمعات غير الإسلامية.

على ضفة نهر سكيبو العظيم:

وقفنا على ميناء واقع على نهر (سكيبو) العظيم أكبر أنهار غيانا

بلاد الأنهار والمياه الكثيرة، ويسمى الميناء (فريكا)، وعنده سوق صغيرة للفواكه، والخضراوات والسلع الخفيفة، وهو يذكرني بالأسواق المحلية في المناطق الإفريقية، فأكثر المعروضات هي الفواكه المحلية التي تشبه الفواكه الإفريقية بجامع الجو الاستوائي في المنطقتين، وكذلك الخضراوات.



الزميل الرائد عبد الله العريفي في الميناء الخشبي على نهر سكيبو

ومن ذلك أيضاً أن البائعات كلهن من النساء مثل البائعات في الأسواق الإفريقية، رغم أن أغلبهن هنا من الهنديات الآسيويات، وفيهن قلة من الهنديات الأمريكيات من الهنود الذين يسمون هنا (الأمرانديان)، أي الهنود الأمريكيون، وهم الذين كانوا يسكنون البلاد قبل وصول كريستوفر كولومبوس إلى أمريكا.

ومن هذا الميناء الصغير على ضفة نهر (سكيبو) كنت أرى على

البعد أشجاراً، فقلت لأصحابي: ما أوسع هذا النهر، إنه أوسع من نهر النيل عدة مرات؛ لأن ضفته الأخرى لا تكاد ترى. فضحكوا مني، وقالوا إن ما تراه ليس بضفة النهر، وإنما هي جزيرة من جزره.

الجزر بعدد أيام السنة:

وحدثونا عن الجزيرة هنا التي ظننتها ضفة النهر، فقالوا: إن اسمها (لاقوان)، كما حدثونا عن الجزر الكثيرة في هذا النهر، فقالوا: إن عددها يبلغ (٣٦٥) جزيرة، إنها بعدد أيام السنة.

وأضافوا قولهم: إن بعض الجزر في هذا النهر كبيرة إلى درجة أنها أكبر من جزيرة (بربادوس) التي هي الآن دولة مستقلة قائمة بذاتها، ونسوا أن هناك عدة جزر تكون دولاً في العالم، وهي أصغر من بربادوس مثل جزيرة (ماهي) عاصمة جزر سيشل، وناهيك بجزر مالديف، وجزيرة مورشيوس. وقالوا: إن بعض جزره غير مسكون، وبعضها يسكنه الهنود الأمريكيون.

ولما سألتهم عن وجود المسلمين في جزر هذا النهر أجابوا: بأنهم موجودون في بعضها، وإن لم يكن عددهم كثيراً، ولذلك توجد مساجد في بعض تلك الجزر.

وعجبت من هذا النهر العظيم الذي هو بهذا الاتساع، وإن فيه جزراً بهذه الكثرة، وليس له ذكر منشور في كتبنا العربية.

ثم أخذت أتأمل الأشياء المعروضة للبيع فيه، ومنها البيض، ويبيعون البيضة الواحدة بنصف دولار (غياني)، وأخبرونا أن هذا أقل من سعره المعتاد، وإنما هو الآن معروض بكثرة لمناسبة أعياد الميلاد.

والبائعات كما قدمت أكثرهن من الهنديات الآسيويات، وأقلهن من الهنديات الأمريكيات، وقد رأيت واحدة من هؤلاء تبيع بضاعتها وهي مستلقية بعدما أدركها الإعياء.



في ميناء نهر سكيبو في غيانا

ومن أهم ما يميز الهنديات الأمريكيات عن الهنديات الآسيويات كثرة ابتسامهن للرجال، وبساطة طباعهن، وإسراعهن إلى الاستجابة للحديث.

على أن الهنديات الآسيويات قد زايلهن التحفظ الموجود لديهن في مواطنهن الأصلية في الهند، فأصبحن يبتسمن لنظرات بعض الرجال، ويسرعن في الحديث معهم، ولم أر واحدة منهن تتمسك بثيابها الهندية الأصيلة.

ومن الخضراوات الغريبة الموجودة في السوق نوع من اللوبياء الأخضر، طويل القرون، أو على الأدق طويل الأعواد، يبلغ طوله أكثر من نصف متر، أو ضعف طول اللوبياء في بلادنا ثلاث مرات، ولم أره معروضاً إلا في جزر فيجي الواقعة في جنوب المحيط الهادئ.

مع الهنود الأمريكيين:

منذ أن وصلت إلى أمريكا الجنوبية، وأنا أحاول أن أرى الهنود الأمريكيين الذين هم السكان الأصلاء الذين كانوا موجودين في أمريكا الجنوبية قبل أن يصل إليها كريستوفر كولومبس.

وقد جاءت تسميتهم بالهنود من أمرين:

أولهما: أن كريستوفر كولومبوس، وأمثاله من المكتشفين الأوائل كانوا يظنون أنهم عندما وصلوا إلى جزر البحر الكاريبي، إنما وصلوا إلى الهند، وكان وصولهم إلى الهند هو الهدف الذي أملى عليهم رحلاتهم.

ولذلك أسموا تلك الجزر (جزائر الهند الغربية)، واستمرت هذه التسمية المبنية على الجهل باقية حتى الآن.

وطبيعي أنهم إذا كانوا يعتقدون أن هذه الجزر هي أرض الهند، فإنهم سيعتقدون أن أهلها هم من الهنود.

والأمر الثاني: أن الأوروبيين كانوا في القديم يسمون بلاد الشرق الأقصى كلها الهند، ما عدا الصين، حتى اليابان كانوا يعتبرونها من الهند، ولذلك أسمى الهولنديون أندونيسيا (جزائر الهند الشرقية)، وأسمى الفرنسيون فيتنام، وما حولها بالهند الصينية، وكانت تسمية الهند الصينية تشمل أيضاً (بورما). ومن المعلوم أن أشكال الفيتناميين،

والأندونيسيين ليست كأشكال الهنود.

وعلى هذا الاعتبار الثاني يكون للتسمية وجه من الصحة، فسكان أهل هذه البلاد هم ذوو ملامح مغولية، أو إن شئت قلت كما تقول العامة في بلادنا: إنهم من أهل الجاوة المختلطين بالمغول، أو الفيتناميين.

وكانوا كما يعتقد العلماء الآن قد جاؤوا إلى أمريكا الحنوبية من أمريكا الشمالية التي وصل إليها من آسيا عن طريق مضيق (بيرنج).

وإذاً فهم من الهنود الآسيويين، كما كان الأوربيون يسمونهم، وإن لم يكونوا من أهل القارة الهندية.

وأياً كان الأمر، فإن الإنسان يحب أن يرى أولئك القوم الذين كانوا منعزلين عن العالم خلف سد من مياه المحيط العظيم الذي كان الأقدمون لا يدركون أنه تقع خلفه أرض يابسة يعيش فيها إنسان بل كانوا يهولون من أمره ويصعبون من شأنه حتى سماه العرب بحر الظلمات.

وإذا كان الإنسان في القديم قد عجز عن اجتياز هذا المحيط الأصغر الأطلسي، وهو كان الأقرب إلى مراكز المدنية في تلك العصور، فإنه كان أعجز عن اجتياز المحيط الأكبر الهادئ بطبيعة الحال.

وسألت عن أولئك القوم في ترينداد، فقيل لي: إنهم هجروها إلى فنزويلا والبرازيل، وفي فنزويلا سألت عنهم، فأخبرت بأنهم موجودون، ولكن في أماكن بعيدة على حدود الغابات، فتحتاج رؤيتهم إلى سفر بالطائرة، ووقت طويل.

وهذا بالنسبة إلى الأنقياء منهم الذين يعيشون في مجموعات خالصة،

أو قريبة من أن تكون خالصة.



قرب نهر سكيبو في غيانا مع الهنود الأمرواندیان

وإلا فإن الإنسان يلمح في بعض الأحيان وجهاً بين المشاة يقول مرافقوه: إنه هندي، ويريدون بذلك هؤلاء الهنود الأمريكيين؛ لأن الهنود الآسيويين في فنزويلا قليلو العدد، وليسوا كثرة ظاهرة كما هي عليه الحال في ترينداد، وفي هذه البلاد (غيانا).

وقد بادر إخواني إلى تنبيهي على وجود رجل وامرأة قالوا: إنهما من الهنود الأمريكيين، وهما يظهران كأنهما كوريان، إلا أن ملامح الكوريين أقل فيهما ظهوراً، وأسرعوا إلى الرجل يسألونه: أأنت من الهنود الأمريكيين؟

فأجاب: نعم، أنا هندي أصيل، وهذه المرأة مثلي، ولم نتحدث مع المرأة اكتفاء بالرجل الذي يبدو أنه قد نال قسطاً من التعليم، وكان

الجامع بينهما القصر والملامح الصينية المخففة التي بقي منها ضيق العينين، وبروز الوجنتين، وأما اللون، فإنه بين اللونين الأسمر، والأحمر.
ورحب الرجل بالحديث، وبالصورة معه. وقال: إنه من قبيلة (أرواك).



فوق الميناء الخشبي على نهر سكيبو في غيانا وبجانبي أحد الهنود المختلطين بالإسبان الأمريكيين

وتركناه فالتقينا برجلين قرويين أكثر أصالة في الهندية الأمريكية، وأكثر نقاء، وهما من قبيلة (واراوا)، وقال لي إخواني: إنهما من الهنود الأصليين الذين لم يتأثروا بالسكنى في المدينة كالأول، ولم ينالوا قسطاً من التعليم.

ورأيتهما كما وصف المؤرخون، وكما رأيت صورهم في الكتب يشبهون الفلبينيين، أو التايلنديين الذين يسكنون السواحل، فالوجنات بارزة، والعينان صغيرتان، والجسم قصير غير بدين، والأفواه ناتئة،

والأنف قصير عريض.

وقد غلبهما الخجل من أسئلتنا؛ لأنهم لم يفهموا المقصود منها، وإن كانوا قد انقادوا غير إرادة، فيما يظهر للوقوف معنا أمام عدسة المصوِّرة.

وجاء ثالث يسعى يريد أن يدرك ما يطلبه الأولان، وهو الركوب بأحد القوارب الصغيرة التي تعمل في مياه النهر تنقل السكان إلى الجزائر المتفرقة فيه.

فسألناه الأسئلة المعتادة عن أصله، وفصله، وقبيلته، ولم يضق بالأسئلة، وإنما ضاق صدراً بعدمِ معرفته المقصود منها تماماً مثلما قد يضيق صدر أعرابي إذا سئل سؤالاً مباشراً عن مثل هذه الأمور.

وقال: إنه من قبيلة (أرواك)، وهو أكثر سمرة من أولئك، وأقصر جسما. وقال إخواننا: إنه أنموذج لطائفة من هؤلاء القوم.

وتركنا الهنود الأمريكيين في حيرتهم يشاركهم في الحيرة بعض المشاهدين الذين لم تهضم عقولهم السر في هذا الاهتمام بهؤلاء الأقوام الذين لا يزيدون في نظرهم على كونهم من القرويين الذين لا يستحقون الاهتمام من الآخرين!.

وتمشينا في هذا الميناء الخشبي الذي كان من خشب رديء، وقد أبلته المياه والرطوبة، وشاركنا في التمشي فوقه طائفة من الأبقار الكبيرة الشبيهة بالهولندية التي لونها السواد والبياض، ومعها أبقار أخرى حمر قانٍ لونها تسر الناظرين.

وقد جاءت تلك الأبقار تأكل من فضلات الخضراوات، وقشور الفواكه التي ترمى في هذا السوق، ومن الطريف في الأمر أن هذا الميناء الخشبي المقام على مياه نهر (سكيبو) له باب عليه رجل أظنه من

الشرطة يراقب الداخلين والخارجين، وإن كان لا يقول لهم شيئاً، فكأنه بذلك قد سمح لهذه الأبقار بالدخول.

وكان الجو قد غام، فخفف من أشعة الشمس، وإن كانت الرطوبة لا تزال ثقيلة، وقد أخذت السحب الداكنة البعيدة تضرب هذه الأرض الأمريكية بسياط من المطر الهاطل، وهي لا تكف عن ضرب جزء حتى تخلفها على ذلك سحب أخرى، أو تضرب جزءاً آخر في هذا الفصل المطير من فصول السنة، فلم نفارق المطر لحظة واحدة إلا حيث كنا نرى السحب الماطرة في أفق من الآفاق، أو في عدد من الآفاق.

العودة إلى جورج تاون:

بعد هذه الرحلة القصيرة الممتعة بدأت العودة في الساعة الثالثة والنصف ظهراً، وبيننا وبين المدينة حوالي سبعين كيلو متراً لا بد من أن نقطع في نهايتها الجسر العائم الطويل على نهر (راميرارا).

ولكن سائق السيارة، وقائد الرحلة الأخ عبد العزيز عبد الحق قد تكفل بقطع هذه المسافة في وقت قصير؛ لأنه يسير وكأنه يطير، وهو لا يبالي بعذل العاذلين في هذا السير غير الأمين العاقبة. وبهذه المناسبة سألتهم عن قيمة الوقود عندهم، فأجابوا كلهم بمرارة من يكتوون بغلاء البنزين أنه ستة دولارات وربع للجالون من دولارات غيانا، كما يذكرون، ويساوي هذا سعره عندنا ثلاثين ضعفاً.

وأما السيارة، وهي يابانية جيدة من طراز (تايوتا) فإن قيمتها عندهم سبعة عشر ألف دولار أمريكي، وهو ضعف ثمنها في بلادنا مرة ونصفاً.

الجسر المغلق:

عندما شاهدنا أول الجسر العائم فوق نهر (راميرارا) قالوا: إنه مفتوح، وقال بعضهم: إنه مغلق، فهو مفتوح للسفن، تمر من وسطه، ولذلك يكون مغلقاً عن السيارات، ورأيناها تنتظر. فقال الإخوان: إن الانتظار في وسط السيارة، والساعة الآن تقارب الرابعة، هو عذاب، والأولى منه أن نذهب إلى بيت الله نصلي، حتى يأذن الله لهذا الزحام بالتجلي، لاسيما ونحن بحاجة إلى الطعام؛ لأن وقت الغداء قد حان، وقد فات أوانه، غير أن ألم الجوع لم يزل.

فرجعنا إلى مسجد قريب صغير مبني من الخشب على الطريق، فوجدناه نظيفاً واقعاً في أرض ندية؛ حتى إنه لا يمكننا المرور إلى الحمام فيه إلا على خشب مرفوع.

وأما الحمام، فإنه مرفوع على خشب مثل سائر ما هو في هذا المسجد من الخشب، والماء من تحته ظاهر.

وقد وضعوا خزاناً مرفوعاً عن الأرض قليلاً تمتد منه أنابيب لمياه الوضوء.

وعجبت من كثرة المساجد في هذه البلاد ما كان منها ظاهر المعالم، واضحاً لمن لا يطلبه، وما كان منها يحتاج العثور عليه إلى بحث وتطلب.

وهذا المسجد صغير وليست له منارة، وإنما يميزه علامة الهلال مصنوعة في بابه الخارجي الحديدي، وسقفه من الصفيح على هيئة السنام حتى ينزلق عنه المطر.

وأما أرض المسجد، فإنها قد تشابكت فيها الحشائش، ونمت فيها

الأعشاب حتى لا نرى من وجه التربة فيها شيئاً.

وكانت صلاة خاشعة نسأل الله تعالى أن يكتب لها القبول. وأسرعنا بعدها إلى الجسر، فإذا به قد فتح للسيارات، وأغلق دون السفن، فسارت السيارة، وأرض الجسر تحتها تقعقع، وتكاد تفرقع، لأنها من رقائق الحديد غير المتصل بعضه ببعض.

فكان الوصول إلى (جورج تاون) بعد الرابعة، وكان الغداء بعد ذلك بفترة في بيت الأخ الوجيه الثري النشيط في الدعوة إلى الله (فضيل فيروز)، وبيته كبير، أسفله متجر واسع عامر بالسلع، وهو عالي السقف، ولذلك جعل فيه شرفة استعملها مكاتب لإدارة أعماله، واستقبال رجاله.

وأعلاه مسكن له واسع، جميل الترتيب والتنسيق، عامر بالتحف، وأدوات الزينة. وكان طعامه جميلاً؛ خالياً من العيبين الرئيسين في طعام أهل الهند الذي لا يغيره أكثرهم حتى في المهاجر، وهما: الفلفل الحار، والدسم الثقيل.

ولم نعد إلى الفندق إلا قرب السادسة، فكان البقاء في الفندق بعد الراحة بمثابة السياحة التي لا يبرح المرء فيها مكانه، ففيه مقصف في هواء طلق من فناء مكشوف تمتد منه حديقة واسعة منسقة، وفي هذا المقصف طوائف من الرواد من أهل البلاد، ومن غير أهل البلاد، وهم كثير بمناسبة أعياد الميلاد.

وأكثر ما يعملون فيه وأمثاله أن يشربوا فيطربوا، فتخف أحلامهم، ويكثر كلامهم؛ حين تعقل الخمر عقولهم، وتطلق ألسنتهم، فتسمع لهم قهقهات يخيل إليك أنها قهقهات المجانين الذين أحالهم الجنون إلى قوم قد

ودعوا الأحزان إلى حين.

ولكنك تعلم كما يعلمون أن ما به يحلمون من سعادة إنما هو عرض سريع الزوال وظل وشيك الانتقال، يسلمهم بعد ذلك إلى هجير من لهيب الأحزان الذي يضاهي لهيب النيران. لا سيما إذا أعمل المرء منهم فكرته بعد سكرته، وعرف أن جيبه كان قد خف مثل ما خف عقله، وقد أعطته الخمرة سروراً مؤقتاً يفضي إلى حزن طويل؛ يرى أنه لا بد له من الفرار منه من أن يلجأ في إثرها إليها، فيقول لسان حاله كما فعل أبو نواس في مقاله:

وكأساً شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

وأما النساء، فإنهن يبدون، أو يبدو بعضهن أقل حياء في هذه الأيام، وأسرع في الإقدام على الكلام حتى وإن كانت الواحدة منهن لم تسكرها المدام، وإنما أسكرتها الأحلام في الغرام.

وأذكر أن واحدة منهن كانت في المائدة المجاورة لمائدتنا، ومعها رجلان، فأخذت تسارق النظر إلى أحد الذين في جوار مائدتها، ولكنه لم يبادلها ذلك، وإنما انصرف عنها غير مبال، فانصرفت هي عنه حزينة.

يوم الأربعاء ١٤٠٣/٢/٢٧هـ ٢٣ ديسمبر ١٩٨١م:

كان الجو هذا الصباح مطراً متواصلاً، وعندما كنا في السيارة مع رفقاء الجولات في هذه الرحلة الذين كانوا معنا بالأمس سألتهم عن السر في كثرة هذه الأمطار التي لا تكاد السيارات تسير بسببها في الشوارع؟ فأجابوا إن ذلك هو عيد الميلاد، إن عندهم موسم الأمطار فهو هنا يقترن ذكره بالمطر كما في بلاد الغرب الأوروبي الباردة يقترن ذكره بالثلج أو الزمهرير.

وقال أحد الإخوان متسائلاً: وماذا عن الأعياد في بلادكم؟ وبماذا يقترن ذكرها به في أذهانكم؟

فقال قائل منا مسارعاً: إن ذلك بالشمس، إن الشمس هي الشيء المؤكد حصوله في بلادنا ولله الحمد. وكم تمنى متمن في بلاد كثيرة، وبخاصة من تلك البلاد التي تحتفل بعيد ميلاد المسيح عليه السلام أن تكون أيام أعيادها، أو حتى بعض أعيادها مشمسة.

وكان من المقرر لنا أن تكون أول فقرة في زياراتنا هذا الصباح إلى حديقة الحيوان؛ غير أن تواصل المطر الكثيف حال دون ذلك، وجعلنا نقدم زيارة المتحف الوطني عليها.

في المتحف الوطني

أول ما يرى الرائي في هذا المتحف، وهو ليس بالغ الاتساع، نماذج من الحجارة الخاصة الشبيهة بالمتمعدنة، وأنواعاً أخرى من حجارة المعادن كالذهب والماس، ثم أنموذجاً لسفينة من سفن القبيلة الهندية الأمريكية (أراوانا)، ثم نولاً أي آلة قديمة في هذه البلاد لغزل القطن. ورسماً مجسماً لكيفية إخراج المعادن كالذهب والماس من الأرض.

وهذه أشياء قديمة، أو نماذج لأشياء أثرية قديمة عرضوا بجانبها شيئاً حديثاً هو سيارة (رولز رويس) البريطانية الفاخرة، قالوا: إنها قد أهدتها الملكة إليزابيث (الملكة الحالية لبريطانيا) إلى رئيس غيانا الحالي (مورتام)، ولكنه رفض أن يستعملها، وهي بهذا القدر وأمر بأن تحفظ في هذا المتحف.

وليس هذا المتحف بمكان لها ولأمثالها، ولكنه مكان مناسب للدعاية له ولأتباعه، هكذا قيل لنا: إنه لم يستعملها، وإنما أمر

بحفظها في هذا المتحف قبل أن يستعملها.

وهناك نماذج ليست كاملة لنقود معدنية في بعض دول العالم، ولم أجد بينها لنا نقداً.

آلة تنقية المياه:

من طريف ما رأيناه في هذا المتحف الأدوات التي كان الهولنديون؛ يستعملونها أول ما وصلوا إلى هذه البلاد في تنقية المياه من الشوائب لشربها، وهي أو عية حجرية من حجر رملي يضعون الواحد منها فوق الآخر، فيرشح منه الماء من خلال الحجر، إلى الذي تحته، ولا يمر مع الماء شيء من التراب أو الشوائب، وقد كتب عليه أنه إذا ملئ بالماء، وهو يتسع لحوالي عشرة ليترات، فإنه يحتاج إلى ساعة كاملة لكي ينفذ منه الماء، وذلك لأنه يرشح منه قليلاً قليلاً.

وفي هذا الموقع مدافع قليلة قديمة، وقنابل للمدافع القديمة كذلك، وهي مألوفة لمن يهتمون بالاطلاع على هذه الأمور، وليس فيها من الغرابة شيء.

أسواط العبيد:

من المناظر التي تشمئز منها النفوس أسواط جلدية معروضة، في أطراف بعضها ست شعب من الجلد، كتب عليها أنه كان يستعملها الهولنديون في ضرب العبيد.

ويذكر أن الهولنديين لهم تاريخ أسود في استعباد الإفريقيين، وبعض الأندونيسيين، وكانوا من أقسى الأوربيين قلوباً، وأقلهم رحمة، وأكثرهم تعصباً لأوربيتهم، واحتقاراً للأجناس الأخرى، وما

قضية التمييز العنصري في جنوب إفريقية إلا مثالاً واضحاً على ذلك.

ثم نماذج لملابس النساء في منطقة البحر الكاريبي قد وضعوها على لعب صغيرة، وبجانبها نماذج من ملابس النساء في أوروبا، وآسيا، وأستراليا، وإفريقية، ولم أرهم وضعوا لبلادنا العربيةشيئاً، ولا ذكروها بشيء، وكذلك بالنسبة لنماذج الفواكه، فهي من عدة أقطار ذكروها، ولم يضعوا فاكهة البلاد العربية، مع أن الشرق الأوسط، وبخاصة بلاد الشام، من أشهر البلدان في إنتاج الفاكهة في القديم والحديث؛ بل لم أر لنا، نحن العرب، ذكراً، أو حتى تلميحاً بذكر، إلا في شرفات عربية على أنموذج لقلعة إسبانية من القلاع التي بناها الإسبانيون في جزر البحر الكاريبي، عند وصولهم إليها.

وهي بلا شك مما استوحوه من طراز العمارة الأندلسي الذي هو طراز عربي إسلامي ظل قائماً بذاته يدرس ويحتذى مثاله حتى الآن.

ولذلك قال الأخ عبد العزيز عندما رأى هذه القلعة: إن الأفضل أن تلتقط لها صورة تهديها إلى ابنك ناصر, لأنه يعرف أنه مهندس معماري.

ومع ذلك فإنهم ذكروا إيران بشيء، وإن لم يكن يشعر بمدح أو ذم، وذلك في معرض الحديث على جرار - جمع جرة - كبيرة من الفخار، مصنوعة لنقل الزيت فيها، وقالوا: إنها بناء على أنموذج إيراني.

أشياء حديثة:

في هذا المتحف، الذي يفترض أن يضم عاديات ومخلفات قديمة، توجد أشياء حديثة جداً من دون أن تؤلف مع غيرها قسماً من أقسامه، ومن ذلك الصاروخ الذي رفعت عليه عربة الفضاء الأمريكية (أبولو

الخامسة)؛ إلى جانب سيوف، ومسدسات قليلة، وفي مواضع أخر وضعوا سفينة صغيرة من الألمنيوم مصنوعة في غيانا.

الحيوانات المحنطة:

لعل أنفس ما في هذا المتحف، وأوفره وجوداً، طائفة من الحيوانات الأمريكية الغريبة محنطة باقية على أشكالها، وهي حية لا ينقصها أن تسعى وترعى إن كانت مما يرعى، أو تطير إن كانت من الطيور، إلا أن تنفخ فيها الروح.

ومع أن هذا الوصف خيالي، فإنه كاد يصبح حقيقة بعد أن زرنا حديقة الحيوان، بعد زيارة هذا المتحف اليوم، ورأيت الحيوانات المحنطة، وأكثرها حية تتحرك، كما سيأتي الكلام عليها.

من الحيوانات الغريبة المحنطة، نوع أمريكي من آكل النمل، ظهره عليه درع، أو مايشبه الدرع، من الأصداف، فكأنه السلحفاة، وأما ذنبه، فإنه يشبه ذنب الضب تماماً.

وهذا أنموذج غريب، ويضفي وجوده في المتحف أهمية بالغة.

ثم حيوان كتب عليه أنه بقرة الشجيرات (بش كاو)، وليس له بالبقرة أية علاقة شبه. ثم قرود سوداء غريبة، وأخرى صفراء تميل إلى الحمرة، وهي نادرة، لا بلونها، فهناك قرود تقاربها في اللون، ولكن بأشكالها.

ثم القندس، ويسميه كتبة العربية المحدثون كلب الماء أخذاً من التسمية الإنكليزية (دق ووتر)، أو قل ترجمة التسمية ترجمة حرفية، ومرجع ذلك جهلهم بكتب الثقافة العربية التي ذكر فيها هذا

الحيوان، ونصوا على تسميته بالقندس.

وهو حيوان مائي بري يعيش في الماء، ولكنه لا يستغني عن الخروج أحياناً إلى الهواء، وهو من أكلة اللحوم المائية كالأسماك ونحوها.

والغرابة في هذا الموجود هنا هو أنه أبيض اللون، والمعروف المعتاد منه، هو أشهب اللون. وحيوان غريب جداً كتبوا عليه اسمه بالإنكليزية (بش دق) أي كلب الشجيرات، مع أنه لا يشبه الكلب، وليس له بالكلاب أية علاقة تشريحية، ولم أره في غير هذا المكان.

وآخر يسمى (قرد الليل)، وهو كذلك ليس من القرود، ولا يلاحظ مثلنا عليه أنه يشبهها، وهو صغير جداً، وله ذيل طويل جداً، ولونه أبيض غير ناصع؛ بل يميل إلى لون الرماد.

وكنت أشعر، وأنا أشاهد محتويات هذا المتحف، أن مشاهدته وحده تستحق رحلة، فلو لم يكن للمرء من غرض في هذه البلاد، إلا ذلك لكان مبرراً قوياً للوصول إليها.

ومن الطيور الغريبة المحنطة فيه طائر كتبوا عليه أنه (طائر الزيت) أبيض، وقالوا: إنه ينطق كالببغاء، ونوع كبير من الطائر المسمى نقّار الخشب، وهو أحمر الرأس. ونوع من الحمام لونه أسود غير حالك السواد. ثم السمانى التي نسميها الصفّار، وهي من الطيور المهاجرة التي تأتي إلى بلادنا مارة بها في هجرتها من جنوب الأرض إلى شمالها، وبالعكس في كل ربيع وخريف من كل عام، وطائفة مختلفة من طيور مائية غريبة. ومالك الحزين المشهور الذي تقول القصص التي قرأناها بالعربية: إن مبعث حزنه أنه نصح غيره، ولم

ينتصح هو نفسه، فلما وقع في المحذور، حزن على ذلك.

ومن المؤسف في هذا الصدد أن كثيراً من كتاب العربية المحدثين، لا يعرفون اسمه العربي الأصيل مالك الحزين، وإنما يذكرون له اسماً مترجماً من اللغات الأجنبية، أو وصفاً مستوحىً من ذلك.

حيوانات غريبة:

من ذلك هيكل عظمي لنوع منقرض من النمور، وحيوان يدعى (بقرة الماء)، وهو لا يشبه البقرة، وإنما يقرب في الشبه من (عجل البحر).

وحيوان يسمى (لابا)، ونوع من النيص الذي يسمى في العربية الفصحى (الشيهلم)، وهو معروف في بلادنا باسم النيص، وله شوك على ظهره هو سلاحه إذا هاجمه أحد نفضه عليه، فأصابه واخترق جلده؛ لأن هذا الشوك صلب حاد الطرف، وهذا الذي في بلادنا، وأما الموجود منه هنا، فهو أحمر، والذي عندنا منه هو أشهب كبير أكبر حجماً من الأرنب قليلاً، ويسميه بعض العوام عندنا شيخ القنافذ لقرب شبهه بالقنفذ.

ثم أنواع من القرود النادرة صغيرة الأجسام جداً.

وقد خرجنا من هذا المتحف معجبين بنفاسة ما فيه من هذه المخلوقات المحنطة التي يختلف كثير منها عن الموجود منه، ومن فصيلته في بلادنا بل في بلاد العالم القديم كله.

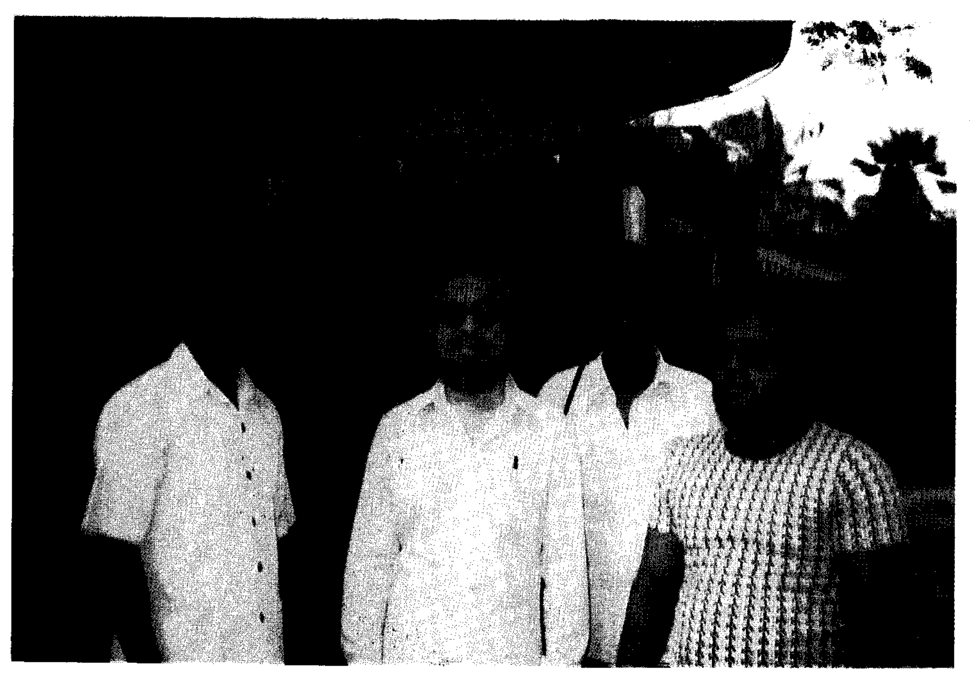
وذلك بأن الأمريكيتين كانتا في معزل عن العالم القديم لأوقات

طويلة. ويمكن أن يقال إن هذا المتحف صغير، قليل المحتويات، ولكنها محتويات نفيسة تضفي عليه أهمية كبيرة.

في حديقة الحيوان:

خف هطول المطر قليلاً، ولكن الأرض فيها ما تبقى من مائه الذي لم يذهب إلى المحيط، أو إلى نهر (راميرارا).

فذهبنا إلى حديقة الحيوان، فكان أول منظر ملفت للانتباه فيها منظر قرد أدهم اللون، أي أسود يضرب إلى الحمرة، وهو يضحك، ويخرج لسانه من الضحك، ولولا أنني رأيته يفعل ذلك لما صدقت به.



في حديقة الحيوان في جورج تاون مع المرافقين

ونوع من الببغاوات، كبير أزرق اللون جداً كله، لا يخالط زرقة

ريشه أي لون آخر، ما عدا عينيه، فإنهما ليستا زرقاوين. ثم طيور صغيرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين.

أين هواة الصقور:

وتمنيت أن قوماً من قومي أعرفهم، كانوا معنا، لينظروا إلى أنواع معينة من الصقور، فهم كانوا بها من الخبراء، وللحديث عنها من المستمعين المشوقين، وبعضها غير مألوف الألوان في بلادنا؛ لأن ألوانها متعددة متنوعة، فمنها بيضاء اللون، ومنها ما هو رمادي اللون، ولكن شكله غريب على أعيننا.

آكلة الأطفال:

ومن الطيور الجارحة الغريبة هنا نسور سوداء تماماً، غريبة الشكل، مخيفة المظهر، وقد كتب عليها أنها من آكلة الأطفال.

أي نعم، هكذا كتبوا، لأن هذه النسور قد تتخطف الأطفال، وتأكلهم، وقد وصفوا هذا النسر بأنه نسر أمريكي، وهذا يعني أنه غير موجود في العالم القديم في الأصل. وهناك نسر آخر أسود، يقولون: إنه يعتدي على الرجال الضعفاء؛ لأنه كبير الحجم، شرير الطبع.

حتى الطيور الجارحة فيها، رغم إخافة منظرها، ما هو طريف، من ذلك صقر كتبوا عليه بأنه الصقر الضاحك. وربما كان ضحكه دليل ظرفه، أو تمدينه، لذلك لا يخطف الأطفال، وإنما يأكل الزواحف، كالسحالي، وكذلك صغار الحيوان كالفأر.

ومن الطيور الجارحة التي تفترس الطيور الصغيرة، وتأكل

الحيوانات الصغيرة أيضاً كالفأر، البوم، وهو هنا أنواع منوعة، منه نوع صغير الحجم.

حيوانات غريبة:

من ذلك نوع يشبه الخنازير البرية، غريب الشكل، وآخر غريب الوصف، أخذنا صورة معه مع رفقاء الجولة الذين هم المعتادون.

وعلى ذكر الرفقة، أقول:

إن المتفرجين قليلون جداً رغم أن في الحديقة ما يغري بالفرجة والاطلاع، وقد قال لي إخواني: إن السبب في ذلك هو سقوط الأمطار. والحقيقة أن المطر قد وقف، وأشرقت الشمس لبعض الوقت، ثم اختفت، ولكن المياه كانت تغمر الأرض.

وهناك نوع من الحيوان يسمى (بقر الشجيرات) شبيه بعجل البحر، حيوان غريب ليس له اسم بالإنكليزية، وإنما ذكروا اسمه الهندي الأمريكي، أي الذي كان يسميه به الهنود الأمريكيون؛ لأنه لا يعرف في غير هذه المنطقة، واسمه بلغتهم (كادت موندي كيبوهي)، وقالوا: إنه من الحيوانات التي تفترس، وتأكل العشب، أي من آكلة اللحوم والأعشاب في آن واحد، وله أنف قصير، إلا أن رأسه يشبه رأس خرطوم الفيل.

القرد السارق:

يقال قديماً: إن اللصوص يكونون في الغالب من الظرفاء، وذلك بأن السرقة تتطلب لطف الحيلة، والدقة في اختيار المدخل والمخرج. وقد يكون في حالة هذا القردالذي وصفوه بأنه سارق ما يدل على

ذلك. فقد رأيناه يسرق بالفعل طعام غزال موضوع بجانب الركن الذي فيه، وقد وضعوه بجانب الغزال لهذا الغرض، أي: ليروا المتفرجين طبيعة هذا القرد.

وكان القرد يراقب الغزال، فلما كف قليلاً عن الأكل، أسرع القرد يقفز الحاجز الذي بينهما، ويلتقط بعض ما كان لدى الغزال، وينصرف بسرعة، فلما صار على الحاجز بينهما؛ بحيث لا يصل إليه الغزال، وقف يأكل ما أخذه. ولا أدري ما هو، ولكن ربما كان بعض جذور النبات.

وهنا تظرف أحد المرافقين، وهو الشيخ سالو عبد الوهاب قائلاً: هل هذا الطعام حلال للقرد، وهو سرقة؟ فأجاب أحدهم قائلاً: حلال، لأن القرد حيوان ليس مكلفاً. فعلق أحدنا قائلاً: إن القرد يفهم أكثر من غيره من الحيوانات، فهل عليه من العقاب على الذنوب بقدر ما أعطاه الله من الذكاء؟

والقرد (الشحاذ):

وانتقلنا لمشاهدة قرد آخر؛ وصفوه بوصف غريب مميز، كما وصفوا سابقيه: أحدهما بأنه الضاحك، والآخر بأنه السارق، فقالوا: إنه القرد السائل (الشحاذ). فما أن وقفنا عليه حتى مد يده بالاستجداء بطريقة غريبة في الحيوان، قد تكون مماثلة تماماً لطريقة السؤال والاستجداء عند بعض بني الإنسان. ذلك بأنه لم يقتصر على مد يده، فقد يقال: إنه يفعل ذلك بطريقة آلية قد تعود عليها، وإنما خيّل إليّ أن في نظرات عينيه، وتعبيرات وجهه، ما يدل على الاستجداء والسؤال، فهو ينظر بذل وانكسار، كما يفعل المستجدي من بني آدم، ويتظاهر

بالمسكنة، ليرحمه الآخرون.

وأنواع القرود الأخرى الموجودة هنا كثيرة، وأكثرها من الأنواع النادرة، فمنها نوع أسود حالك السواد، وجهه صغير أحمر، وعيناه خضراوان قليلاً، وأنواع صغيرة جداً مختلفة الألوان، وأما الأسُود -جمع أسد- فمنها ما هو أكبر من المعتاد، ومنها ما هو أصغر من المألوف عندنا، وكلاهما غريب.

وقد رأينا السائس يقدم لها اللحم، وأخبرنا أنه لحم بقر كبير السن، ولما سألته عما إذا كانت تأكل لحوم بعض الحيوانات التي لا ثمن لها كالحمير والكلاب؟ فأجاب بأنها تأكل تلك اللحوم، ولكنها تضرها بخلاف لحم البقر.

وعلى ذكر الأسد أقول: إننا رأينا طائفة غريبة من القطط الوحشية التي تسمى عندنا في نجد (التفه)، وهي تسمية عربية فصيحة، ومن ذلك المثل العربي القديم: (أغنى من التفه، عن الرفة)، أي أغنى من القطط الوحشية عن التبن، وذلك أن الرفة هنا هي التبن، والقطة الوحشية تعيش على اللحم، ولا تأكل الحشائش والنبات مطلقاً، وهنا القطط الوحشية، أو كما توصف في بعض الكتب العربية: البرية تختلف عن الموجود منها في بلادنا في اللون، وإن لم تخالفها في الحجم والشكل.

حتى الضبّ:

انتقلنا من مشاهدة مخلوقات مألوفة النوع، وإن يكن بعضها غير مألوف اللون، أوغير متفق في ذلك مع ما نعرف عنه مثل أرنب أحمر اللون، حمرة قانية، وماعز أحمر جداً، مع ميل إلى الصفرة، فهو في

لون الذهب اللامع. إلى الضبّ، نعم، إنه الضب ضبنا في الجزيرة العربية؛ غير أنه ليس أشهب أغبر هنا، كما كان عندنا، لأن ندى الجو، وخضرة الأرض قد أذهبت عنه ذلك.

على أنهم لم يوضحوا طبيعته في هذه البلاد، ولا ما إذا كان مثل ضبنا العربي، يعيش عمره كله دون أن يذوق الماء، وإنما يجتزئ عن ذلك بالنسيم، كما يقول بعض الشعراء في القديم، ولا ما إذا كان يعتكف في جحره طول فصل الشتاء البارد، لا يأكل شيئاً، وإنما يأكل رجيعه كما يقول علماء العرب، أو يستعمل القدرة التي أعطاه الله إياها في عملية إيقاف الحياة الكاملة فترة من الزمن، وهو إذا فعل ذلك، فإنه لا يحتاج إلى أي نوع من أنواع الغذاء اللازم للحياة، كما يفعل غيره من الحيوانات طبقاً لما يقوله بعض علماء الغرب الذين فهموا هذا الموضوع، وحاولوا، ولا يزالون يحاولون أن يصلوا إلى سر إيقاف الحياة عند بعض الحيوانات والأسماك؛ لكي يستعملوها في بني الإنسان؛ عسى أن يتمكن الإنسان بواسطتها من أن يوقف حياته لفترة من الفترات، بستعملها بعد ذلك في الأوقات الأخرى التي يحتاج فيها إلى أن يظل فيها حياً قبل أن يفاجئه الموت.

وهذه مسألة غريبة، ولكنها معروفة مألوفة منذ القدم، وإن اختلف الناس في تعليلها، ولكن الغرابة أيضاً في نوع هذا الضب الأمريكي الجنوبي، فلونه أخضر، ليس كلون ضبابنا، ونوع منه رأيته يعيش في الماء كما يفعل التمساح، يخرج منه، ويظل خارجه فترة.

وهذا مما جعله يختلف عن الضب العربي أيضاً، وربما لا يكون بينهما من أوجه الشبه إلا مماثلة المظهر.

أما أهل الحديقة، فربما كانوا لا يعرفون الضب العربي، ولا اسمه، ولذلك لم ينوها باسم ضبهم، وإنما ذكروا أنه نوع من الزواحف، وهذا صحيح، وإن كان لا يغني عن تسميته؛ لأن الزواحف كثيرة ومتنوعة. وهنا سألني الشيخ سالو عبد الوهاب: أهو حلال الأكل كالضب العربي، أم حرام؟

فأجبته: إنني لا أدري ما إذا كان اسم الضب يشمله، ولكن الذي يعيش في الماء والبر هو حلال كما قال العلماء في الذي يعيش في الماء والبر، كالسرطانات (أبو جلمبو)، والضفادع، والسلاحف: جمع سلحفاة.

والحيّات الغريبة:

فقد رأينا بعضها كبيراً شكله شكل الحياة المألوفة، ولكنه يعيش في الماء، وليس أسماكاً كالتي تعيش في البحر على هيئة الحيات، وثعابين ضخمة، وبعضها تخرج من الماء، فتتسلق جذع الشجرة ثم تعود إلى الماء، وأكثرها غير مألوف لنا.

والطيور كذلك:

فيها أنواع نعرفها مثل الغرانيق - جمع غرنوق - وهي طيور بيض من طيور الماء.

وطيور أكبر من العصافير قليلاً؛ تسمى (ذات الألوان السبعة) لتعدد الألوان في ريشها، وذكرت بهذه المناسبة ذات الألوان السبعة في جزيرة مورشيوس، وهي بقعة من الأرض تتعدد ألوان التربة فيها، مع أنها بقعة صغيرة، وقد ذكرت ذلك في كتاب: «جولة في جزائر البحر

الزنجي».

وخرجت من الحديقة بانطباع هي أنها كالمتحف ثمينة في قيمة محتوياتها، وإن كانت غير واسعة في مساحتها، وغير غنية في كثرة حيوانها.

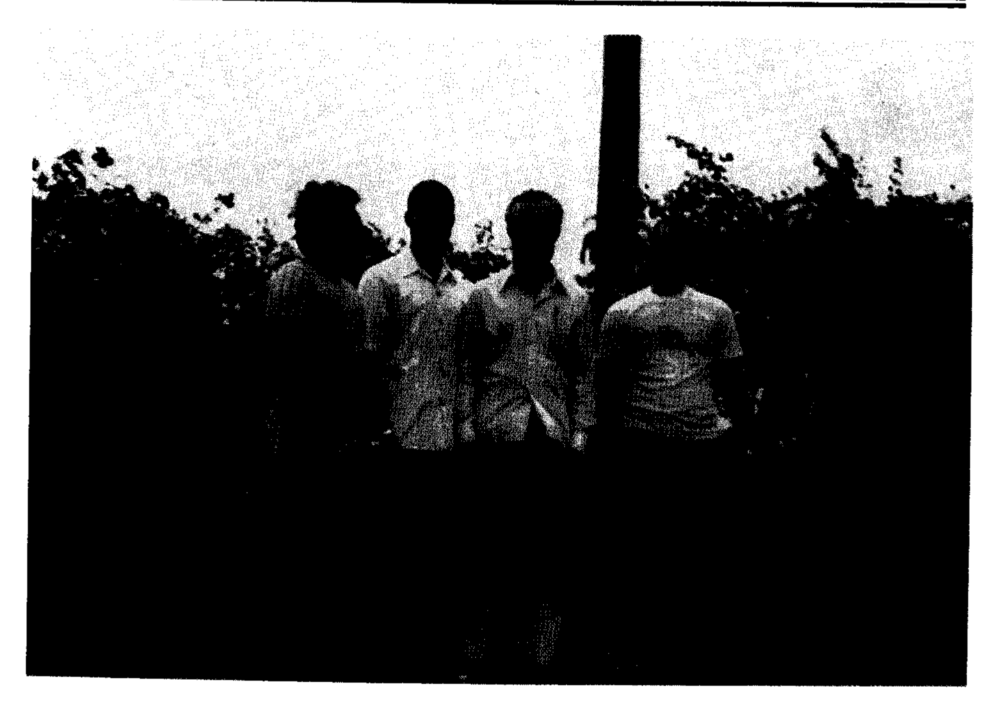
ومن أوجه النقص فيها أنها كالمتحف أيضاً ـ لا يوجد فيها كتاب أو أوراق منشورة؛ تتكلم عن تاريخها، وتوضح النفيس من محتوياتها كما تفعل معظم الحدائق الأخرى، تجعل ذلك معداً للبيع يأخذه الزوار للفائدة والاستذكار.

حديقة الزهور:

يفضي الباب الخارجي لحديقة الحيوان إلى حديقة أخرى واسعة، أوسع من حديقة الحيوان بكثير، فيها زهور مختلفة الألوان والأنواع، ولكنها ليست كما يجب أن تكون عليه من حيث الإمكانات المتاحة لها من أمطار وفيرة، وأيد عاملة رخيصة، وطقس لا يكاد يتغير طول السنة.

وفي ركن من هذه الحديقة يقع منزل رئيس الجمهورية؛ أبيض اللون، ضيق المساحة، صغيراً مؤلفاً من طابقين؛ يشبه مساكن سائر الناس في بلادنا، وهو مبني من الخشب لأنه أرخص المواد المتوفرة في هذه البلاد، وأما الإسمنت والحديد، فإن ذلك غالٍ جداً كما أخبرونا.

وبقربه في ركن من هذه الحديقة الواسعة أقاموا نصباً عليه تمثال لزعيم يسمى (كوفي) قالوا: إنه الذي عمل على تحرير العبيد في هذه البلاد.



في حديقة الزهور في جورج تاون
من اليمين: العريفي فالمؤلف فالشيخ سالو عبد الوهاب

مقر البعثة الإسلامية الغيانية:

جميع الجمعيات والمؤسسات التي مررنا بها من قبل أسسها مسلمون من أصل هندي، وإن كان ذلك لا يمنع من أن يكون بين أعضائها من هم ليسوا كذلك.

لذلك نوه أحد إخواننا بأن الجمعية التي نحن ذاهبون إليها قد أسسها الإخوة المسلمون الذين هم من أصل إفريقي؛ اسمها (جمعية البعثة الإسلامية الغيانية).

وصلنا إليها في حي من أحياء قلب مدينة (جورج تاون) يسمى (بودا)، فوجدنا في الاستقبال عند الباب الخارجي للجمعية الأخ

(شاكر حنيف) إمام مسجد الجمعية، وعمله خارج الجمعية (ميكانيكي). و(منير طاهر) من أعضاء الجمعية، ومختص بالإشراف على زراعة أرض تابعة لها. و(رحيم بلال) عضو في الجمعية أيضاً، و(فاروق محمد) عضو الجمعية.

تقع الجمعية في منزل خشبي من طابقين في جزء من الأسفل منهما حانوت ليس فيه بضائع كتب عليه اسمه العربي (سلاما)، ولكن باللغة الإنكليزية.

وفي الطابق العلوي مكتب الجمعية؛ أثاثه متوسط، ويدل على عدم اليسار، وهذا مع الأسف هو حال الجمعية.

ومنه يدخل إلى المسجد، وهو من الخشب؛ لأنه جزء من المنزل، مفروش بفراش قليل لا يكفيه مستواه غير لائق، وذلك لفقر الجمعية، بل قالوا: إنهم اقترضوا من الحكومة نقوداً من أجل ترميم المسجد، وترميمه - بطبيعة الحال - كما يرمم الخشب.

وقالوا: إن لهم مدرسة، أرونا مقرها، في الطابق الأرضي، وهو صغير، وليس فيها طلاب، عندما رأيناها، وقد طلبوا مساعدة هم في الحقيقة يستحقونها لفقرهم، واحتياج مسجدهم للترميم، وأن تصرف المساعدة بواسطة الشيخ عبد الوهاب، وقد أخبرونا بأن للجمعية أرضاً في إحدى ضواحي المدينة، يريدون بناء مسجد، ومركز إسلامي فيها.

وفي نهاية الاجتماع عقدنا معهم جلسة مذاكرة، حضرها بعض الإخوان، منهم إضافة إلى من ذكرناهم، وكذلك حضرها إخواننا المرافقون، ومنهم الشيخ سالو عبد الوهاب؛ مبعوث رئاسة الإفتاء والدعوة في المملكة إلى غيانا، وفي أثناء الحديث والمذاكرة قدموا

مائدة شاي حافلة فيها الشاي الأسود، والشاي الأخضر، والقهوة، وفاكهة منها نوع من الموز المحلي غير جيد، وبطيخ أحمر جيد، مع البسكويت.



إلى اليمين: الحانوت التابع للجمعية الإسلامية في جورج تاون مكتوباً عليه بالإنكليزية اسمه (سلاما)

التقطنا صوراً معهم أمام مدخل الجمعية الذي كتب عليه بالإنكليزية (مسجد محمد)، وكان المدخل محاطاً بالأعشاب النامية الكثيفة، فلما سألت أحدهم، وهو الأخ (فاروق محمد) عما إذا كان يمكنهم أن يزرعوا شيئاً نافعاً بديلاً من هذه الأعشاب التي لا فائدة فيها؟ أجاب: نعم، لقد زرعنا بطاطس في الرصيف، انظر إلى هذه الشجيرات، ثم أراني بعض نبات البطاطس نامية بين الأعشاب

المتشابكة.



أمام مقر الجمعية الإسلامية الأفريقية في جورج تاون وترى الأعشاب والنباتات النامية عند المدخل

ذهبنا معهم إلى أرض المسجد، والمركز الإسلامي كما يتمنون أن تكون، وتقع في الضاحية الجنوبية من العاصمة.

وهي أرض واسعة بلغت مساحتها خمسة أكرات.

قالوا: إن الحكومة أعطتهم إياها ليبنوا عليها المسجد منذ أربع سنوات، ولكنهم لم يستطيعوا ذلك؛ غير أنهم ينتفعون الآن من الأرض بزراعتها، ويقولون إنها تنتج لهم اليام، والكسافا، وهما من الأطعمة الرئيسية الشعبية في أقطار غربي إفريقية، كما يزرعون فيها اللوبياء

وشجر الموز.

وقالوا: إنهم لم يستطيعوا أن يجمعوا حتى الآن من النقود إلا ستة آلاف دولار غياني، وإنهم يحتاجونها لدفع أقساط القرض الذي أخذوه من الحكومة لترميم المسجد.

وبعد التقاط الصور التذكارية في الأرض الخضراء المعدة لبناء بيت من بيوت الله، وعدناهم ببذل مساعدة مجزية بعد أن يبدؤوا العمل. وودعناهم منصرفين.

محمد حلال:

كان أول عشاء لنا في مدينة جورج تاون في مطعم إسلامي اسمه (حق حلال)، وقد رأينا دخول مطعم آخر لأحد المسلمين اسمه (محمد حلال)، وهذا اسم المطعم، وليس اسم صاحبه، والتسمية بحق حلال ظاهرة المعنى، فهي تعني الحلال حقاً، وأما التسمية بمحمد حلال، فلاندري أهي نسبة إلى نبينا محمد ﷺ أم إلى صاحب للمطعم اسمه محمد.

وكان مطعم الحلال الحق جيد المستوى، نظيف الأكل والأدوات، وأما الأخير، فإنه دون ذلك في هذا الأمر، ولذلك صار ثمن الأكل فيه دون ذلك أيضاً؛ إذ أكلنا ونحن خمسة أشخاص من الأرز الوفير، ومن لحم الغنم الجيد، وسلطة الخضراوات، والشربة إلى جانب شيء من الشاي والقهوة، بثلاثة وستين دولاراً غيانياً، ويساوي ذلك في السوق الحرة سبعة عشر دولاراً أمريكياً.

وهذا سعر رخيص جداً بالنسبة إلى مستوى الأسعار في منطقة

الكاريبي وماجاورها، مثل ترينداد وفنزويلا .

اجتماع في منظمة الشباب المسلم:

عقدنا اجتماع عمل في الساعة الرابعة والنصف من بعد الظهر في (مركز منظمة الشباب المسلم الغيانية) حضره الأخ (فضيل فيروز) رئيس المنظمة، وعبد العزيز عبد الحق، والشيخ سالو سينا عبد الوهاب، وكمال آزاد، ورؤوف عبد الغفور، وداود عبد الحق، هؤلاء من غيانا، وأنا والأخ عبد الله العريفي من المملكة.

وقد تكلم الشيخ داود عبد الحق باللغة العربية، وهو يحسنها جيداً؛ لأنه قد تعلم في مصر، فذكر أهداف هذه المنظمة ومشروعاتها في الدعوة إلى الله تعالى، وما تحتاج إليه من معونة من المملكة، لتنفيذ هذه المشروعات.

وقد رددت عليه بكلمة بينت فيها الغرض من مجيئنا إلى هذه البلاد، وأوضحت فيها الطريقة التي تتبعها الجهات المختصة في المملكة لمساعدة الجمعيات والمشروعات الإسلامية، وأوضحت لهم أن تلك السياسة منبثقة عن سياسة التضامن الإسلامي التي تسير عليها المملكة؛ بل هي تطبيق لسياسة التضامن الإسلامي التي تقضي أن يتعاون المسلمون في أنحاء العالم على البر والتقوى، وأن يبذل القادر منهم المساعدة التي يستطيعها لمن هم في حاجة إليها.

وأخبرتهم أننا في المملكة العربية السعودية، وقد شرفنا الله بخدمة الحرمين الشريفين، نتلقى يومياً آلاف الطلبات التي يتقدم بها أصحابها للحصول على معاضدة مشروعاتهم الإسلامية، وأنه لا يكاد يمضي يوم واحد إلا وتصدر فيه قرارات من المسؤولين في المملكة

بالمساعدات التي تتضمن عدداً من أنواع الدعم الإسلامي من معونات نقدية، إلى إرسال كتب إسلامية، وبعث دعاة ومرشدين تتكفل المملكة بدفع رواتبهم، وصرف تذاكر إركابهم، وكذلك استقدام طلاب من أبناء المسلمين توفر لهم المنح الدراسية، ويعطون تذاكر السفر، ونفقات المعيشة والإقامة في جامعات المملكة طيلة سنوات دراستهم فيها.

المركز الإسلامي الغياني:

هذا المركز أنشىء بعد اختلاف القائمين على الجمعية الإسلامية الغيانية عندما استفحل الخلاف بينهم، وذلك لكي يكون أداة جمع للمسلمين بعد أن تفرق المذكورون، وذلك حسب ما قاله لنا الأمين العام للمركز الحاج شيخ محمد عبد الشكور، وقال: إنه تم إنشاؤه في عام (١٩٧٩)، وإن رئيسه هو الحاج منصور ناصر، وعمله محام. وقال: إنني أعتذر بالنيابة عنه لكونه لم يتمكن من استقبالكم هنا، وقال: إن من أهدافنا الاتصال بالحكومة لتقرير أيام العطلة للمسلمين التي قررت الحكومة أن تكون يومي عيد الفطر، والمولد النبوي، وأما عيد الأضحى فإنه ليس عطلة. وقال: إن الدولة كلها تعطل في هذين اليومين، وليس التعطيل خاصاً بالمسلمين.

وقال: إن أهم هدف لهذا المركز هو العمل على اتحاد المسلمين، ومحاولة تمثيلهم داخلياً وخارجياً. وقال: إن جمعية هذا المركز هي الجمعية الإسلامية الوحيدة التي تمثل كل مسلمي غيانا.

ولا شك في أن صحة ذلك تحتاج إلى برهان من الآخرين.

وقال: إن جمعيتنا قررت ألا تقبل مساعدة من الحكومة الليبية؛

لأن المسؤولين الليبيين يتدخلون في شؤون الجمعية مقابل دفع المساعدة، ويملون عليها أشياء معينة لتبرير سياستها.

وقال: إن عندنا بيت المال يعمل على قبض الزكاة من الأغنياء، وتفريقها على الفقراء.

وقال: إن متوسط ما ينفقه من ذلك ألف ومائتا دولار أمريكي في الشهر.

ولهم نشرة بالإنكليزية اسمها (البيان) يطبعون منها خمسة آلاف، يكلف العدد الواحد منها خمسمائة دولار أمريكي.

يوم الخميس ٢٤/١٢/١٩٨١م

مغادرة غيانا:

غادرنا فندق (بو قاسيس) الجميل الموقع في الساعة الخامسة صباحاً، وذلك قبل طلوع الفجر بفترة، وكانت سيارتنا تخترق شوارع مدينة (جورج تاون) ذات المنازل المتطامنة، والأنوار لا تزال ساطعة، ولا يكاد المرء يرى سيارة أخرى، أو حتى أناساً يسيرون.

وتكرر الانتظار أمام مكاتب الترحيل التي يركد عندها المسافرون وأمتعتهم مدة طويلة في هذه البلاد وأمثالها من البلاد المتخلفة في الإدارة؛ غير أننا في هذه المرة معنا إخوة كرام كفونا مؤنة الوقوف أما مكتب الترحيل، فقد تولى ذلك الأخ عبد العزيز عبد الحق، وبحزمه وعزمه أنهى ذلك في وقت مناسب.

وكان وقت صلاة الفجر قد حان قبل السادسة، فاستأذنا من

مدير المطار أن يسمح لنا بالصلاة في قاعة المغادرة الخارجية على أن نتركها بعد الصلاة.

وكانت المشكلة لأحدنا أنه لم يتوضأ، ولم يجد ماء في حمامات المطار، فاستفتى في أن يتيمم فقلنا له: أيكون التيمم في بلاد اشتق اسمها من اسم المياه والأنهار (غيانا)؟

وكنا قد بكرنا في الحضور علماً من الرفاق ببطء الإجراءات في العادة، غير أننا فرغنا سريعاً، فاستأذن لنا إخواننا في الدخول إلى غرفة كبار الزوار، أن ما يسمى بصالون الشرف، فكان ذلك، وبقينا فيها إلى ما قبل الساعة التاسعة بقليل؛ حيث خرج الركاب، ومنهم نحن، ومعنا اثنان أظنهما من الدبلوماسيين، نركض إلى الطائرة لأن المطر كان يهطل بغزارة منذ أكثر من ساعة.

العودة إلى ترينداد:

ركبنا طائرة شركة (ألم) على لفظ الألم الذي هو الوجع، وهي شركة محلية لإحدى هذه الجزر الكاريبية التي تؤلف دولة، وقد زينوا السقف الداخلي من الطائرة بالأغصان الخضراء، والزهور الصناعية لمناسبة هذا اليوم الرابع والعشرين من شهر ديسمبر.

وكنا قد رأينا الفنادق في فنزويلا، وترينداد، وغيانا، قد احتفلت بقرب عيد الميلاد بنصب شجرة العيد، وهي خضراء قد نشروا عليها شيئاً أبيض تشبهاً بالأوروبيين الذين تكون الأشجار في بلادهم مثل هذه الأيام خضراء قد علاها بياض الثلج.

ولكن أين ذلك من هذه البلاد الاستوائية الحارة الرطبة؟ إنه

التقليد المتبع.

قامت الطائرة، وهي من طراز (د س ٩) في تمام الساعة التاسعة، وأعلنت المضيفة أن مدة الرحلة ستكون خمساً وخمسين دقيقة. وكان إعلانها باللغتين: الهولندية، والإنكليزية.

وعندما نهضت للطيران تحت المطر الهاطل، كانت نقاط المطر تبدو من النوافذ ممتدةبسبب سرعة الطائرة كأنها خيوط القطن.

وما أسرع أن غاصت الطائرة، وهي ترتفع، في لجة السحاب الكثيف الممطر، ولم نعد نرى شيئاً من الأرض، إلى أن ارتفعت فوق السحاب كله في جو مشمس؛ مخالف للجو على سطح الأرض التي حيل بيننا وبينها بحجب من السحاب غليظة.

حتى قربنا من الوصول إلى جزيرة ترينداد، فدخلنا جوها من منطقة لم أرها من قبل، وهي الجهة الجنوبية منها، وهي ذات شاطئ أخضر ذي ساحل جبلي ليس فيه مساكن، ولا مستنقعات كالتي تكررت رؤيتها في الساحل المعتاد الذي فيه المطار.

وبدت مزارع الجزيرة حتى من هذا الجانب منسقة جميلة المنظر.

وقبل النزول في المطار كان المنظر الرئيسي فيها هو منظر حقول قصب السكر الملتف.

عدنا إلى مطار (بورت أوف اسبين) في ترينداد، وهو عود لم نحمده لما لقيناه في المرة الماضية من تعب وعناء فيه.

وكانت سمة الدخول التي معنا صالحة لمرتين، ولن نلبث فيه إلا ثلاث ساعات، ومع ذلك مررنا بالإجراءات الرسمية المعتادة إذ أنهم في

المرتين كلتيهما لم يفتحوا حقائبنا، ولم يفتشوا أمتعتنا بسبب جوازي الدبلوماسي.

وقصدنا مكتب شركة (أيروبوستال)، وهي الشركة التي سنسافر معها إلى فنزويلا بعد قليل، فأنهينا إجراءات الترحيل فيها بعد انتظار.

العودة إلى كاراكاس:

ركبنا طائرة (أيروبوستال)، وهي شركة فنزويلية، في حوالي الساعة الواحدة بعد الظهر، وكانت إعلانات الطائرة كلها باللغة الإسبانيةفقط، رغم كون لغة ترينداد التي قامت منها الطائرة هي الإنكليزية، وأن لإنكليزية أصبحت اللغة العالمية التي تستعمل في الطائرات مع اللغات الوطنية، وليس هذا فحسب، وإنما لم يقدموا في رحلة استغرقت ساعة كاملة، والوقت وقت غداء، أي شيء من الطعام أو الشراب إلا فنجاناً صغيراً جداً من القهوة، رغم كون هذه الطائرة تملكها شركة من قطر نفطي غني هو فنزويلا، ولكن هذه هي العادة في الطائرات الفنزويلية أن تكون بخيلة غير مضبوطة المواعيد.

وفي مطار كاراكاس وجدنا الأخ الأستاذ مصطفى محمد غلام؛ السكرتير الأول بالسفارة السعودية، قد حضر بسيارة السفارة لاستقبالنا - جزاه الله خيراً - كما وجدنا الأخ حسن فضل المجذوب الرئيس الإداري للمركز الإسلامي في كاراكاس حاضراً.

وكنا نؤمل أن نحصل على سفر مباشر إلى مدينة ريودي جانيرو في البرازيل؛ غير أنهم أخبرونا أنه لا يوجد طيران في هذا اليوم إلا طائرة واحدة قامت قبل وصولنا بساعات، وأن المطار سيغلق غداً في النهار

لمناسبة عطلة عيد الميلاد.

وهكذا عدنا إلى فندقنا في كاراكاس (كونتتتال التاميرا)، وهو الذي كنا قد نزلنا فيه قبل ذلك.

كاراكاس في أعياد الميلاد:

بدت مدينة كاراكاس في عيد الميلاد تختلف اختلافاً كثيراً عنها في الأيام المعتادة، فالزحام الكثيف بل المرهق للأعصاب قد خف كثيراً؛ بل قلت حركة السيارات فيها، وذلك لأن كثيراً من المواطنين خرجوا لقضاء عطلة العيد خارج العاصمة، أو بقوا في بيوتهم مع أهليهم وأقاربهم في هذه المناسبة التي كثيراً ما تكون فرصة لرؤية الأقارب.

كما وضعت شجرة عيد الميلاد في المحلات العامة الكبيرة كالفنادق والبنوك والمطاعم الكبيرة.

وهناك شيء يضايقنا جداً قد أكثروا منه أيضاً، وهو صوت المفرقعات، وهي الألعاب النارية التي تسمى (الطراطيع)، فقد أكثروا منها بهذه المناسبة بشكل مزعج، وأخبرني إخواني في السفارة أن الحوادث تكثر في هذه الأيام في طرقات العاصمة وغيرها، وذلك أن الناس اعتادوا على أن يشربوا الخمور بهذه المناسبة بكثرة مفرطة، وبعضهم يقودون سياراتهم، وهم قد شربوا، فتقع بسبب ذلك حوادث كثيرة.

وقد تناولنا طعام العشاء في بيت السفير السعودي في فنزويلا الشيخ إبراهيم بكر، وقضينا جانباً من السهرة في الحديث معه، ومع

الأخ مصطفى غلام.

وعندما عدنا إلى فندقنا كانت أصوات (الطراطيع) المزعجة تكاد تزلزل شوارع العاصمة لمناسبة عيد الميلاد؛ بل كان النوم في الفندق صعباً؛ لأن أصواتها المزعجة تمنع من النوم رغم كوننا في الطابق الحادي عشر منه.

يوم الجمعة ٢٥ ديسمبر ١٩٨١م:

المطاعم والمقاهي مغلقة هذا اليوم لمناسبة يوم الميلاد، والسيارات في الشوارع قليلة، ولم يفتح من الحوانيت إلا بعض المحلات الصغيرة على الأرصفة، وهي تبيع لعب الأطفال، وأدوات الاحتفال بالعيد، وهي قليلة، والإقبال على الشراء منها قليل، ومفرقعات اللعب (الطراطيع) كثيرة حتى في هذا النهار.

دعاية ضد العرب:

بث التلفزيون من إحدى قنواته شريطاً سينمائياً كله دعاية سافرة ضد العرب تصورهم بعد أن حصلوا على المال، وهم ينفقونه في البذخ والإسراف، لا همّ لهم إلا ذلك.

وقد صوروهم، وهم يلهون، ويلعبون في القصور الفخمة، ومعهم عشرات من الفتيات والراقصات اللاعبات، وكانوا في أكثر المقاطع يأتون بالإبل والماعز يدخلونها إلى تلك القصور الفخمة، والخيام المذهبة.

ومن أفظع ما فيه أنهم جاؤوا برجل ينادي كما ينادي المؤذن من منارة اصطنعوها مماثلة لمنارة المسجد، فلما فرغ من ذلك صوروا

الحاضرين كلهم يسجدون على الأرض سجدة واحدة، ثم يستمرون في لهوهم ولعبهم.

وهذا فيه تعريض بالدين الإسلامي عند الذين لا يفهمون حقيقته.

إن لغة الشريط هي الإسبانية، ولذلك لم أفهم منها شيئاً غير أن المناظر فيه، وطريقة ارتداء الملابس العربية واضح منها السخرية، وكذلك عرض الإبل والماعز.

وعندما التقيت بالأخ حسن فضل المجذوب، وهو فنزويلي الجنسية يعرف العربية جيداً، وسألته عن فحوى هذا الشريط (الفيلم) التلفزيوني، أجاب بأنه دعاية ضد العرب وسخرية بهم، وأن أصله كان بالإنكليزية، ولكنهم أنطقوه بالإسبانية (دبلجوه)، وقال: إن هذه القناة تجارية يبث فيها من يدفع النقود ما شاء.

وقال: إن الحكومة لا تملك من التلفزة إلا قناة واحدة رسمية لا تبث إلا أشياء مختارة. وتسأل بعد ذلك:

أين السفارات العربية؟

والجواب: إن السفارات العربية في فنزويلا قد صرفت أكثر جهودها في مكافحة بعضها بعضاً، فالسفارة الفلانية منها تكافح السفارة الفلانية على عجز فيها عن ذلك، والسفارة الفلانية متهمة بالخضوع لدولة اليهود في فلسطين، وما يستتبع ذلك من مهادنة بل مسايرة للجماعات اليهودية في العالم. والسفارة العراقية تكافح السفارة الليبية والسورية أيضاً.

وأما السفارة السعودية فإنها لم تنج أيضاً من الانشغال برد

أكاذيب الكاذبين، ودعاياتهم المغرضة ضد المملكة.

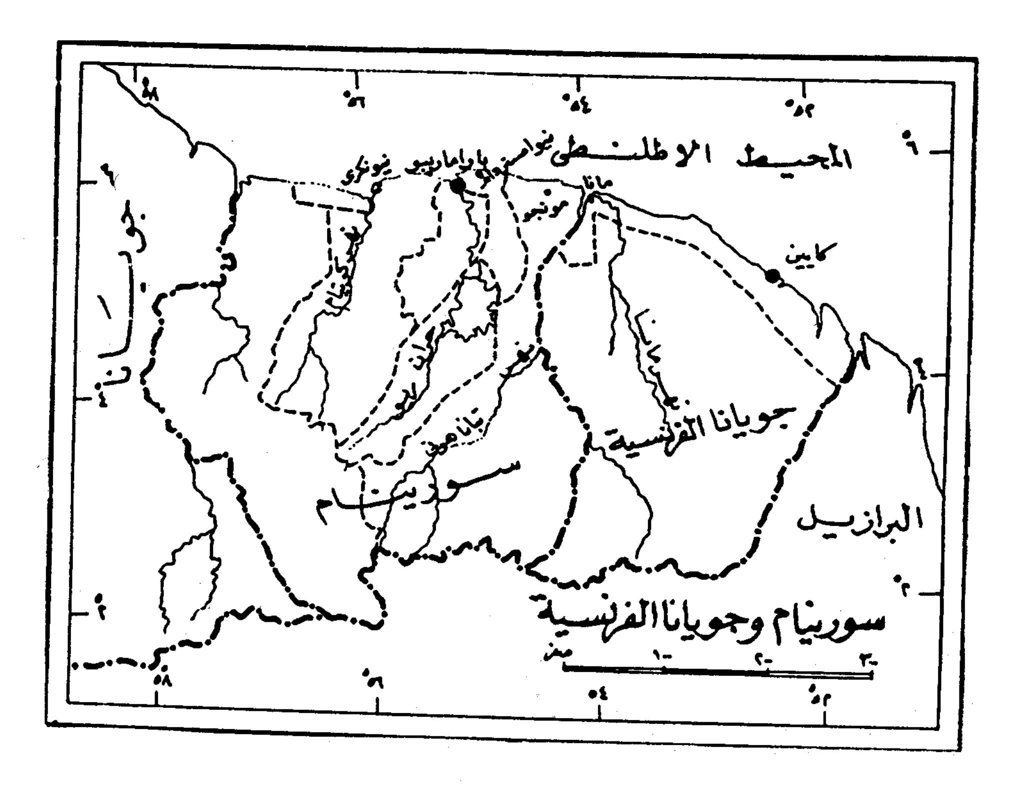
ولمناسبة الحديث عن التلفزة الفنزويلية يذكر أن بعض قنواتها كانت تبث برنامجاً دينياً يصور مولد المسيح عليه السلام، وقصة طفولته وشبابه على حين أن قناة أخرى كانت ترسل برامج ترفيهية راقصة فاضحة.

وعلى وجه العموم فإن حرية التعبير في هذه الأقطار الأمريكية الجنوبية تكاد تكون عامة شاملة فيها مطلقة، فكل من استطاع أن يصل بماله ونفوذه إلى محطات التلفزة أو الإذاعة قال ما شاء، وبخاصة إذا تعلق الأمر بأقوام آخرين كالمسلمين.

أما بالنسبة إلى عامة الناس فإن الناس يحترمون المسلمين - على قلتهم وضعف تأثيرهم - على وسائل الدعاية في البلاد، ولكنهم لا يثيرون مشكلات للناس، وإنما سبب هجوم وسائل الإعلام، أو لنقل: إن سبب نشرها لما يسيء إلى العرب والمسلمين هو نفوذ اليهود على وسائل الإعلام في الولايات المتحدة الأمريكية التي تقوم بإحضار المادة الإعلامية، ثم تغلفها بما يشوق الناس إلى الاطلاع، وترسلها إلى وسائل الإعلام الوطنية في أمريكا الجنوبية التي فيها نفوذ يهودي أيضاً، ولكنه أضعف من نفوذ اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية، ويقصد بذلك الإساءة للعرب والمسلمين من غير أن يلقى أولئك الذين يذيعون هذا الفحش من القول، أو الإساءة الجارحة أي عقاب على ذلك. بل ربما لم يلقوا أي رد فعل له، والمشتكى إلى الله.

الفصل الثاني

سورينام


المحيط الاطلنطي
كايين
جويانا الفرنسية
البرازيل
سورينام
سورينام وجويانا الفرنسية

سورينام

تقع سورينام في شمال القارة الأمريكية الجنوبية، وهي الدولة الوحيدة فيها التي تتكلم اللغة الهولندية، والمرد بذلك كون اللغة الهولندية هي لغة التعليم، ولغة الدوائر الحكومية الرسمية.

وكانت تسمى (غيانا الهولندية).

وقد حصلت على الاستقلال من هولندا عام ١٩٧٥م مع ارتباط محدود بالتاج الهولندي.

وتحد بالمحيط الأطلسي من جهة الشمال، وغيانا من جهة الغرب، والبرازيل من جهة الجنوب، كما تحدها شقيقتها (غيانا) الفرنسية من جهة الشرق.

وتبلغ مساحتها ١٦٣٢٦٥ كيلو متراً مربعاً، ويبلغ عدد سكانها زهاء نصف مليون نسمة، منهم حوالي ١٥٠ ألف يسكنون في العاصمة باراماريبو وضواحيها، وهي بهذا تكون من الدول القليلة السكان؛ على حين كون البلاد غنية بالمواد الطبيعية، وهي من الدول الرئيسية المنتجة للألمنيوم، كما تصدر الماس، والبن، والأخشاب؛ إضافة إلى السكر، والأرز اللذين تنتج منهما مقادير كبيرة.

ومناخ سورينام حار رطب، كثير الأمطار، وهي واقعة ضمن المنطقة الاستوائية، وتنقسم أرضها إلى قسمين: أحدهما سهول منبسطة في المنطقة الشمالية والشرقية، والثانية جبال مرتفعة في المنطقة الجنوبية.

ويمتد ساحلها على المحيط الأطلسي حوالي أربعمائة وتسعين كيلو متراً.

السكان:

كان سكان البلاد قبل وصول الأوروبيين إليها جماعات من الأمريكيين الأصلاء الذين يسميهم الأوربيون بالهنود، وكان من أهم السكان فيها (الكاريب) الذين نسب إليهم البحر الكاريبي لكونهم كانوا يسكنون فيه عندما وصلهم الأوربيون، وكانت معهم عدة قبائل، وعناصر أخرى، كان منها في سورينام الأرواك والواراوا.

كما سكن في المنطقة قبلهم قبيلة أمريكية أصيلة اسمها (سورينين) طردتها هذه القبائل، فحلت محلها.

والسورينون هم الذين سميت البلاد باسمهم (سورينام)، وسمي النهر الرئيسي في العاصمة (نهر سورينام).

وهو اسم قديم اتخذته البلاد اسماً لها في عام ١٩٤٨م قبل حصولها على الاستقلال، وذلك من أجل إحياء هذا الاسم القديم، ولتمييزها عن (الغيانيتين): البريطانية، والفرنسية المجاورتين.

ويتألف السكان بصفة عامة من ثلاثة عناصر رئيسية:

أولها: المختلطون الذين يسمون في اللغتين الإنكليزية والفرنسية بالكريول، وذلك أن أنسابهم مختلطة ما بين السود والبيض والهنود الأمريكيين، وبنسبة أقل من الهنود الآسيويين.

ثانيها: الجاويون الذين استقدمهم الهولنديون للعمل في البلاد، وبخاصة في زراعة الأرز، وذلك عندما كانت هولندا تستعمر أندونيسيا، وتستعمر هذه البلاد.

ثالثها: الهنود الآسيويون، وهؤلاء انتقلوا إليها من المستعمرات

الإنكليزية المجاورة، مثل غيانا، وترينداد، وقلة قدموا من الهند نفسها للتجارة والعمل في منطقة الكاريبي.

وهناك أقليات عرقية بعد الطوائف الثلاث، فمن أهمها الهنود الأمريكيون، وإن كانت أعدادهم قليلة، وتأتي بعدهم أقلية من الصينيين، والأوربيين المستوطنين الذين قل عددهم في السنين الأخيرة.

ويمكن توزيع السكان في سورينام حسب النسب التالية:

الهنود الآسيويون	٪ ٣٧
الكريول (المختلطون)	٪ ٣٢
الأندونيسيون	٪ ١٦
زنوج الغابات	٪ ١١
الهنود الأمريكيون	٪ ٣
الصينيون	٪ ١

اللغة:

اللغة الرسمية في البلاد هي الهولندية؛ لغة المستعمرين السابقين، وهي لغة التعليم، ولغة الدوائر الحكومية، والمؤسسات العامة، والمتعلمين من أهل البلاد.

وهناك لغة محلية تكاد تكون لغة العامة من الشعب، وتسمى

(تاكي - تاكي)، وقد تسمى (سرانان)، وهي خليط من اللغات الإنكليزية، والفرنسية، والهولندية، والإسبانية.

ولكل قبيلة من القبائل الهندية الأمريكية التي توجد منها بقايا ضئيلة العدد في البلاد لغة قائمة بذاتها.

وللإخوة الأندونيسيين لغتهم الجاوية التي لا يزالون يتكلمون بها رغم وجود أجيال منهم في هذه البلاد.

كما يتكلم الهنود الآسيويون اللغة الأوردية، والإنكليزية.

وهناك جماعات من السكان السود يسمون بزنوج الغابات، وأصلهم من العبيد، والمحررين الذين جلبوا من إفريقية، ولكنهم انعزلوا في الغابات، وصارت جماعات منهم تتكلم لغات ضيقة مختلفة.

المسلمون في سورينام:

تبلغ نسبة المسلمين في سورينام ٣٠ ٪ من السكان، وبذلك يمثلون أعلى نسبة عددية مسلمة في دول النصف الغربي من الأرض.

وينتمي المسلمون في سورينام إلى أصول بشرية متعددة، فمنهم الجاويون الذين هاجروا منذ أكثر من مائة سنة من إندونيسيا إلى سورينام.

ومنهم ذوو الأصول الهندية الآسيوية الذين هاجروا منذ زمن إلى هذه البلاد. ولا يزال المسلمون يحافظون على هويتهم الإسلامية، وشخصيتهم المتميزة؛ إذ بنوا المساجد، وأنشأوا المدارس، ولا توجد

منطقة، أو مدينة، بل قرية في سورينام ليس فيها مسجد، حتى ذكر لنا أن عدد المساجد فيها يبلغ ١٦٠ مسجداً.

إلا أن المشكلة أن الطبيعة الإقليمية المختلفة للمسلمين جعلت المسلم يلتصق بجماعته؛ بعيداً عن المسلمين الآخرين إلى حد أن من ينتمي لطائفة يحب أن يصلي في مسجد تلك الطائفة، وبخاصة صلاة الجمعة؛ إذا كانت تقام في المسجد صلاة الجمعة.

والسبب في ذلك في الأساس هو اللغة، فالأندونيسيون يتكلمون فيما بينهم لغتهم الأصلية، وهي الجاوية، وهكذا يكون الوعظ والإرشاد والدروس الدينية بتلك اللغة.

وأما المسلمون من أصل هندي، فإنهم يتكلمون في الخطب والدروس اللغة الأوردية، ولذلك يقصدون مساجدهم التي تستعمل فيها تلك اللغة.

ولكن هذا لم يمنع من اجتماع المسلمين في قضايا عامة؛ مثل التعامل مع الجهات الأخرى من غير المسلمين، ومثل التعاون داخل المجلس الإسلامي.

إلا أن المشكلة كثيراً ما تبرز في اختلاف المسلمين حول بعض المواسم الإسلامية مثل بداية دخول شهر رمضان، والعيدين، ونحوها.

وقد أثر هذا على تمتع المسلمين بالعطلة الممنوحة لهم من الحكومة في العيدين؛ إذ يختلفون في تحديدها في بعض الأحيان، فقد يرى المسلمون الآسيويون أن العيد يحل في يوم لا يرى الأندونيسيون أنه هو يوم العيد مثلاً.

وبذلك يظهر هذا عند الحكومة التي لا تستطيع، ولا تحب أن تتدخل في هذا الأمر الخاص بالمسلمين، إلا أنهم لم يتفقوا عليه.

ولا شك في أن علاج ذلك يكمن في اعتماد جهة مسلمة واحدة تعترف بها الجمعيات الإسلامية، وتعتمدها الحكومة لإثبات مثل هذه الأيام وتحديدها.

وتبلغ نسبة الإخوة الجاويين، أي الذين هم من ذوي الأصول الأندونيسية ٧٢ ٪ من مجموع المسلمين في سورينام، وأغلب البقية من المسلمين الهنود الآسيويين.

وهنالك عدد من المسلمين السود الذين أسلموا على أيدي الدعاة في أمريكا الشمالية الذين فيهم نسبة من المسلمين السود في أمريكا، وبعضهم أسلموا على أيدي الدعاة المسلمين في سورينام، ولكن عددهم ليس كثيراً، مع أن المتوقع أن يكون الأمر عكس ذلك؛ لأن أكثر أولئك السود الذين يطيب لبعض الناس أن يسميهم (زنوج الغابات) لكون أوائلهم كانوا العبيد الذين أحضرهم الهولنديون للعمل في مزارع السكر، وغيرها من الأعمال الشاقة. ولكنهم تكاثروا، وتمردوا على الهولنديين، ولجأوا إلى الغابات التي تغطي أكثر أراضي سورينام، ولذلك لا ينتظر أن يكونوا متعصبين للديانة المسيحية التي عرفوها عن طريق الأوربيين الذين جاؤوا في ركاب المستعمرين.

أما السكان الأصلاء الذين يسمون الآن بالهنود الأمريكيين، فإن عدد الداخلين منهم في الإسلام قليل، ولكنه قد بدأ بالفعل، إلا أن عدد أولئك السكان الأصلاء قليل لا يبلغ أكثر من ٣ ٪ من مجموع عدد السكان، وعدد الداخلين في الإسلام منهم قليل، حتى أخبرني

مخبر من المسلمين أنهم لا يعرفون إلا خمس أسر من أولئك القوم دخلوا في الإسلام.

ويحرص الدعاة المبتعثون من المملكة العربية السعودية لإرشاد المسلمين في سورينام على إزالة الإقليمية، وتجميع المسلمين عند هدفهم المشترك للعمل معاً من أجل فهم الأسلام فهماً صحيحاً، ومن أجل حفظ أولادهم عن الضياع، كما أنهم صاروا يذهبون معاً لزيارة المسلمين في المناطق البعيدة عن العاصمة، ويجمعونهم للوعظ والإرشاد، وقد علمت أنهم خرجوا لمحافظة نيكري، وتبعد عن العاصمة ٢٥٠ كم، ولمدة ثلاثة أيام، أقيم خلالها دروس في المساجد، وذلك بعد صلاة الفجر؛ حيث اجتمع من المسلمين في بعض المساجد ما يقارب من خمسين مصلٍ، وقد أقام الدعاة دعوة لكل المسلمين في نيكري لمحاضرة عن الإسلام والخطط التنفيذية لتحقيق وحدة المسلمين، حضرها ما يزيد على خمسمائة مسلم ومسلمة من كل الجماعات والانتماءات الإقليمية، كما قاموا بزيارة محافظة مونجو التي تبعد مائة كيلو متر عن العاصمة، وفيها ثلاثة مساجد للمسلمين الأندونيسيين، وتم جمعهم في مسجد واحد أثناء صلاة الجمعة.

وأيضاً تمت زيارة منطقة ثالثة هي كمووبن؛ حيث يوجد ما يزيد على خمسة وسبعين مسجداً، وألقوا المحاضرات في المساجد الكبيرة فيها.

ويسير العمل الإسلامي في سورينام سيراً معتدلاً، إن لم يكن ثابتاً في مكانه، في الوقت الذي يسير فيه المنصرون بنشاط مركز من الكنيسة بشتى الوسائل التي تتيحها لهم إمكاناتهم الكبيرة، التي منها الإغراءات بالمنح الدراسية، والمستقبل الوظيفي المضمون. وكذا بدأ اليهود بنشاط إعلامي من معبدهم الذي أعيد افتتاحه،

وحضر لهذا الغرض رجال دين يهود من فلسطين، وأمريكا، وهولندا، ونقل على التلفزيون السورينامي مباشرة، ثم أعيدت إذاعته مرئياً في مساء اليوم التالي.

إلى جانب ذلك فقد بدأت أنشطة الطائفة القاديانية بصورة ملحوظة في البلاد بزيارات للمناطق والمساجد، وكذلك بدأت أنشطة الطائفة البهائية في الآونة الأخيرة، وكان لهم زيارات ونشاطات بين المسلمين، وزيادة على هذه كلها جماعة شهود يهوه الذين يزورون البيوت، ويطرقون الأبواب على المسلمين، ولهم الدعاة من الرجال والنساء، ويوزعون النشرات والكتب بصورة مجانية.

إن كل هذه الطوائف تبث دعاياتها الباطلة بين المسلمين في سورينام، ومع ذلك فإن تأثيرها على المسلمين محدود، أو شبيه بالعدم.

بل إنه مما يسر المسلم أن عدداً من الشبان والشابات من المسلمين الذين يقبلون على المساجد للصلاة، وتعلم تلاوة القرآن الكريم، وأحكام الدين الإسلامي الحنيف يزداد بصورة واضحة.

وقد أخبرنا الإخوة من أهل سورينام أنهم يعجبون من كون الشبان الذين يتركون المغريات التي يقدمها أرباب الدعوات والمذاهب الأخرى من اجتماعات مختلطة بين الذكور والإناث، وحفلات الموسيقى، والرقص، وتقديم الطعام والمشروبات، مع بعض الهدايا، وغير ذلك من مغريات الشباب، وبخاصة في العالم الجديد، ويحضرون إلى المساجد مع ما فيها من جد، وبعد عن اللهو.

ولكون (سورينام) تضم أكبر عدد من المسلمين بالنسبة إلى عدد سكانها من أية دولة أخرى في النصف الغربي من الأرض، فقد

تقدمت حكومة سورينام بطلب الانضمام إلى منظمة المؤتمر الإسلامي، ولكنها لم تستطع ذلك، فكتبت إلى رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة تطلب منها التوسط في هذا الأمر، وتسهيل الدخول إلى المنظمة على اعتبار أن مقر المنظمة هو في المملكة.

ثم حضر إلى الرابطة وفد من سورينام إبان انعقاد أحد المؤتمرين، مع رئيس الوفد الأخ (أنور. س. أ. لال محمد) رئيس ديوان رئاسة مجلس الوزراء في سورينام، وقدم الأخ أنور رسالة موقعة من رئيس جمهورية سورينام تتضمن تفويضه ببحث كيفية انضمام سورينام إلى منظمة المؤتمر الإسلامي، و حرصاً منها على الانضمام إلى المنظمة.

وقد أوصلت الرابطة ذلك الطلب إلى الجهات المسؤولة في المنظمة، ولم يتم شيء حتى الآن.

ويؤمل الإخوة المسلمون في سورينام أنه إذا وجدت دعوة إسلامية مدعومة بإمكانات جيدة، فإن عددهم قد يبلغ النصف أو يزيد، وبذلك إذا حصل تصبح سورينام أول دولة مسلمة في العالم الجديد.

ونسأل الله تعالى أن يحقق ذلك.

ومما يجب التنويه به أن الحرية الدينية متوفرة للجميع في سورينام، وبخاصة للمسلمين، ولا توجد قيود على نشاطهم الإسلامي.

أما الأديان الأخرى في البلاد فإنها تكاد تنحصر في دينين اثنين:

أولهما: المسيحية، وتنتشر بين السود، وبين الهنود الأمريكيين الذين هم السكان الأصلاء قبل وصول الأوروبيين.

وثانيهما: **الهندوكية** التي تعتنقها أكثرية الهنود الآسيويين الموجودين في البلاد، ولكنها ليست ديناً دعوياً، إذ قلما يعتنقها أحد غير أهلها الأصلاء.

الجمعيات الإسلامية:

توجد عدة جمعيات إسلامية في سورينام، اجتمعت خمس منها على تأليف مجلس يجمعها، حتى يتكلم باسم المسلمين، فألف منها (مجلس المسلمين في سورينام) وهو مجلس أهم ما فيه أنه يتمتع بالانسجام، وعدم الاختلاف في معاملة الآخرين من غير المسلمين.

كما توجد جمعية اسمها (المنظمة الإسلامية الطلابية لسورينام)، وقد اتصل بها الاتحاد الإسلامي الدولي الذي مقره في الولايات المتحدة الأمريكية، وساعدهم في بعض أمورهم، كما توجد جمعيات خاصة بالمساجد، وجمعيات خاصة ببعض المناطق.

وفي ختام الكلام على الشؤون الإسلامية في سورينام، يجدر بنا أن نذكر ملخص تقرير بعث به اثنان من الدعاة الذين ابتعثتهم المملكة إلى سورينام للدعوة إلى الله هناك، وتبصير المسلمين بأمور دينهم، وهما الشيخان: محمد علي أحمد، ومحمد صالح ماردي.

ولن نعلق عليه لأنهما كتباه بعد معايشة للدعوة هناك، ومخالطة للمسلمين استمرت عدة سنوات، وقد ركزا في كلامهما على الصعوبات التي يواجهها الدعاة هناك. قالا، والكلام موجّه إليّ:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

نسأل الله جل وعلا أن يصل هذا الخطاب وأنتم وأفراد أسرتكم

وجميع الإخوة هنا في حفظ الله ورعايته، وأن يبارك في جهودكم الميمونة، ويثيبكم عليها، ويعينكم في حمل هذه الرسالة العظمى. وبعد.

وضع البلد باعتباره منطقة خصبة وحرة أصبحت الآن مائدة هريسة للأديان، والنظريات الهدامة، فكل واحد يأخذ حظه بقدر ما قد ضحى من المعدات والتسهيلات، وستجد في هذا التقرير نبذة من صور تلك الأنشطة في خمس نقط موجزة.

١- النصرانية:

كما لا يخفى على كل ملاحظ أن النصرانية مدعمة من كل جانب، لا سيما مجال التربية ووسائل الإعلام، هذان المجالان لهما دور فعال في زيادة حمل الأناجيل، ومما يزيد الأرض بلّة أن أكثر هذه الفئة تشتمل من رجال مثقفين، وأصحاب الشركات الكبيرة، ورجال الأعمال، وعامة المواطنين.

والأمر لا يتوقف إلى هنا فحسب، بل هنالك شركات ومكاتب ولجان خاصة تعمل وتفكر في تطور وتقدم المنظمات التنصيرية بشتى الوسائل والسبل المتنوعة في تحقيق هدفهم، وهو تنصير أبناء البلد هذا الجيل والذي بعده.

٢- القاديانية:

القاديانية لها هنا أنشطة ملحوظة لا سيما وأن أصحاب هذه الفئة هم من الأعضاء والمنتسبين رجال ذوو مناصب عالية في الوقت الحاضر، هناك اثنان من الوزراء أحمديين (وزير الدفاع، ووزير

الصحة)، ويعتبر للحصول على هذه المناصب قيمة كبيرة في تاريخ سورينام.

ومن سوء الحظ أن الحكومة السورينامية لا تستطيع أن تميز بين الحق والباطل؛ لأنها ترى أن الأحمديين مسلمون. ومن البديهي أن تحصل هذه الفئة على تسهيلات وأمور ميسرة من الحكومة بجانب التجار، وأصحاب الشركات الكبيرة التي تراعي أنشطتهم.

وفي الوقت الحاضر انعقد مؤتمر الأحمدية في العاصمة لمدة أربعة أيام.

٣- كحاوين:

هذه المنظمة قديمة قدم الهندوك في أندونيسيا، ولها فروع ومذاهب كثيرة، فكل واحدة لها أسلوب وطريقة معينة، وهذه الفئة تخالف الشريعة الإسلامية، وهي ذات نظرية هدامة، إما أن تنتمي إلى الهندوك، أو إلى الإسلام، وانتماؤها إلى الإسلام عبارة عن وجود جميع العبادات الإسلامية بألفاظ جاوية، وصلواتهم عبارة عن تفكر فقط، والذي خدع كثيراً من الناس أن هذه النظرية ألغت الصلاة والصوم والحج والزكاة، وإن كان هناك بقايا رائحة الإسلام فهي مخلوطة بعادات وتقاليد هندوكية؛ زيادة إلى ذكر الألفاظ كلها، وكلمات وألفاظ جاوية، وهي بعيدة كل البعد من الإسلام رغم أن هذه الفئة لا تتقدم إلى الأمام بصورة كبيرة؛ لكنها لا تتأخر، وعدد أعضائها من حين إلى آخر، وتنتمي غيرها إلى الهندوك تماماً بحجة أن أندونيسيا قبل مئات السنين كانت دولة هندوكية، تحكمها الهندوك، ومعظم المواطنين في تلك الفترة هندوكيون، فيجب علينا أن

نرجع إلى تلك الفترة من الزمن، على حد زعمهم.

وهذه الحركة الهدامة لها أنشطة ملحوظة تلفت نظر الملاحظين، هذه الحركة الهدامة كانت محصورة إلى عدة أسماء معينة، أصبحت الآن من الأديان المعتبرة لدى الحكومة، يحتسبها أي مفكر وملاحظ ميدان المعركة.

٤- الحضارة الغربية:

لا يخفى على كل مفكر وملاحظ إسلامي أن أسلحة الحضارة الغربية موجهة إلى الإسلام والمسلمين بشتى وسائلها، وقل من يستطيع أن يترس نفسه بتعاليم هذا الدين الحنيف إلا من رحم ربك، وفي نفس الوقت إدخال مبادئ الشريعة في أذهان الشباب ليس بالأمر اليسير، وبخاصة أمام طرق الفجور والعصيان لأوامر الله.

٥- البهائية:

البهائية التي لم تذكر اسمها من قبل أصبحت الآن لها أنشطة ملحوظة في سورينام، وتسربت هذه النظرية إلى شعب هذاالبلد بصورة مكثفة، وقبلها بعض الناس في جانب من جوانب هذه الحياة بوسائلها الإعلامية التي تستخدم الميادين من الإذاعة والتلفاز. وهكذا أصبحت الحركة البهائية إحدى التيارات الهدامة التي قامت ضد الإسلام والمسلمين.

وضع بلد سورينام في الوقت الحاضر

بعد الانقلاب العسكري في سنة ١٩٨٠م من الحكم المدني، أخذ العسكر الحكومة، وهو كما وصفه السياسيون أنه حكم

دكتاتوري، وبعد تغيير وتبديل سياسته الخارجية تبين أن الحكومة تسير إلى خط اليسار، وإزاء هذه السياسة قامت الدول الأوربية، ودول كبرى على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية ضد سورينام، وقطعت المساعدات الاقتصادية بأنواعها من استيراد البضائع إلى تصديرها، وأصبحت اقتصاديات سورينام موقوفة أمام التجارة الدولية.

وبلغت درجة التوتر إلى عدم وجود سلع وبضائع رئيسية مثل الأدوية، وكم من مريض يزيد مرضه بنفس السبب بل ليس بالقليل موت المرضى والأبرياء بسبب هذه الأزمة، ولا يزال هذا الجو يخيف المواطنين والناس أجمعين.

وهذا الأمر أدى إلى الاختلاف بين كبار المسؤولين أنفسهم، وأسفر هذا عن نتائج مؤلمة يشعر بها المواطنون؛ حيث أن جميع احتياجات البلد، موقوفة على الاستيراد من الخارج.

وهكذا يعيش المواطنون في هذه الفترات من الصعوبة والمرارة، وعدم استقرار البلد، ومما يحزن المواطنين، ويجعلهم يغادرون البلد. أن نسبة الجريمة من السرقة والنهب تزيد عما قبلها من السنين الماضية، وهكذا صعدت نسبة الجريمة، حتى عجزت قوة الأمن عن السيطرة على الوضع، والمواطنون في ضيق شديد، ومأزق دفين تجاه الوضع، والبيوت مهددة بالسطو لعدم وجود الأمن في البلاد.

وفي هذه الأزمة الشديدة سقطت طائرة سورينامية، وأدى ذلك إلى تحطم الطائرة، وموت واحد وسبعين ومائة راكب إلا سبعة نفر فقط.

والجكومة لا تستطيع أن تحل هذه المشاكل والعراقيل، ولو في غضون ثلاث سنوات مقبلة. هكذا وصف السياسيون البلد في

السنوات المقبلة.

وأما وضع المسلمين بصورة عامة في هذا البلد، فإن هناك محاولة من المسؤولين (مجموعة من الجمعيات الإسلامية) نحو وحدة المسلمين إلى صف واحد من أجل مجابهة الأحمدية وغيرها من التيارات الهدامة، ولعل الله عز وجل يسدد خطاهم ويهيئ لهم من أمرهم رشداً.

وهناك بشارة طيبة بوجود مجموعة من الشباب على مستوى وعي إسلامي جيد رغم قلتها، وخلال وجودنا في البلد أجرينا اتصالات فردية؛ لاسيما لدى المغربين، والحمد لله بفضله ومنته كسبنا عدة شخصيات بارزة، ولقد زار مقرنا الرئيس المسؤول في هذه الجمعية (المغربين)، وأبدى رغبته للتعامل معنا، والالتزام بالتعاليم الإسلامية ومبادئها، ويعتبر الاتصال والتعامل مع هذه الفئة من النوادر القليلة الجارية في هذا البلد.

وهناك أمور مهمة جداً نرجو من سعادتكم الاهتمام بها:

١- مصاحف الجيب لإهداء أئمة المساجد لربطهم بالأخوة الإسلامية، وليكونوا على اتصال دائم معنا.

٢- لا يزال يوجد في سورينام عدد كبير من المسلمين يتجهون إلى الجهة الخطأ في الصلاة، أي بعكس ما هو صحيح.

هذه المجموعة يصلون إلى اتجاه الغرب باعتبار ما كانوا عليه في أندونيسيا، وأنهم كانوا هناك يصلون إلى الغرب، فظلوا يصلون على هذا الاتجاه.

وكما نعلم أن دليل الاتجاه (كمفاس) لم تذكر سورينام كبلد

مستقل عن غيره، في حين أن سورينام أكثر المسلمين عدداً في منطقة أمريكا الجنوبية، ولعل الله ينزل هدايته وتوفيقه بذكر سورينام مع جميع بلدانها في دليل الاتجاه (كمفاس) مع ذكر أوقات الصلاة في السنة كاملة.

ونرى أنه ستكون هناك أهمية كبيرة في شراء هذه الآلة بكمية لا بأس به لتوزيعها لدى هذه المجموعة.

يوم الأحد ١١/٢/١٤٠٥هـ - ١٤/١١/ ١٩٨٤م

من بيليم إلى باراماريبو:

كان من المقرر أن تقوم الطائرة البرازيلية التي سنسافر عليها من مدينة (بيليم) البرازيلية الشمالية الشرقية إلى مدينة (باراماريبو) عاصمة (سورينام) في الحادية عشرة والثلث من ليل هذا اليوم، وهو موعد غير مريح، لأن الطائرة تنزل قبل ذلك في (قايين) عاصمة (غيانا) الفرنسية التي أصبحت أرضاً فرنسية فيما وراء البحار، بعد أن كانت مستعمرة فرنسية، ولكنها صوتت بالبقاء داخل الاتحاد الفرنسي، ولم تشأ الاستقلال، كما شاءت أكثر المستعمرات الفرنسية الأخرى، وتنزل الطائرة بعد ذلك في باراماريبو في الثالثة والنصف من قبل الفجر، غير أن الطائرة لم تقم إلا في الثانية عشرة وخمس دقائق بعد منتصف الليل.

وكنت أنا وزميلي في هذه الرحلة الشيخ محمد بن إبراهيم بن قعود قد وصلنا مدينة(بيليم) أمس قادمين إليها من مدينة (ريو دي جانيرو) الضخمة التي كانت عاصمة الدولة البرازيلية، ولكنهم هجروها بعدما شيدوا عاصمة البلاد الجديدة هي (برازيليا) الحالية في

موقع من وسط البلاد، ودون كثرة من السكان.

و(بيليم) التي سميت على اسم المدينة العربية الفلسطينية (بيت لحم) التي ولد فيها المسيح عليه السلام، حارة رطبة؛ لأنها استوائية الموقع، لا يستطيب سكناها من قدم مثلنا من البلاد البرازيلية المعتدلة مثل (سان باولو)، أو (كورتيبا) أو حتى (برازيليا) العاصمة الجديدة، وقد ذكرت ما رأيته أو سمعته فيها في كتاب «على ضفاف الأمازون».

قامت الطائرة البرازيلية التابعة لشركة الطيران البرازيلية (كروزيرو) التي معناها: الصليبي، لأن كروز: صليب بلغتهم، في الثانية عشرة وخمس دقائق، وهي من طراز بوينج ٧٣٧، ومليئة بالركاب الذين أكثرهم من ذوي اللون الأسود، أو من المتغيرين الذين غيرهم الجو، أو التزاوج بالسود، فأصبحوا لا يبعدون عن السود الأصلاء في اللون كثيراً، وساعد على لونهم ذلك وقوع غيانا الفرنسية التي تسافر إليها الطائرة، وكثير من ركابها من سكانها في داخل المنطقة الاستوائية، وكونها واقعة على البحر المحيط الأعظم، كما كان يسميه أسلافنا العرب، الذين عرفوا ساحله الشرقي، ولم يعرفوا الغربي، وهو المحيط الأطلسي، كما ذكروا أنه يتصل بالمحيط الشرقي الذي هو أعظم منه، وهو المحيط الهادئ، ولكنهم لم يعرفوا حجمه، وإلا لسموا هذا الأطلسي بالمحيط العظيم لا الأعظم.

مع أن طائفة من سكان غيانا الفرنسية أفارقة الأصل؛ جُلب آباؤهم من المستعمرات الفرنسية السابقة، كما فعل المستعمرون الإنكليز، الذين جلبوا الأفارقة بمثابة العبيد من إفريقية إلى ترينداد، وبعض جزائر البحر الكاريبي المسماة ـ خطأ ـ بجزائر الهند الغربية،

وما هي من الهند وأهلها بقريب، وكذلك فعلوا في غيانا المستقلة الآن التي كانت تسمى قبل ذلك (غيانا البريطانية) حتى أصبح السكان السود يتقاسمون فيها العدد مع الهنود من الآسيويين الذين كانت بلادهم أيضاً تحت الحكم الاستعماري البريطاني، فكانوا يهاجرون إلى هذه البلاد، وكأنهم يهاجرون إلى جزء مألوف من أجزاء بلادهم.

إنني من أشد الناس كراهية للسفر في الليل؛ لأنه يحرمني من رؤية الأشياء من الطائرة، فلا أستطيع أن أميز منها ما أريد تمييزه؛ إضافة إلى أن الوصول إلى البلاد يكون في الليل أيضاً، فيفوتني رسم الصورة الأولى التي تنطبع في الذهن من إلقاء النظرة الأولى عليها.

كان مقعدي في الطائرة عند النافذة، ولكن ذلك لم ينفعني في شيء لأن الظلام الدامس قد غطى على كل شيء، فكان الطيران لذلك مملاً لاسيما أن المناظر داخل الطائرة يسودها إظلام آخر في الألوان وكدرة في الأبدان.، وعدم أناقة في الهندام، بعد بلاد البرازيل التي يكحل جمالها العيون، وبزينه تأودات الغصون، وقل ما شئت عن الغصون هذه، أهي غصون العود، أم أغصان القدود، كما أنك لا تنسى ورد البرازيل، وقل ماشئت عن ورود العود، أو ورود الخدود. ولا شك أيضاً أنك إذا كنت فضولي الطبع، مبتلى بالتطلع إلى استجلاء المظاهر لن تمحى من ذاكرتك الابتسامات البريئة العذبة في البرازيل التي لك - أيضاً - أن تقول فيها: إنها ابتسامات الزهور، أو ابتسامات الثغور.

بعد طيران دام ساعة وعشر دقائق، ما بين مدينة (بليم) البرازيلية، و(قايين) عاصمة غيانا الفرنسية كان يقطع صمته في الابتداء وقبيل الانتهاء صوت المكبر من الطائرة يعلن بإنكليزية مختصرة ليس معها غيرها من لغة البلاد التي غادرتها الطائرة، وهي

البرتغالية؛ لغة البرازيل، ولا من لغة البلاد التي ستنتهي الطائرة رحلتها هذه إليها، وهي (سورينام) فهذه كانت مستعمرة هولندية، ولذلك فإن الهولندية هي لغتها الرسمية، وإنما الذي أعطى الإنكليزية هذه المنزلة بين اللغات، هي مكانتها العالمية التي أصبحت عليها بعد أن أحلتها فيها بريطانيا أيام عزها، ثم أخذت الراية منها الولايات المتحدة الأمريكية التي هي الآن لا تزال في عنفوان صولتها المالية والعسكرية.

كان هبوطها في غيانا الفرنسية في الساعة الثانية إلا ثلثاً من بعد منتصف ليل الأحد، وإن شئت قل ما هو أوضح من ذلك، وهو أن ذلك كان من قبل فجر الإثنين. وطلبوا من الركاب الذين سيواصلون سفرهم إلى سورينام مثلنا أن يبقوا في الطائرة، فبقينا على غير طائل لأن الظلام الدامس هو السائد، والجو الرطب هو المسيطر، والوجوه الندية غير الطرية، أو لنقل إنها الكاسفة الحالكة، هي التي تلح على العيون.

فنزل أكثر الركاب، ثم قامت الطائرة إلى (باراماريبو) عاصمة (سورينام) بعد توقف استمر (٧٥) دقيقة، وذلك في الثانية والدقيقة الخامسة والثلاثين بعد منتصف الليل، ولم يكن في طيرانها أيضاً ما يحسن ذكره؛ بل ما يذكر، بسبب الظلام، وعدم تغير الوجوه داخل الطائرة التي هون من وجودها قلة عددها، فقد كان عدد الذين نزلوا في (غيانا) الفرنسية أكثر من الذين ركبوا منها إلى سورينام بكثير.

في مطار باراماريبو:

هبطت الطائرة في مطار (باراماريبو) عاصمة سورينام في الثالثة والربع من قبل الفجر، ولم نقف طويلاً عند ضابط الجوازات لكوني

أحمل سمة دخول دبلوماسية على جوازي من سفارتهم في برازيليا عاصمة البرازيل.

أما مفتش الجمارك فلم يكتف بترك الأمتعة تمر؛ بل انحنى بالتحية عندما رأى جوازي سعودياً سياسياً.

ولكن الوقوف كان في انتظار السيارة التي تقلنا في هذه الساعة المتأخرة من الليل؛ إذ لم نجد أثراً لسيارة أجرة، فسألنا موظفاً في المطار، فقال: إن الحافلة الصغيرة تنتظركم. وبالفعل حملنا أمتعتنا ووقفنا طويلاً حتى اكتمل مجيء المسافرين كلهم الذين ليس لهم سيارات خاصة، فسارت الحافلة، وهي صغيرة، في الرابعة إلا ربعاً مع الفجر.

سارت الحافلة، وسارت ولم نكن نعرف كم بقي من الطريق؛ حتى استغرق سيرها ساعة كاملة، وكنا نقصد فندق السفير (إمباسادور)، أو فندقاً آخر، وكلاهما أخذنا اسمه من امرأة مسلمة من أهل سورينام صادفناها مع صاحبة لها في جولة سياحية أمس على المنطقة النهرية في مدينة (بيليم) في البرازيل، فأخبرتنا أنها مسلمة، وأن رفيقة معها هي هندوكية. ولم نتحدث معها لعدم وجود المناسبة؛ غير أنهما قالتا: إننا عرفنا بأنكم غرباء، وقدرنا أنكما من الأمريكيين الشماليين، ثم أعطتنا هاتف زوجها، وهو عضو مهم في إحدى الجمعيات الإسلامية، حتى نتصل به إذا أردنا، ونفعنا ذلك فيما بعد.

كانت الحافلة تسير والوقت يمضي، ونحن بين رضا بذلك، وسخط له، فتأخرها قد يعفينا من أجرة اليوم الذي نحن في ليلته، وهو الذي دفعنا أجرته إلى فندق (نوفوتيل) الذي كنا فيه أمس في

مدينة (بليم) بالبرازيل، وغادرناها في منتصف الليل. وتقدمها يعفينا من التعب والسهر الذي ما زلنا فيه منذ يومين.

في مدينة باراماريبو:

وصلنا قلب المدينة الذي يقع فيه فندق (إمباسادور) في الخامسة إلا ربعاً فجراً، وقد بدت غرة الفجر وضاءة تطل على استحياء من خلال غلائل من غيم رقيق، ولكن هذا لم يعفنا من أجرة الليلة الماضية التي دفعناها أيضاً لفندق نوفوتيل في بيليم، فأصر الموظف في الفندق على أن الأجرة تحتسب يوم الأحد ١١/٤ على حين أن ختم الجوازات في مطار باراماريبو يحمل تاريخ وصولنا يوم ١١/٥، ولم تكن حالتنا تسمح بأكثر من مناقشته مناقشة لم يقتنع بها.

وهكذا دفعنا أجرة الليلة التي تتبع يوم الأحد لفندقين في بلدين مختلفين من دولتين مختلفتين، وطرأت على ذهني المسألة التي قال بها متأخرو المتصوفة الذين يدعون الكرامات الخارقة للعادات وهي أن الولي يجوز أن يكون في آن واحد في مكانين مختلفين متباعدين، فقلت إن من يقرأ أسماءنا في سجلات الفندقين سيذكر في ذهنه ما ذكرته إذا كان قد سمع بهذه المسألة من قبل، وهي مسألة أولاها المتأخرون أهمية في البحث، حتى ألف فيها السيوطي رسالة أسماها كتاباً طبعت ضمن كتابه «الحاوي في الفتاوي» وعنوانها: «القول الجلي في تجلي الولي»، والتجلي هنا: لفظة ألطف من وجود، فالولي على هذا الزعم يتجلى في أكثر من مكان واحد في آن واحد، ولا يعني ذلك أنه يوجد، و«إذا اراد الله بعبد سوءاً مسخ على قلبه وبصره».

بدا الفندق من غرفه أنه رغم ما اظهروه من كونه من فنادق الدرجة الأولى هو من فنادق الدرجة الثانية في البرازيل؛ من حيث

الاستعداد في الغرف حتى في عدد المناشف.

كما ظهرت لنا الإعلانات التي تحمل تحذيرات النزيل من أن يترك في غرفته شيئاً ذا قيمة، وهذا أمر ليس شائعاً في فنادق البرازيل، والأرغواي، والأرجنتين، وقد كتبوا في الغرفة لافتة تقول: «من فضلك ساعدنا بتأمين ما لديكم مما له قيمة بسرعة»، وفي الغرفة ثلاثة مزاليج من الداخل في بابها، ولا شك في أن الأمر مختلف جداً ما بين هذه البلاد (السورينامية) وبين البلاد الأمريكية اللاتينية، وإن كانت تشترك كلها في تجاورها في القارة الأمريكية الجنوبية.

يوم الإثنين ١٢/٢/١٤٠٥هـ - ٥/١١/١٩٨٤م

يا رعى الله البرازيل:

بعد نوم قليل رغم السهر الطويل، نزلنا لتناول الإفطار في مطعم الفندق في الثامنة، فذكرنا البرازيل، وصباحها الجميل الذي يصافحك فيه منظر الفاكهة أنواعاً منوعة على طعام الإفطار، ومعها الجبن وحده هو أيضاً أصناف مصنفة، أما الحليب، فإنهم لا يعرفون تقديم الاصطناعي المجفف منه، وإنما هو الطبيعي الطازج اللذيذ النافع، و قل ما شئت عن البسكوت، وأنواع الخبز في سخاء يجعل فطور الشخص الواحد يصلح لأن يقدم في أوروبا لثلاثة أشخاص؛ دون أن يصل الأمر إلى حد التقتير.

وكل ذلك بالمجان تتضمنه أجرة الغرفة التي هي تكاد تكون أيضاً بالمجان، والأهم من ذلك في عين النزيل ما يفتح عليه نظره في صباحه، فهو يرى ابتسامة مضيئة، أو طلعة بريئة، أو حتى وردة ندية. ولكنه رأى في هذه البلاد السورينامية، وجوها كدرة وألواناً غير نيرة.

وجاء الإفطار نزراً قد قتروه تقتيراً, وأخروه كثيراً، وجاؤوا بحليبه في قاع فنجان من المسحوق؛ليس له منظر يروق، ولا طعم شهي لمن يذوق، ولم يحضروا معه شراب البرتقال. وأما الخبز فإنه قطع يابسة، لا يستسيغها حلق جوعان، وليس فيه من الفاكهة شيء، ومع ذلك طلبوا ثمنه نقداًقيلدرين ونصفاً، والقيلدر السورينامي يساوي من الناحية الرسمية القيلدر الهولندي، ولكنه ينقص النصف في السوق الحرة.

وكانت محاولة بعد الإفطار، وقد ارتفع النهار، للجولة في الشارع، لاستجلاء وجوه الناس، وإلقاء نظرة سريعة على الحوانيت، فكانت الصدمة أعظم، والفرق بينها وبين البرازيل أطم، فالوجوه هنا تدعو للانقباض، والجو يلجئ إلى الارفضاض.

جولة في مدينة باراماريبو:

لا نعتزم اللبث طويلاً في سورينام، ولكن عناوين الدعاة المبتعثين من المملكة العربية السعودية فقدت من زميلي الشيخ محمد بن قعود، فهاتفنا الأخ المسلم الذي أعطتنا زوجته رقم هاتفه، وطلبنا منه أن يرسل إلينا الشيخ (محمد علي أحمد)، وهو أندونيسي تدفع دار الإفتاء في المملكة راتبه، ويعمل مرشداً وواعظاً ومدرساً في هذه البلاد.

فما أسرع أن جاء الشيخ محمد علي بسيارة له خاصة صغيرة قديمة من طراز (فولكس فاجن) فانطلقنا مخترقين القلب التجاري للمدينة الذي يشتمل على حوانيت متلاصقة أشبه ما تكون بحوانيت الأحياء الغنية في المدن الهندية أو العربية، ثم خرجنا إلى ضفة النهر؛ نهر سورينام الذي أقيمت عليه مدينة(باراماريبو)، فسرنا على شاطئه قليلاً، ورأينا فيه الميناء النهري في خور أي خليج صغير؛ لا تكاد تميزه

عن الخور البحري الهائل المياه، لولا حمرة مياهه التي تجبرك على التذكر بأنها مياه عذبة، وليست بالمياه البحرية الملحة.



المؤلف على يساره الداعية محمد علي على شاطئ نهر سورينام

والناس؟

وأما الناس، فإنهم من النظرة الأولى التي غالباً ما تثبت النظرات التالية لها أنها لا تخلف، فإنهم السود الذين لا يختلفون في ألوانهم عن الأفارقة، قد اختلطوا بسمر الأصول، ولكن الجو الاستوائي في هذه البلاد قد زادهم سمرة إلى سمرة، وبخاصة منهم من كانوا من الهنود الآسيويين، ولا بد هنا في هذه المنطقة ، والتي هي سورينام، وغيانا، وجزر البحر الكاريبي مثل ترينداد، وجامايكا، وفنزويلا، لا بد من نعت الهنود بنسبتهم إلى القارة التي كانوا يعيشون فيها، لأنه يوجد

هنود آسيويون جاؤوا من القارة الهندية مهاجرين، كما يوجد هنود أمريكيون، وهم سكان هذه البلاد الأمريكية الأصلاء الذين كانوا فيها قبل مجيء المكتشفين الأوربيين، ويسميهم الإنكليز (الأمروإنديان)، وهذا نحت من كلمتين هما: الهنود الأمريكيون.

ولم نر أحداً من الجنس الأبيض في الشوارع إلا فيما ندر.

وأما الأمريكيون اللاتينيون كما يسمون نسبة إلى لغاتهم التي أصلها من اللاتينية، وهم الموجودون في أمريكا الجنوبية والوسطى، ويشبهون العرب في كثير من الوجوه، وبخاصة في الألوان، فإنهم غير موجودين هنا أصلاً، وعندما كنا في أمريكا الجنوبية مثل البرازيل لم نكن نحس بينهم بأننا غرباء بأية حال من الأحوال إلا فيما يتعلق بالمعتقدات والديانات، وهي أمر لا يسأل القوم عنها هناك إلا كما يسأل الإنسان عن أشياء يستظرفها، أو يتظرف بالحديث عن آثارها حين يستكشفها.

وهنا في هذه البلاد جنس موجود إن لم نقل كثير الوجود، وهو الجنس الأسود المختلط بالجنس الأسمر مثلما يختلط الإفريقي بالهندي الآسيوي، فتنشأ بينهما ناشئة هي وسط بين الجنسين من حيث اللون، أو من حيث التقاطيع، أو حالة الشعرمن مجعد معقد إلى سبط ممدد.

ومن الملاحظ الغريب أن الذين ينتمون إلى الجنس الأندونيسي، وهم نسبة لا بأس بها من السكان في هذه البلاد تراهم في الشوارع والمحلات، ولكنك لا تراهم اسودّوا كثيراً كما فعل الهنود، ولا شك في أن مرجع ذلك إلى شيء في طبيعة الجنس الصيني، ومن ألحق به من الناس كالجنس الملايوي الذي يعيش في ماليزيا وأندونيسيا، والذين يقال إنهم جاؤوا من جنوب الصين هم أبعد الناس عن الاسوداد في كل

البلاد.

ويكفي من التدليل على ذلك أن بلادهم تقع تحت خط الاستواء، ولكن الأندونيسيين والملايويين ليسوا سوداً؛ على حين أن جميع الأجناس الأخرى التي تعيش تحت خط الاستواء مباشرة، أو حتى تحت الدائرة الاستوائية قد اسودّوا، ومنهم العرب الذين تأفرقوا مثل الإخوة السودانيين الذين لا يزال بعضهم يحتفظون بأنسابهم العربية؛ بل بعضهم لا يزالون يعيشون في قبائل وجماعات عربية، ولكن الجو الإفريقي غلبهم على ألوانهم، فصاروا من السود، أو من السمر الذين يزدادون سمرة على الأيام.

وقد رأيت الصينيين الذين هاجروا لجيلين أو ثلاثة في إفريقية لم يتغيروا في ألوانهم؛ بخلاف غيرهم من الهنود الآسيويين، والعرب، والأوروبيين.

وناهيك بالملايويين الموجودين في مدغشقر الذين مضى على هجرة أسلافهم إليها أكثر من ألف سنة، ولا يزال بعضهم محتفظاً بلونه الملايوي الأصيل؛ على حين كونه يعيش وسط جو أسود من أجناس أخرى متفرقة.

والمظاهر الموجودة هنا تدل على أن هذه البلاد كانت قد شهدت ازدهاراً اقتصادياً، ويتمثل ذلك في أشياء كثيرة؛ أظهرها السيارات الموجودة في أعداد وافرة في الشوارع. وقد أخبرونا أن الحكومة منعت استيراد السيارات في الوقت الحاضر طلباً للتوفير، ولكونها توجد منها أعداد كافية عندهم. وسير السيارات هنا جهة اليسار؛ بخلاف البرازيل التي تسير السيارات فيها جهة اليمين مثلنا.

إلى مسجد الاستقامة:

عدنا إلى قلب المدينة لزيارة (مسجد الاستقامة)، فرأينا معبداً كبيراً ظاهر الشعار، قالوا: إنه معبد للقاديانيين؛ يسمونه مسجداً، ومظهره على البعد شبيه بمظهر المسجد، فله أربع منارات مرتفعة.

واجتزنا جسراً على نهر صغير، وهم يسمونه صغيراً لعدم مبالاتهم بالأنهار وكثرتها، وهو فرع من نهر سورينام الضخم.

ثم وصلنا ضاحية من المدينة بيوتها متفرقة، وبعضها متلاصقة، وإن كانت تفصل بينها مساحات من الخضرة يسمونها حدائق، وهي حدائق بالفعل، ولكنها قطعة من حديقة ضخمة هي بلاد (سورينام) كلها، ولا يكلفهم اتخاذ الحديقة شيئاً، وربما كانت مكافحة الزائد من النبات أكثر مشقة عليهم من الاستنبات، لأن الأعشاب والحشائش تنمو من تلقاء نفسها، لذلك لا يدل وجود الحديقة في منزل على أن صاحبه غني، أو حتى مليء، وإنما تختلف الحدائق في بيوت الأغنياء عن الحدائق في بيوت الفقراء بالتنسيق والتزويق، وبخاصة التزهير، ونوع التسوير.

ولكن مظهر البيوت في هذه الضاحية ليس بهيجاً؛ بل يدل أكثره على العوز والحاجة، فكلها من الخشب، وبعضها من الأخشاب الرثة لأن تعهدها بالطلاء والصقل يحتاج إلى نفقة لا يقدر عليها الفقراء.

وكلها ذات سقوف مسنمة من الصفيح، وذلك لكي تنزلق عنها الأمطار في هذه البلاد المطيرة. أما الأشجار الكبيرة النامية فيما بينها فأكثرها ظهوراً، وإن لم تكن كثيرة العدد، هي أشجار النارجيل التي تدل على أن المنطقة استوائية رطبة، وهي أشجار نضرة؛ مما يدل

على وفرة المياه، وكثافة الرطوبة، لأن هذا هو شأن الجو الذي تنمو فيه هذه الأشجار.



شارع في ضاحية شعبية في باراماريبو

وصلنا (مسجد الاستقامة)، فلم نره يختلف في الظاهر عن غيره من البيوت، فهو بيت حولوه إلى (مصلى).

استقبلنا عدد من الإخوة المسلمين هنا، وأكثرهم من الشبان الفقراء، ومن بينهم أخ مسلم جديد قالوا إنه كان اسمه قبل إسلامه (بتسوانا)، فصار بعد ذلك (شهيد)، وهويعمل في مجلس الوزراء، في وظيفة صغيرة، وعضو في جمعية المسجد.

وقالوا: إن الإسلام قلب حياته رأساً على عقب، فكان سكيراً

تائهاً في الحياة، لا هدف له، ولا مثل لديه. أما بعد أن أسلم فقد تغير وضعه، فهدأت نفسه، وظهر نور الإيمان على وجهه، وغمرت فؤاده الطمأنينة حتى أصبح همه أن يخبر إخوانه من الموظفين بفضل الإسلام، وما يفعله في النفوس المؤمنة.

قالوا: والمهم في أمره أنه من المواطنين الأصلاء، وإسلامه إذا صاحبه عمل واجتهاد ربما سيفتح الطريق لإسلام أمثاله من المواطنين، ولكن ذلك يحتاج إلى عناية ورعاية من القادرين من المسلمين، لأن المسلمين الجدد ليست لديهم معرفة بالدين، ولا ثقافة بحقيقة ما ينبغي أن يكون عليه الداعية، والمسلمون القدماء هم المطلوب منهم أن يساعدوهم ويرشدوهم، ويمدوهم ايضاً بالعون المادي، لأن ذلك مهم، حتى أن الرسول ﷺ جعله في موضع من المواضع معادلاً للجهاد بالنفس كما قال ﷺ : (من جهز غازياً فقد غزا)، أي فكأنه قد غزا بنفسه لما يناله من المثوبة عند الله تعالى.

ثم قدموا لنا شيخاً في حدود الستين من عمره، قالوا: إنه أول مسلم من أهل هذه البلاد الأصلاءفالتقطنا معه صورة تذكارية، ومعه بقية الإخوة.

ثم جلنا في المسجد، وهو صغير لا يتسع لجولة، ولكن وجوده في هذا الحي الذي يقل فيه المسلمون هو في حد ذاته ذو أهمية كبيرة، فمساحته لا تتجاوز ستة أمتار طولاً في أربعة أمتار عرضاً، وهو من الخشب مثل سائر المنازل في هذا الحي.

ومع ذلك وجدنا حيطانه عامرة باللوحات الإسلامية المنوعة، من ذلك لوحة بالعربية «الله أكبر» ، وفي أحد الحيطان «رب اغفر لي وارحمني واهدني واجبرني سلام عليكم ورحمة الله» ومناسبة السلام

بعد هذا الدعاء ليست واضحة؛ اللهم إلا إذا كان المراد إظهار التحية الإسلامية التي هي من الشعارات القولية للمسلمين.



مسجد الاستقامة في باراماريبو

وآيات قرآنية مع تفسيرها المكتوب بحروف لاتينية.

ومن الأمور الملفتة للنظر أنهم دلونا على أبيات من منازل المسلمين قرب المسجد، وفاجأوا أهلها بزيارتنا، فرأيناهم رجالاً ونساء دون تهيؤ واستعداد، فرأينا نساءهم باللباس القصير الذي لا يتفق مع الاحتشام المطلوب في دين الإسلام.

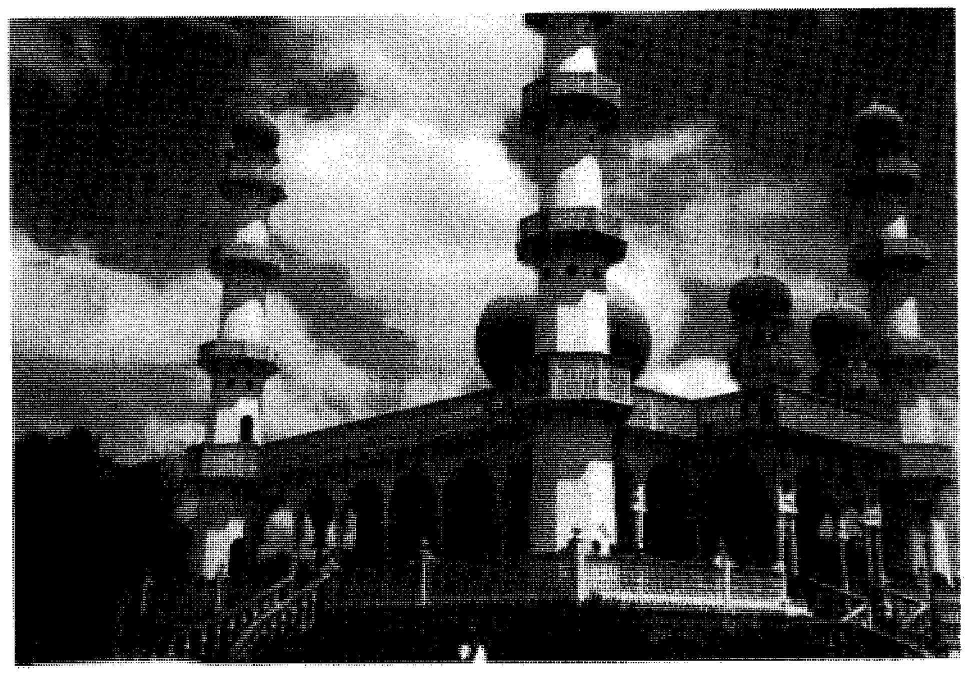
وربما كان مرجع ذلك إلى كونهن في بيوتهن عليهن لباس البذلة؛ غير أن المعروف أن المرأة في البلاد التي شملها السفور والظهور

بين الجمهور لا يكون هناك فرق يذكر بين لباس في بيتها ، وبين الشارع، إن لم يكن لباس البيت أطول وأستر.

وأخ مسلم آخر قدم لنا ونحن نشاهد ما بين البيوت، فقالوا: إن اسمه (يامين اثائي)، وإنه كان نصرانياً؛ بل كان يعمل موسيقياً في الكنيسة، وكان إسلامه في شهر شوال الماضي.

ويقع هذا المسجد في حي اسمه (رام غلام) على شارع منه يدعى (وايخ)، وهو شارع خالٍ من الأرصفة، وإنما في جانبه حشائش كثيفة نامية.

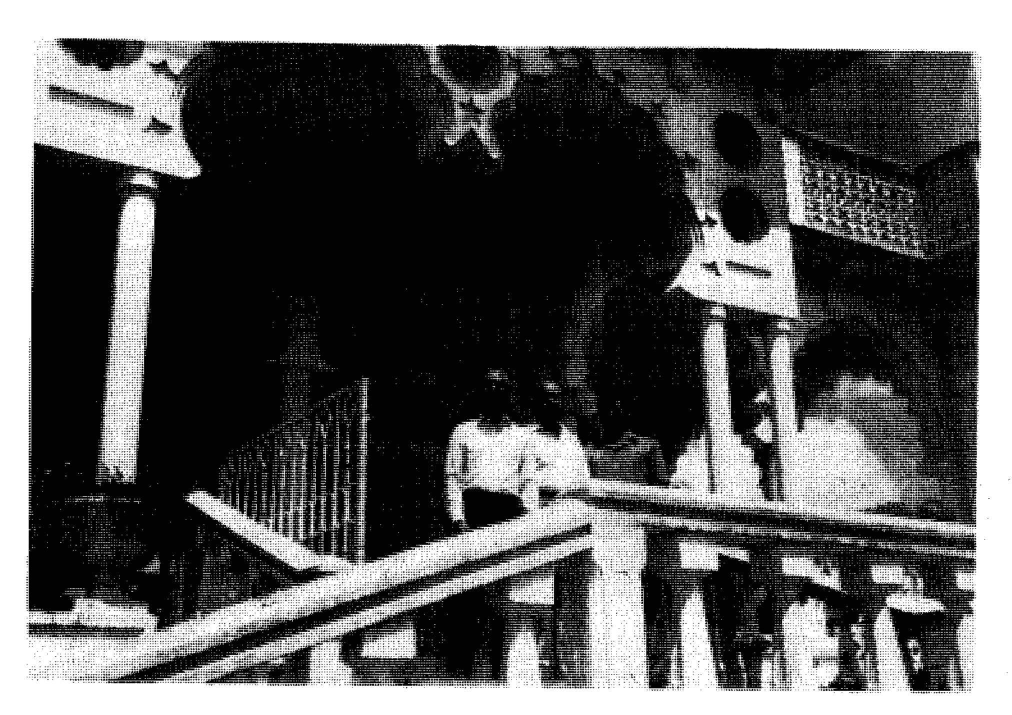
مسجد اتفاق الإسلام:



مسجد اتفاق الإسلام في باراماريبو

تركنا مسجد (الاستقامة)، ولن نترك الاستقامة بإذن الله، وقصدنا حياً آخر من أحياء مدينة (باراماريبو) يسمى (ليف رنو)، وهو حي تكسو الأعشاب الكثيفة أيضاً أرضه، وتظاهرها الأشجار التي تنمو من تلقاء نفسها كما تنمو فيه الأعشاب.

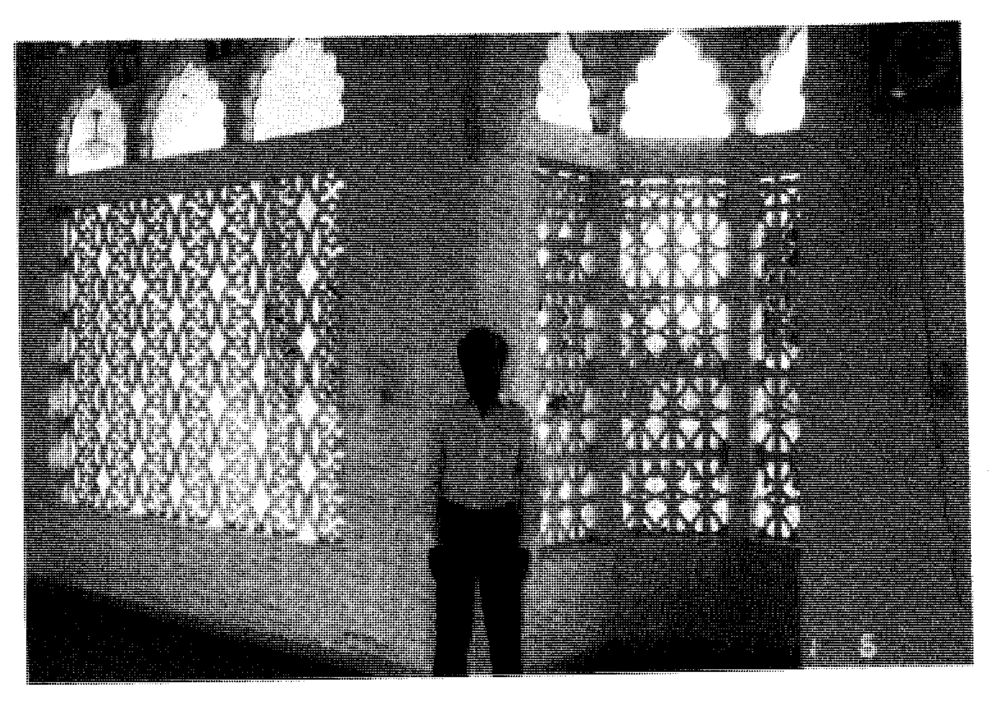
وهذه الأعشاب تضايق الطريق، وتزاحمه من الجانبين، فتنمو على جانبي الشارع، ورأينا الحكومة تكافح نموها، فتُبعد الأعشاب والحشائش عن حاشيتي الطريق، وذلك بعمال معهم الآلات. وقالوا: إنها إذا تركت الأعشاب والحشائش تنمو كيفما اتفق، فإنها تكاد تصل بها الحال إلى أن تسد الطريق، وتجعل السير حتى في الأماكن المزفتة صعباً.



على مدخل مسجد اتفاق الإسلام في باراماريبو

وهذا المسجد رأيناه عندما أقبلنا عليه مسجداً سري البناء، بهي الرواء، شامخ المنار، عالي الشعار، فهو تابع لجمعية إسلامية قوية، هي الجمعية الإسلامية السورينامية، ويتألف أكثر أعضائها من مسلمين من الهنود الآسيويين، وهؤلاء أهل تجارة، وأعمال رائجة؛ بخلاف الإخوة الذين أقاموا المسجد الذي سبق ذكره قبله، وهو مسجد الاستقامة، فهم من الشباب من المسلمين ذوي الأحوال الرقيقة.

وكانت هذه الجمعية تضم بعض القاديانيين قبل أن تتضح حقيقة أمرهم لإخواننا المسلمين، فأبعدهم المسلمون عن الجمعية لأن أهل الهند الآسيويين كان يزورهم في بعض الأحيان علماء مسلمون من القارة الهندية، وبقي هذا المسجد الآن خالصاً لأهل السنة.



المؤلف داخل رواق مسجد الاستقامة

وقد بناه تاجر ثري من المسلمين وحده، وهو من أجمل المساجد في سورينام، له أربع منارات شاهقة، وقبة مغولية الطراز، ويحيط به فناء واسع تلتف أعشابه، وتنتصب فيه أشجار خضر ندية.

ويتقدم مدخل المسجد درج متسع نظيف يصعد إلى المصلى منه، لأنهم رفعوه عن الأرض شأن الأماكن المحترمة، ولكن المصلى الحقيقي فيه ليس واسعاً سعة الأفناء، أو مثل ارتفاع البناء، وقد كبروا النوافذ في حيطانه في استطالة غير معتادة، وقالوا: إن ذلك من أجل أن ينفذ منها الهواء في هذا الجو الرطب.

مشكلة القبلة:

توجد في هذه البلاد السورينامية مشكلة مفتعلة، أو لنقل إنها سهلة الحل، ناتجة عن الجهل؛ غير أن الجهل إذا امتد حتى مازج التقاليد، ونشأ عليه المولود، فإنه يصعب إزالته كما تصعب إزالة التقاليد إلا إذا رزق من يحاول ذلك قوة في الإقناع، ورزق من ابتلي به قدرة على حسن الاستماع.

وملخصها أن المسلمين الأوائل الذين جاؤوا إلى هذه البلاد كانوا من أندونيسيا، وذلك أنها كانت مستعمرة هولندية، وكانت هولندا تستعمر - أيضاً - سورينام، فقدم لها المسلمون بمثابة العمال والمزارعين، ولم يكن معهم من أهل العلم بالدين من يبصرهم بما يصح، وما لا يصح، وإنما اعتمدوا على ما كانوا قد ورثوه عن آبائهم.

وعندما أقاموا المساجد في هذه البلاد جعلوا قبلتها مطابقة للقبلة التي عليها المساجد في أندونيسيا، وهي الاتجاه إلى الغرب، ولم يدركوا أن موقع (سورينام) إلى الغرب من مكة المكرمة، مما يجعل

القبلة فيها تختلف عن جهة القبلة في أندونيسيا!.

وقد بقوا على هذه الحالة عشرات السنين، ولكن عندما اتصل بهم الإخوة المسلمون، وخاصة بعد وصول المبتعثين من المملكة العربية السعودية للدعوة في هذه البلاد، وبعضهم، إن لم يكونوا كلهم، من الأندونيسيين الذين يعرفون اللغة الجاوية التي يتكلم بها عامة الأندونيسيين هنا، وهي تختلف اختلافاً واضحاً عن اللغة الأندونيسية؛ اللغة الرسمية في الدولة الأندونيسية الآن، فهموا أن القبلة التي يتجهون إليها غير صحيحة، بل هي عكس الاتجاه الصحيح نحو القبلة الذي يجب أن يكون إلى الشرق بدلاً من كونه إلى الغرب، فاقتنع بعضهم، وهم الأقل، وامتنع بعضهم، وهم الأكثر، لأنهم عز عليهم الإقرار بأن آباءهم كانوا مخطئين، بل القول بأنهم أنفسهم مخطئون لعشرات السنين.

وكان الأمر غير ذلك بالنسبة للإخوة المسلمين الذين قدموا من الهند الآسيوية، فقد كانت قبلتهم صحيحة، غير أن عددهم كان قليلاً بالنسبة إلى عدد المسلمين الأندونيسيين، وكان حاجز اللغة بينهم وبين الأندونيسيين غليظاً، كما كان اختلاف الثقافة والقومية أيضاً يؤلف ستاراً من الفهم كثيفاً. والآن لا تزال بعض المساجد على القبلة القديمة تتجه محاريبها إلى الغرب، ولكن الإخوة الدعاة أخبرونا أنهم يكسبون أنصاراً جدداً مع الوقت لتغيير القبلة، وبخاصة من المسلمين المثقفين.

ثم عدنا إلى الوسط التجاري في المدينة، فرأينا المحلات التجارية أكثرها يملكها الهنود الآسيويون، والذين هم من أصل أوربي على قلتهم، وهناك اليهود، والصينيون، وبعض الفلسطينيين، كل أولئك معدودون من التجار، أما الإخوة الأندونيسيون، وهم كثرة بالنسبة

إلى الأقليات الأخرى؛ لا بالنسبة لمجموع السكان، فأكثرهم يشتغلون ملاكاً للأراضي الزراعية، وفيهم الموظفون، وأقلهم من يعمل في التجارة.

أما السود فبعضهم من العمال وفيهم عدد من الموظفين .

ولاحظنا أن أكثر البيوت مبني من الخشب، وإن كانت البيوت تتألف من طبقتين إلا أنها تطلى بطلاء يجعلها تبدو بمظهر البيوت الإسمنتية، ما عدا الأبنية المتعددة الطوابق (العمارات) بالطبع، فإنها مبنية من الإسمنت المسلح .

وقد حلت القائلة الآن، وهي شديدة في هذه البلاد بسبب ارتفاع الرطوبة مع الحر، ولذلك صار العمل عندهم فترة واحدة من الثامنة صباحاً حتى الثانية ظهراً.

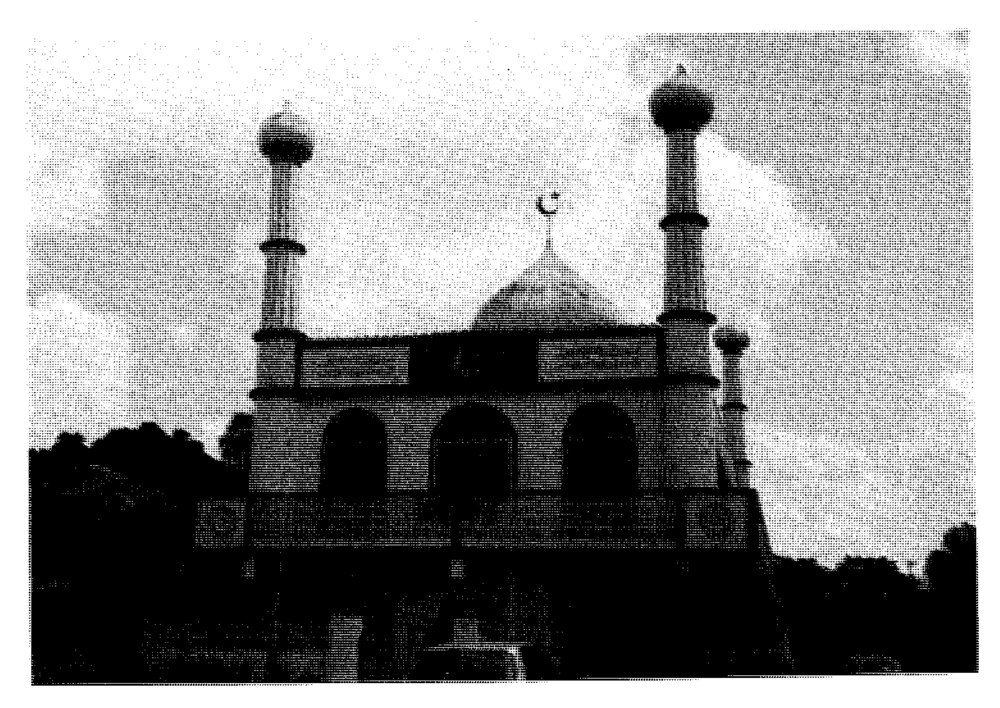
المسجد النبوي:

هكذا سموه (مسجد نبوي) بدون «أل» التعريفية، وتعني المسجد النبوي، وهو أكثر المساجد حركة بمعنى أنه معمور بالمصلين في أوقات الصلوات كلها، وبخاصة صلاة الفجر، وهو أيضاً تقام فيه الدروس، ويقصده الدعاة لإرشاد الناس الذين يؤمونه.

ومظهره لا يقل عن مخبره، فهو مشرف البناء، أبيض الطلاء، ذو أربع منارات، وقبة ظاهرة، ويقع غربيه كنيسة تضم مركزاً مسيحيا يديره أحد الأندونيسيين المسيحيين.

ولم يقتصرنشاط أهله على عمارة المسجد، وإنما اشتروا أرضاً مقابلة له؛ يريدون أن يقيموا عليها سكناً داخلياً، لأن هذا أمر مهم،

وبخاصة بالنسبة إلى من يدخلون في الإسلام حديثاً، فإنهم من الأحداث، ومن الذين لا سكن لهم، فيمكنهم أن يسكنوا ويعيشوا بين المسلمين، وقرب المسجد يؤدون فيه الصلوات، ويسمعون فيه العظات.



مسجد نبوي في باراماريبو

والمسجد مؤلف من طابقين: الأرضي منهما فيه مدرسة ذات مقاعد كثيرة، وفيها دروس للكبار والصغار من المسلمين وأولادهم، ومطعم لصنع الطعام للحفلات العامة والمناسبات، ومرآب للسيارات.والثاني فيه المصلى الرئيسي، أي المسجد، أرضه من الخشب الصقيل، وأكثرها غير مفروش، وكتبوا على منبره الشهادتين بالعربية، وشرحها باللاتينية.

ومما يذكر هنا أننا رأيناهم يكتبون لغتهم الجاوية بحروف لاتينية، كما يفعل الأندونيسيون في الدولة الأندونيسية الآن، وليس كما كانت عليه الحال في الماضي عندما كانت تكتب بالحروف العربية.



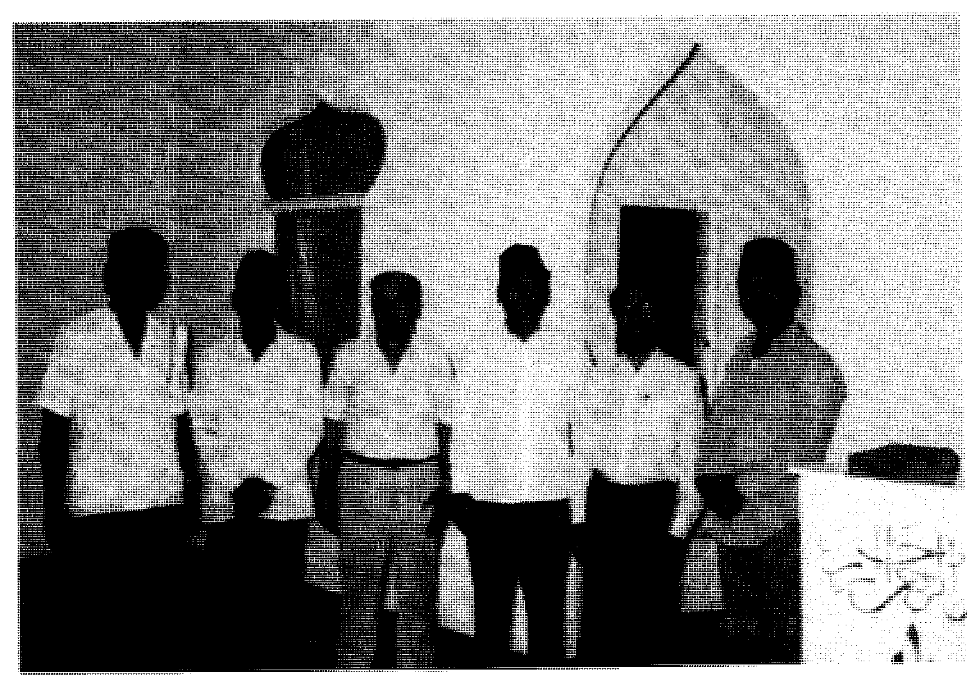
المؤلف عند مدخل مسجد نبوي في باراماريبو

ونوافذ المسجد من الزجاج الممتاز، وفيه قسم للنساء واسع، مفصول عن القسم الذي يصلي فيه الرجال.

ورأينا في المسجد حارساً مقيماً فيه، وهو أندونيسي الأصل اسمه (رشدي راجمن)، وقد ركزوا على موضوع وجود الحارس؛ مما يدل على أن الأمن ليس على ما يرام، وإن لم نشاهد من ذلك شيئاً، وإنما تولد عندنا الشعور بهذا الأمر من واقع التحذيرات والاحتياطات

الموجودة في الفندق كما سبق.

وقد رأينا في الطابق الأرضي سيارة طويلة مسترة لا يرى ما بداخلها أخبرونا أنها مخصصة لنقل جنائز المسلمين، وإن متوسط أجرة نقل الميت هي (١٥٠) قلدراً على أن المسيحيين يأخذون لمثل هذا العمل ألف قلدر، وأنهم أحياناً يؤجرون هذه السيارة لنقل الموتى؛ من اجل الحصول على نقود للإنفاق على المسجد، وما يتبعه من المرافق، وعلى هذه السيارة مكتوب بحروف لاتينية (نبوي) ليعرف أنها تابعة للمسجد النبوي.



مع الإخوة الدعاة في سورينام

وقد صلينا الظهر في المسجد متقدمين على الآخرين لأنهم

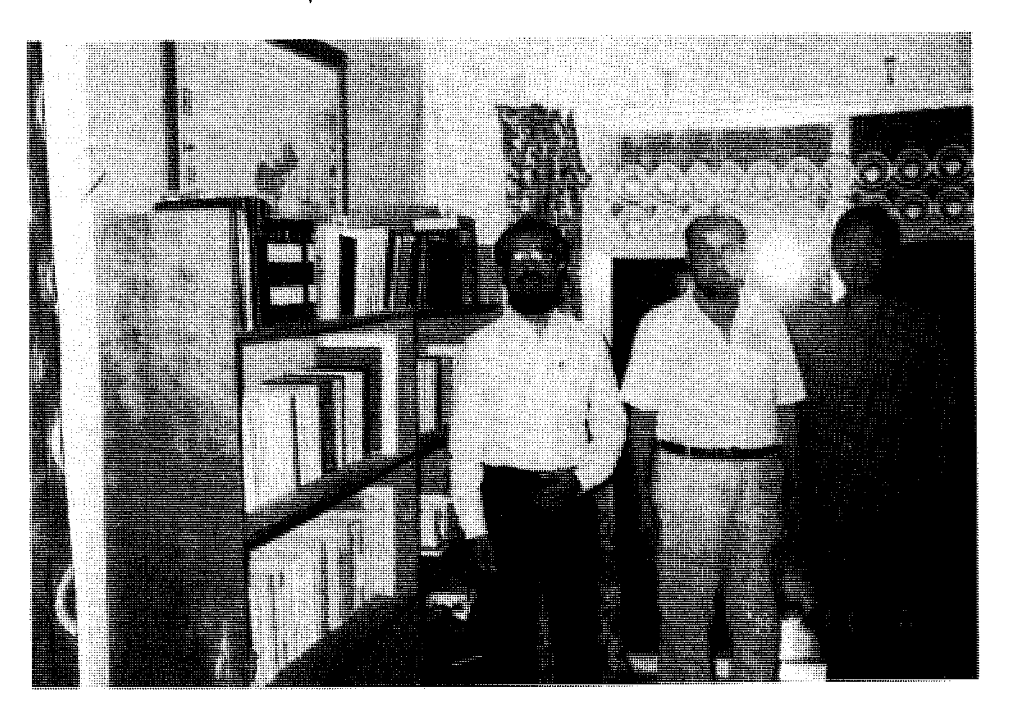
أصحاب أعمال يؤخرون الصلاة قليلاً لهذا السبب من دون أن يفوت الوقت، ونحن خمسة: أنا، ورفيقي الشيخ محمد بن قعود، وثلاثة من الدعاة الذين يعملون مع المملكة العربية السعودية، فيهم من هم مبتعثون من الإفتاء، وفيهم واحد تابع لرابطة العالم الإسلامي.

في السفارة الغويانية:

فرغنا من صلاة الظهر، وصلينا العصر أنا والأخ الشيخ محمد بن قعود جمعاً، وكان المؤذن يدخل ليؤذن للظهر، وكنا قد استعجلنا لأننا نريد الوصول للسفارة الغويانية للحصول على سمات الدخول إلى (غيانا) التي من المقرر أن تتجه إليها رحلتنا بعد سورينام.

فمررنا بحديقة عامة، فيها أشجار من أشجار النارجيل السامقة،

وغيرها، وبجانبها مكتب رئيس جمهورية سورينام.



في بيت الداعية محمد علي مع الشيخ محمد بن قعود في باراماريبو

وجدت موظفة هندية آسيوية الأصل، ويذكر أن الأخ المسلم الجديد الذي قلنا قبل قليل إنه اسلم في شهر شوال الماضي، وإنه كان قبل ذلك مسيحياً يعمل موسيقياً في الكنيسة، هو (هندي أمريكي) أي من السكان الأصلاء الذين كانوا موجودين في البلاد قبل وصول الأوروبيين، فلبثنا هنيهات من الوقت في السفارة أعطوني سمة الدخول سياسية مجانية لكون جوازي (دبلوماسياً)، وأما رفيقي الأخ الشيخ محمد بن قعود فقد طلبوا الرسم على السمة ستة دولارات أمريكية، ولم يقبلوا عملة (سورينام)، ولم نكن نحمل دولارات أمريكية في تلك الساعة، لأننا كنا قد أودعنا نقودنا في صندوق الأمانات في

الفندق، فرهنوا الجواز حتى أعطاهم الأخ الداعية (محمد علي) أوراقاً هامة معه بمثابة الرهن، إلى أن يأتيهم بالدولارات الستة.

إلى جهة الجنوب:

كان من المقرر أن نخرج في جولة على الريف الواقع جهة الجنوب من مدينة (باراماريبو) للاطلاع عليه، غير أننا وجدنا أن حر الشمس لا يطاق؛ إضافة إلى الرطوبة، فأخرنا ذلك إلى الخامسة عصراً.

وقد بدأنا بالريف الجنوبي لمجرد الاطلاع عليه وعلى ما فيه، لأن الريف الشمالي ستكون زيارتنا له زيارة عمل تشمل الاطلاع على أحوال بعض المسلمين الأندونيسيين الذين يقيمون فيه، ورؤية مساجدهم، وحضور الصلاة في أحدها، وإلقاء كلمات في تجمع لهم في مسجد آخر.

اقتصاد سورينام:

اخترقنا قلب المدينة التجاري الذي فيه فندقنا (إمباسادور)، وبهذه المناسبة، أي مناسبة ذكر قلب المدينة التجاري، يجدر بنا أن نلقي بكلمات مختصرة، وربما تكون مبتسرة هنا، عن التجارة لأن التبسط في مثل هذه الموضوعات ليس من عملنا، ولا هو من هدفنا.

تساوي قيمة القيلدر السورينامي رسمياً قيمة القيلدر الهولندي، وقد أخذ اسمه لأن البلاد كانت مستعمرة هولندية، كما هو معروف، ولكن الواقع أن قيمته في السوق الحرة، التي تسمى عندنا السوق السوداء، لا تزيد على نصف قيمته الرسمية، أي نصف قيمة القيلدر الهولندي، والسعر الرسمي للدولار الأمريكي قيلدر واحد

ونصف القيلدر، وفي السوق الحرة يباع الدولار بثلاثة قيلدرات ونصف.

وتعتبر (سورينام) بلاداً غنية، لأنها تصدر الأغذية، مثل الأرز، والموز، كما تصدر سلعاً أخرى مثل الأخشاب، والألمنيوم، وتنتج قليلاً من النفط.

ويبلغ مجموع مساحة سورينام ١٦٢ ألف كيلو متر مربع من الأراضي الخصبة التي لا يحتاج استصلاح أكثرها، إلا لقطع الأخشاب، وإبعاد الحشائش، وبعضها يحتاج لتجفيف المستنقعات على حين أن المعمور منها بالسكان لا يزيد على عشر البلاد أي ١٠ ٪.

وبسبب قلة السكان، وغنى البلاد، وكثرة مجالات العمل فيها، كانت قبل فترة مقصداً للتجار والعاملين على تنمية أموالهم بكثرة؛ إلا أن هذا قلّ الآن بسبب بعض التعقيدات التي فرضتها البلاد على التجارة بعد الاستقلال، لا سيما إذا عرفنا أن عدد سكان هذه البلاد هو في حدود نصف مليون نسمة، نصفهم يقيمون في العاصمة (باراماريبو)، والبقية في سائر البلاد، ومستوى المعيشة فيها مرتفع.

وانطلقنا نقصد الخروج إلى الجهة الجنوبية من المدينة، فرأينا الشوارع في داخل المدينة أكثرها ذوات أرصفة بخلاف الضواحي، فإن أكثر الشوارع فيها خالية من الأرصفة، ولكن إشارات المرور، وتخطيط الاتجاهات في أرض الشوارع متوفرة فيها كلها.

ومن الطريف أن الشوارع التي ليس فيها أرصفة قد حلت الأعشاب، والحشائش الكثيفة فيها محل الأرصفة، فنمت فيها نمواً عظيماً، حت صرت لا تدري نوع الأرض تحتها أهي حجارة أم تراب إلا إذا فحصتها.

واخترقنا شارعاً يسمى (خرافن سترات)، أي شارع خرافن، و(سترات) بفتحة صحيحة على الراء تتلوها ألف هي (ستريت) الإنكليزية بمعنى شارع، وهو من الشوارع الرئيسية لأنه يشق المدينة، وعليه متاجر، وعلى جانبيه أشجار باسقة ضخمة وارفة الظلال، ربما كان سبب ذلك أنها كانت موجودة قبل إقامة هذه البيوت، أو أن ذلك بسبب وفرة الأمطار، وكثافة الرطوبة في الجو، ولا بأس بهذا الشارع إلا أنه رغم طوله ليس واسعاً؛ بل هو لا يتسع لأكثر من سيارتين.

وقد تجلى منظر السكان الذين هم في جملتهم - كما قلنا - من السود، والسمر الشديدي السمرة، وقد اتضحت السمرة الشديدة على ألوان الهنديات الآسيويات اللاتي تخففن من اللباس القصير الذي نقص من أطرافه العليا أيضاً، وقد هجرن الملابس الهندية الآسيوية التقليدية؛ التي هي طويلة، وفيها زوائد لا حاجة لها، لولا شدة المحافظة على الأشياء الزوائد في الهند.

الريف الجنوبي:

ثم خرجنا من المدينة جهة الجنوب، فأصبحنا في ريف أخضر، كثيف الخضرة، وخضرته أكثرها طبيعية، وحشية، وأكثرها خالٍ من العناية أو التهذيب، مع أن المنطقة لو لقيت عناية، وزرعت بالأشجار النافعة المثمرة كالموز، والنارجيل مثلاً، لآتت غلات كثيرة، ولكنهم يجدون أراضي رخيصة، وسهلة الاستزراع بالنسبة إلى هذه الملاصقة للمدينة.

ولقد وقفت بين الأعشاب النامية التي يحجبني طولها والتفافها، فكدت أختفي بينها، حتى كان أصحابي لا يرونني إذا طأطأت

رأسي، وهي أعشاب، وليست أشجاراً.

وبين هذه الأعشاب، وقريب منها، أشجار من أشجار البرتقال الكبيرة التي تزرع عادة في المناطق الاستوائية، والشبيهة بالاستوائية، وهي كبيرة عالية، وثمرتها خضراء أقل جودة من البرتقال الذي تنتجه البلدان المعتدلة مثل المغرب ومصر ولبنان.

ورأينا هذه الأشجار محملة بثمار البرتقال، وأخبرنا الإخوة المرافقون أنهم يبيعون البرتقال عداً، وليس وزناً، كل مائة برتقالة بستة قيلدرات سورينامية، والقيلدر الواحد يباع بالسوق الحرة بما يساوي الريال السعودي الواحد، وهذا هو السعر الذي يبيع به الفلاحون للتجار.

ثم وصلنا إلى شاطئ نهر سورينام العظيم الذي يقترب من المدينة أكثر في جهة غير هذه الجهة في مكان يسمى (لاين بيرخ)، ومعناها بالهولندية: جسر لاين التي هي الأسد، وسميت بالأسد لأن فيها مقر نادي الأسد الدولي الذي هو جمعية أشبه بالماسونية، وبيرخ معناها: جسر، وليست بعيدة من (برج) لهذا المعنى بالإنكليزية، و(لاين برخ) هذه ميناء للعبّارات (بتشديد الباء) التي تنقل الناس والسيارات من شاطئ النهر هذا إلى الجهة المقابلة التي هي في هذه النقطة أعرض من النيل في شمال القاهرة خمس مرات. وكنا نود ركوب إحدى هذه العبارات لزيارة منطقة واقعة على الضفة المقابلة من النهر اسمها (ماروين) فيها مسجد، ولكن الوقت كان ضيقاً، فالتقطنا صوراً تذكارية في ميناء العبارات هذا، ولبثنا قليلاً نتنشق هواء النهر العليل بعد أن أدبرت الشمس، ومعها سياطها الحارة التي كانت تلهب بها الرؤوس.

وأبعدنا جنوباً أيضاً لمسافة خمسة كيلو مترات، فتجلى الريف كما وصفته كثيف الخضرة إلى درجة تجعل الانتفاع من الأرض للزراعة وغرس الأشجار المثمرة صعباً لأن إبعاد هذه الحشائش وقطع الأشجار والأعشاب النامية أمراً مكلفاً.

روضة المحبين:

عدنا جهة المدينة مع طريق على شاطئ النهر مما يسمى في العامية بالكورنيش في منطقة جيدة المنازل، كانت منازل للأثرياء والمترفين في عهد الاستعمار الهولندي الذي هو عصر الازدهار الاقتصادي، والحرية في التجارة والعمل، وهي أشبه ما تكون بالناحية الحديثة التي تتناثر فيها الدارات (الفيلات) الغارقة في الجنات.

ويسمى الطريق (أنطون برختن وايخ) أي طريق أو شارع أنطون برختن، وهو شخص هولندي، و(وايخ) طريق، وهي (وي) الإنكليزية، بمعنى طريق، أو ابنة عمها.

وتجاور هذا الطريق حديقة متسعة مهذبة، فيها المقاعد، قالوا: إنها كانت تسمى في زمن الترف في الاستعمار الهولندي (حديقة العشاق)، وسميتها (روضة المحبين) لأنها أولاً كالروضة؛ إلا أنها لا يصيبها المحل أبداً، فلا تجف زهورها، ولا تسقط أوراق أشجارها. وثانياً: لأن تسمية هذه الأماكن بالروضة هو أشبه بالصحة في العربية الفصحى من تسميتها بالحديقة التي تعني الأشجار داخل سور أو حاجز، وهذه ليس عليها سور أو حاجز.

ولم نر فيها الآن عشاقاً ولا محبين، بل إنني تساءلت عن المحبين

من يحبون، وأكثر الوجوه هنا رمادية اللون، حائلة التقاسيم، والمترفون الذين يجدون وقتاً للعشق والغرام، ومطارحة الهوى والهيام قد رحلوا إلى ما وراء البحار، ورحل ترفهم مع رحيل الاستعمار. وقلت: ما أشبه هذه التسمية بإحدى رياض البرازيل التي تزينها الوجوه الصبيحة، والقامات المليحة، والابتسامات البريئة التي إذا لم تبتسم الزهور اغنت عن ابتسامها، وإذا لم تشم رائحة العطور شممت بعينيك عبير الثغور، والخصور.

ومرة ثانية: رعى الله البرازيل، وأهل البرازيل:

وكلما سرنا على مهل في هذه المنطقة الجميلة من الشاطئ قلنا: ما أجمل البلاد، ولم نستطع أن نقول مثل ذلك في العباد.

إلى الريف الشمالي:

مررنا بوسط المدينة، ولم نقف لأن لنا هدفاً نقصده، واقعاً جهة الشمال البعيد نسبياً منها، فمررنا بمقبرة قال لنا الإخوة المرافقون: إن فيها قسماً منفصلاً للمسلمين عن القسم الأكبر الذي يقبر فيه النصارى.

كما أخبرونا أن الدفن في المقابر العامة مجاني، بمعنى أنه لايؤخذ ثمن للقبر؛ بخلاف كثير من البلدان الخارجية التي لا بد فيها من أن يدفع أهل الميت ثمن قبره، أما المقابر التي تتبع الجمعيات، وهي التي يعتنى بها في الغالب، فإنها بنقود، وليس منها الجمعيات الإسلامية التي لا تتقاضى نقوداً عن القبر، وإنما تتقاضى النقود عن أجرة نقل الميت بالسيارة إذا كان أهله قادرين على دفع تلك الأجرة،

وذلك لأن الجمعيات تكون قد اشترت أراضي تلك المقابر شراء.

مسجد القبلتين:

الهدف الأول من ذهابنا إلى جهة الريف الشمالي هو زيارة مسجد القبلتين، والمراد بالأول هنا أنه الفقرة الأولى من الزيارة، وليس الأولوية، لأن المساجد هناك، بل الإخوة كلهم هم سواسية لدينا مع مساجدهم.

ويبعد (مسجد القبلتين) عن المدينة اثني عشر كيلو متراً، وتسميته (مسجد القبلتين) هي ابنة ساعتها، فهي من عندي، وسيأتي ذكره.

اتجهنا عند الخروج من المدينة جهة معاكسة للجهة التي قدمنا منها لتوّنا، وهي الجنوبية، فوقعنا بدون مقدمات في ريف أخضر ندي، كالريف الجنوبي، إلا أنه مختلف جداً عنه من جهة العمارة والزراعة، فهو هنا حقول زراعية للأرز، والأشجار المثمرة، والمنازل فيه لا بأس بمظهرها، وإن كانت كلها من الخشب.

وكنا نسير مع طريق جيد التعبيد إلا أنه ضيق، لا يتسع إلا لسيارتين متقابلتين. وبمناسبة كثافة الخضرة والأشجار في الريف سألت الإخوة المرافقين عن الحيوانات في الغابة، وعن الصيد فيها، فأجابوا: إن الصيد موجود، والحكومة لا تلاحق الصائدين، ولكن الناس الذين يجدون الوقت، والمال اللازم لشراء البنادق، والذخيرة هم قليل، وإلا فالغابات في الأراضي الريفية حافلة بأنواع الصيد الثمين.

أما الحيوان في هذا الريف الذي نسير عليه الآن، والذي رأيته بنفسي فإنه كلاب سود، وماعز أسود اللون، صغير الحجم، غريب

المنظر، وهو نادر الوجود خارج هذه البلاد كما عرفته من أنحاء العالم المختلفة.

ومررنا بمعبد للقاديانيين في هذا الريف بمنارات، وقبتين ظاهرتين، وأهله كلهم من الهنود الآسيويين، والباكستانيين، وليس فيهم من الأندونيسيين وأهل البلاد أحد، فلم يستسيغوا القاديانية، ولم تنطل عليهم شبهها.

ثم بمسجد معتاد في مظهره، فهو كالبيت المعتاد، ليس له منار، ولا قبة، وهو أيضاً معتاد على الخطأ في القبلة، كما هو التقليد القديم عندهم في جعل القبلة إلى جهة الغرب، ولم نقف عنده إذ لم نتيقن أن فيه أحداً في هذه الساعة التي تسبق ساعة الغروب.

والملاحظ أن الريف هنا مسكون، بمعنى أن فيه منازل متناثرة، وإن لم تكن كثيفة، والبيوت كلها مبنية من الخشب لوفرته، ورخصه بالنسبة إلى مواد البناء الأخرى، وكلها مبني من طابق واحد ذي سقف مسنم لكي تنزلق عنه الأمطار.

والأشجار العالية والضخمة كثيرة، ومن أكثرها ظهوراً للنظر أشجارالنارجيل بقوامها النحيل، وفرعها الثقيل؛ على عكس ما كان يتغزل به العشاق القدماء من الخصر النحيل، والردف الثقيل، إلا أن الفرع الأثيل الذي هو في الصور الجميلة هو الشعر الكثيف الجميل، هو في أشجار النارجيل عسب منسقة على شكل مظلة خضراء تعجب من أن تستطيع هذه الشجرة (العصلاء) أن تتحمل ثقلها، لا سيما إذا داعبها الهواء، فصار يجبرها على الانحناء والالتواء.

ثم انحرفنا عن الطريق المعبدة إلى طريق ريفية ترابية فرعية،

تسير بجانبها ترعة مائية موغلة في الريف الذي يصح أن نسميه بالغابة لولا وجود الزراعة الحقلية، وبعض البيوت الخشبية.

ولمناسبة وجود هذا الماعز الصغير الحجم، الأسود اللون، سألت الإخوة عن الأنعام التي تربى في هذا الريف، وعما إذا كانت فيها أبقار، أو أغنام؟

فأجابوا: إن الضأن هنا لا تسهل تربيته، وكذلك الأبقار، وذلك بسبب كثافة الرطوبة، وقلة المراعي المستوية؛ لأن البلاد كلها أشبه ما تكون بغابة كثيفة، وإنما يعتمد الأهالي في اللحوم على الدجاج والسمك والماعز، ويأكل الكفار لحم الخنزير.

وصلنا (مسجد القبلتين) في قلب الريف الندي، وسميته (مسجد القبلتين) لأن قبلته كانت جهة الغرب، فأوضح الإخوة من دعاة المملكة العربية السعودية لأهله أن ذلك خطأ، وأن صواب القبلة أن تكون إلى الشرق، مع ميل قليل إلى الشمال، فحولوا قبلة المسجد من الغرب إلى الشرق قبل سنتين، ولم يكلفهم ذلك أكثر من أن يجعلوا المحراب باباً للدخول إلى المسجد، ويجعلوا باب الدخول الذي كان يقابله، وهو قديم، محراباً.

فكان هذا المسجد ـ لهذا السبب ـ حرياً بأن يسمى من الآن فصاعداً (مسجد القبلتين)، وقد أسميته بذلك، ولا أدري ماذا يسميه أهله بعد ذلك، أما اسمه الحالي فهو (مسجد هداية الله).

لقد بني هذا المسجد من الخشب، وعلى الطريقة الأندونيسية الخالصة في بناء القباب في المساجد ونحوها، الذي تكون أشبه ما تكون بالقبة الصينية المربعة الصغيرة، ذات الطيات التي يركب

بعضها بعضاً، ولها شاهد قصير.

استقبلنا إمام المسجد، واسمه (واكي مني واكي نو) ولا حاجة إلى القول بأنه أندونيسي؛ لأن هذه لفظة منطقة إسلامية أندونيسية، أو لنقل سورينامية أندونيسية الأصل.



مع الإخوة المسلمين الجاويين في سورينام

ثم حضر رئيس جمعية المسجد الحاج (ريبوت محرم)، فأسرعنا ندخل المسجد لرؤيته في النور قبل الصلاة، مع أنه لم يبق وقت كثير على أذان المغرب، فألفيناه من الخشب المدهون على هيئة البيت المعتاد هنا، وسقفه من الصفيح؛ إلا أنهم دهنوه وحسنوا مظهره حتى أصبح أفضل نوعاً ما من مظهر البيوت القريبة، أما أرضه، فإنها مفروشة

بالمشمع من دون سجاد.

وهذا المسجد في منطقة للمزارعين، بمعنى انها مؤلفة من مزارع، وفيها بيوت للسكن، يسكنها أهلها، ولذلك ينتقلون بينها بالسيارات والدراجات لتباعدها، ولم أر حميراً هنا.

وأما اللباس، فإنه (التبان) أي السروال القصير فقط على أجساد بعضهم، وبعضهم يلبس فوقه القميص، وأما الإمام فإننا رأيناه أول الأمر ليس عليه إلا التبان لأنه لم يكن يعلم بوصولنا، إلا أنه دخل بيته واغتسل، ولبس لباسه الكامل، وهو قميص نظيف قد لف أسفله فوطة تضرب إلى الكعبين، واعتمر (طاقية) حولها عمامة، لأن مقامه في إمامة المسجد يقتضي ذلك.

وأما ملابس المسلمات اللائي رأيناهن دون تهيؤ لاستقبالنا، فإنه اللباس غير الساتر، فضلاً عن أن يكون سابغاً، وقد أخبرني بعض الإخوة الدعاة أنهم وجدوهن قد اعتدن على هذه العادة، وأن بعضهن التزمن باللباس الساتر بعد الموعظة والتبيين.

ومن الغريب الذي لم أكن أتوقعه، أنني سمعت الأطفال والنساء يتكلمون فيما بينهم باللغة الجاوية رغم مضي سنوات طويلة؛ بل ربما أجيال قبل هذا لأن، هذا الجيل الذي لا زال يتكلم بالجاوية، قد ولد في هذه البلاد السورينامية.

وفي مؤخرة المسجد فصل دراسي؛ ذو مقاعد جيدة، ذكروا أن الدراسة فيه ليست منتظمة كل يوم، وإنما هي يوم الخميس وليلة الجمعة، وقد لاحظوا في هذا الأيام المفضلة من الأسبوع، فيوم الجمعة هو أفضل أيام الأسبوع في الدين الإسلامي كما هو معروف.

وفيه قسم للنساء أيضاً، وتبلغ مساحته ثلث مساحة المسجد مما يدل على كثرة حضورهن للصلاة، ولكن الفاصل بينهن وبين الرجال ليس كثيفاً كما يفعل الإخوة من المسلمين أهل الهند، الذين كثيراً ما يغلقون المنطقة التي تخصص للنساء من المسجد عن المنطقة التي يصلي فيها الرجال إغلاقاً كاملاً، حتى لا يرى النساء أحداً من المأمومين؛ فضلاً عن الإمام، وإنما كانوا يرسلون هذا الفاصل في هذا المسجد، وهو من القماش، في وقت ازدحام المسجد يوم الجمعة، أما في هذا اليوم فإنه مرفوع، والمعروف في السنة أن النساء يتأخرن في الصلاة عن الرجال كما قال ﷺ (أخروهن من حيث أخرهن الله)، وقال يحث على تأخر النساء عن الرجال في الصلاة: (خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها، وشرها أولها)، وفسر العلماء ذلك بأن السبب هو الترغيب في عدم اقتراب الرجال من النساء، فلا تحصل فتنة، ولو كان الأمر جزماً بأن لا ترى النساء الرجال، ولا يرى الرجال النساء في الصلاة لكان الرسول ﷺ بين ذلك في وقته، لأن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز.

ماء النارجيل:

أدركنا العطش من شدة الحر والرطوبة، ولم نطلب ماءً لأننا لا ندري عن نظافته، وبخاصة أننا لا نتيقن أن مياه الأنابيب قد وصلت إلى هذه المنطقة، وكنا في انتظار أذان المغرب، فأمر الإمام ابناً له أن يقطع لنا من ثمار النارجيل الخضر مايروي ظمأنا من دون أن نسأله ذلك، لأن هذا من الضيافة عندهم، مثلما نبادر نحن ضيوفنا القادمين بالقهوة العربية، فأسرع الابن يتسلق شجرة نارجيل غير عالية، ويلقي منها بثمار ضخمة من النارجيل، عجبت لها كيف تقوى شماريخها على حملها، وتكاد تكون هذه الثمار في ضعف الحجم المعتاد،

فشربنا منه ماءً بارداً لذيذاً، بل هنيئاً مريئاً؛ لأنه نظيف خلقة، وهو نافع للبطن، ومذهب للعطش، وقد جربته في أماكن عديدة من العالم، في كافة القارات، ولا يكون إلا في المناطق الاستوائية، أو القريبة منها.

فصاروا يفلقون الثمرة بسكين كبيرة بعد شرب مائها، فنطعم من شحمها الذي هو في قوامه بين الشحم وبياض البيض، وهو بالأخير أشبه.

أذن المؤذن لصلاة المغرب بعد غروب الشمس بربع ساعة، فرددت أشجار النارجيل العالية أصداءه، وأجاب الأخوة المسلمون نداءه، فأخذوا يتقاطرون على المسجد للصلاة ما بين نساء ورجال، وكان عدد النساء لا يقل كثيراً عن عدد الرجال.

وكان أذانه شجياً، ليس فيه أثر للكنة أو عجمة، مع أنه في مكان ناءٍ عن البلدان العربية؛ بل أنه هو لم ير بلداً عربياً، ولم يعرف أرض العربِ إلا في الخيال.

وكانت على أكثرهم فوط ضافية يشدونها في أوساطهم، وتضرب إلى كعبي الرجلين، وصلوا تحية المسجد قبل صلاة المغرب .

وصليناها معهم، وبعض النسوة من الشابات، أواللاتي لا يستطعن دخول المسجد ينظرن إلى هؤلاء الغرباء الذين قيل لهم عنهم إنهم من العرب العرباء، ولكنهن يفعلن ذلك دون احتشام في لباس. فضلاً عن أن يكون ذلك من وراء باب أوحجاب.

وكان فعل الجميع عفوياً إذ لم يخبرهم مخبر بقدومنا، ولذلك

لم يستعدوا، ولم يحضر للصلاة أحد من أجل حضورنا.

وصلّت النسوة خلف الرجال دون فاصل أو حاجز، وهن بلباس سابغ جداً، رأينا بعضه معلقاً في المسجد، يشبه الرداء، تصلي فيه المرأة، ثم تعيده إلى مكانه في المسجد، بعد أن تكون قد لفت به جسمها فوق ثيابها في الصلاة.

وحتى الأطفال شاركونا في الصلاة، وعليهم الطرابيش(جمع طربوش)؛ غطاء الرأس المعروف محافظة على تقليد إندونيسي عريق.

فصلّوا المغرب صفين قصيرين للرجال والأطفال، ومثلهما للنساء.

وليس في المسجد تكييف، وإنما هي مراوح كهربائية تبدد الرطوبة الكثيفة.

وقد ألقيت بعد الانتهاء من الصلاة كلمة أخبرتهم فيها بأننا كنا في البرازيل، ورأينا المرور بهذه البلاد لأننا نعمل في رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة؛ التي من أهم أعمالها رعاية شؤون المسلمين في أمريكا، وفي العالم، والتعاون على البر والتقوى، ونؤكد لهم أنهم رغم بعد الدار فإننا نستطيع أن نساهم، كما أننا نستطيع أن نقدم الآن مساعدات رمزية للإعانة على ترميم المساجد، أو تسيير أمورها.

حي ليدن:

يقع مسجد هداية الله في حي اسمه (ليدن)، فيه ثلاثة مساجد، ذكروا لنا أن المسلمين يجتمعون كلهم في أحدها ليستمعوا إلى

الذكر والموعظة، ويصلوا فيه العشاء بعد ذلك مجتمعين.

فبدأنا بالذهاب إلى (مسجد رحمة الله)، فكان أول من لقينا فيه إمامه الأخ (أحمد طيب)، فقلنا له: إن اسمك طيب، وإن فعلك طيب مثله إن شاء الله.

وقال: إنه الإمام وخطيب الجمعة، ثم حضر رئيس المسجد، أي رئيس الجماعة التي تقوم على شؤونه، واسمه (أحمد سهلان).

والمسجد أكبر من الأول، وكان صغيراً جداً قبل ذلك، بني قبل خمس عشرة سنة، وجدد قبل سنتين، وهو من لبن الإسمنت القوي، على خلاف المسجد الذي جئنا منه، فهو مبني من الخشب، وعلى خلاف سائر البيوت هنا التي هي من الخشب أيضاً.

إلا أن المدرسة الملحقة بالمسجد مبنية من الخشب، وكان بناؤها سابقاً على بناء المسجد من لبن الإسمنت.

وهي واسعة، قالوا: إنهم يستعلمونها لتعليم الكبار والصغار في أوقات مختلفة، ورأينا سبورة كبيرة في مقدمة الفصل، فيها الشهادتان، وكلمات بالحروف العربية، وتفسيرها باللغة الجاوية بحروف لاتينية.

وسبورة أخرى في جانب المدرسة كلها مليئة بالآيات الكريمة، وتفسيرها بالحروف العربية، وبينما كنا نطلع على أمور هذا المسجد لحق بنا الإخوة الذين صلينا معهم في (مسجد هداية الله)، أو مسجد القبلتين كما سميته، وذكروا أن سبب ذلك أنهم كلهم لديهم سيارات، فأحوالهم المالية حسنة، وقبل ذلك رأيت ساحات هذا المسجد، والجانب الذي يليه من الشارع مليئة بالسيارات الواقفة التي

جاء أصحابها من أجل حضور الذكر والصلاة في المسجد، ولا ينصرفون إلا بعد انقضاء صلاة العشاء.

وقد أخبرونا أن الدعاة الذين عينتهم المملكة العربية السعودية يأتون إليهم في المناسبات، وأحياناً لمجرد الوعظ والإرشاد، وأنهم يفيدونهم.

وقد تكلم فيهم رفيقي الشيخ محمد بن قعود بكلمة مختصرة تضمنت النصيحة، وبيان الغرض من مجيئنا إلى هذه البلاد.

وقبل مغادرة حيهم (حي ليدن)، وربما تكون كلمة ليدن تذكرنا بأنها اشتهرت عند المثقفين من بني قومنا بأنها مركز مهم للدراسات العربية في هولندا، وطلبوا منا أن ندعو لهم بأن ييسر الله لهم أداء فريضة الحج، ففعلنا ذلك نسأل الله تعالى الإجابة.

وبقي مسجد في هذا الحي لم نزره اسمه (مسجد دار الهدى)، وذلك لضيق الوقت؛ حيث كان لنا موعد مع جماعة كبيرة من المسلمين في جامع نبوي الذي زرناه ضحى.

وقد عرفنا منهم أن هذه المساجد لم يسبق أن تلقت أية مساعدات مالية من أية جهة من الجهات في البلدان العربية، لذلك كتبت أسماءها لندفع لهم مبالغ رمزية، نرجو أن تكون فاتحة لما هو أكبر وأجل، وهو التعاون على ما يرضي الله تعالى، ما بيننا وبين هؤلاء الإخوة الأعزاء.

عود إلى جامع نبوي:

رجعنا إلى الجامع النبوي مسرعين؛ حيث اجتماع للمسلمين كان

مقرراً، وكان بناء على طلب قدموه لأن بعض المسلمين كانوا في أثناء النهار مشغولين بأعمالهم وتجاراتهم، فلم يستطيعوا الاجتماع معنا أثناء النهار.

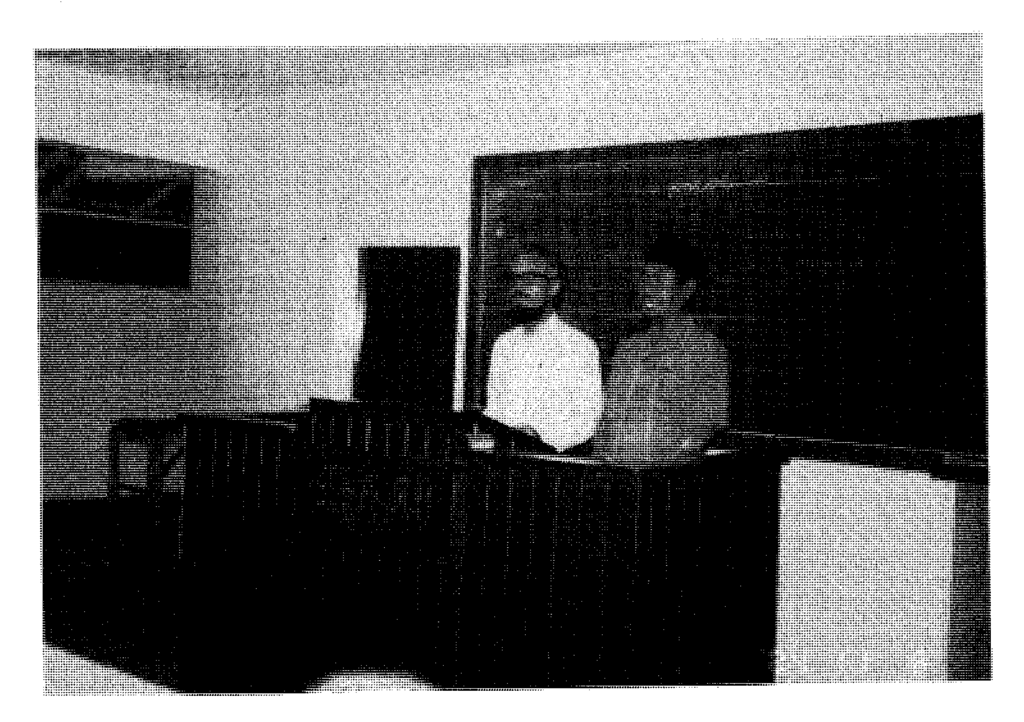
وقالوا: إن في هذا اليوم كان من المقرر أيضاً أن يجتمع بعض الشبان الذين قد يعينون أئمة في المساجد؛ يلقي عليهم الدعاة محاضرات في هذا الموضوع.

وقد اختير هذا المسجد للاجتماع لكونه أقدم المساجد في سورينام، قالوا: إنه كان في مكانه مسجد صغير، وأما هذا فإنه قد بني قبل ثلاث وخمسين سنة، وهذا تاريخ قديم بالنسبة للعمل الإسلامي في البلاد، وليس بالنسبة لوجود المسلمين، لأن وجود المسلمين سابق لذلك بسنين طويلة.

وكانت قبلته إلى الغرب في أول الأمر، ثم حولت إلى الشرق.

وقد وجدنا القاعة غاصة بالحضور من كبار وشبان وفيهم طائفة من النساء، وبخاصة الشابات المتعلمات، فألقيت فيهم كلمة تضمنت الحث على التمسك بما يأمر به الإسلام من الصدق في المعاملة، وأداء الأمانة والإحسان إلى الناس عامة، وبخاصة من تكون للمرء بهم علاقة كالجيران وأصحاب المحلة. لأن الرسول ﷺ يقول: (لا إيمان لمن لا أمانة له)، وقال: (والله لا يؤمن [ثلاثاً]. قالوا: مَن يا رسول الله؟ قال: من لا يأمن جاره بوائقه)، والبوائق هي الغوائل والشرور.

وقد أقسم الرسول ﷺ على ذلك، وهو الصادق المصدوق، ولو لم يقسم، وإنما فعل ذلك تأكيداً لهذا المعنى في النفوس، وحثاً على مراعاته.



المؤلف يتكلم في جامع نبوي في باراماريبو

وقلت لهم: إنكم تعيشون هنا وسط أغلبية عددية غير مسلمة، فيجب أن يعرف المسلم منكم بالأخلاق الإسلامية الرفيعة، وليكن حرصكم على حسن المعاملة، مثل حرصكم على أداء الواجبات من العبادات، أو أكثر لأن المعاملة تتعلق بالعلاقات مع الآخرين من المسلمين وغير المسلمين الذين يتصورون حقيقة الإسلام على ضوء ما يرونه من أفعال أهله.

ثم بينت لهم الهدف من مجيئنا إلى هذه البلاد، وقوة العلاقة الإسلامية بين المسلمين، وأنها أقوى من علاقة النسب، وضربت لهم مثلاً على ذلك ببلال بن رباح الحبشي، كيف كان من السابقين الأولين المقربين من رسول الله ﷺ، ولم يبعده لون جسده، أو أصل

عنصره الإفريقي؛ على حين أن أبا لهب وهو عم الرسول ﷺ لم تنفعه قرابته من رسول الله ﷺ، ولا علاقة نسبه عندما رفض الإيمان برسول الله ﷺ؛ بل أنزل الله في ذمه سورة تتلى إلى يوم القيامة، وذكر فيها كنيته التي صارت اسماً له (أبا لهب) على خلاف أكثر الكفار الذين يذكر القرآن العظيم أعمالهم ويذمها دون أن يذكر أسماءهم، وذلك لحكمة بالغة، منها - والله أعلم - تأكيد هذا المعنى في النفوس، وأن الإنسان لا ينفعه عند الله نسبه، ومكانته عند قومه، وإنما ينفعه ويرفعه إيمانه بالله، وتصديق رسوله ﷺ.

هذا وقد ترجم الكلمة إلى اللغة الجاوية الأخ الشيخ (أحمد مصلح مودي).



أثناء الاستماع للمحاضرات في باراماريبو

وبعد جلسة طيبة من المذاكرة كانت المغادرة لهذا البيت من بيوت الله، وكانت نهاية السمر على مأدبة عشاء خاصة أقامها الأخ الشيخ (محمد علي) الداعية إلى الله ومرافقنا في هذه الجولة، وذلك في بيته الواقع في شارع أرنوت، أو (أرنوت استرات)، وبيته يشغل الطابق الثاني من بيت مقام من الخشب من طابقين.

يوم الثلاثاء: ١٤٠٥/٢/١٣هـ - ١٩٨٤/١١/٦م

توزيع المساعدات:

كنا طلبنا إلى الإخوة جمع المسؤولين عن الجمعيات التي تشرف على المساجد في (المسجد النبوي)، وذلك من أجل أن نعطيهم المساعدات المالية العاجلة التي قررنا منحهم إياها لمساجدهم.

وقد اخترنا المسجد النبوي والابتعاد عن الفندق من أجل الأمن، ومن أجل عدم إساءة الفهم في توزيع هذه المساعدات؛ لأنها مساعدات خالصة لله، وفي الله، لا نبتغي من ورائها جزاء ولا شكوراً، وليس لها هدف سياسي، أو منفعة اقتصادية، وإنما هي من صندوق المساجد الموجود في رابطة العالم الإسلامي.

السود:

قبل الوصول إلى المسجد النبوي مررنا بطائفة من الحوانيت التي تبيع الأطعمة، فوجدنا على بعضها أسماء إسلامية، منها مثلاً: (فاطمة سنور)، وآخر (محمد يوسف)، ورأينا طوائف من السود يشترون وهم أكثره زبائن المحلات التجارية.

فرأينا تسجيل كلمة قصيرة تضاف إلى ما ذكر في مقدمة

الكتاب عن السكان:

يتألف السكان من حوالي نصف مليون نسمة ـ كما تقدم ـ تبلغ نسبة السود فيهم ٣٥ ٪، أو نحو ذلك، وهم أكثرالألوان ظهوراً للغريب الذي يأتي إلى هذه البلاد، وربما كان مرجع ذلك إلى أن بعض السكان من غير السود في الأصل قد دخلوا دائرة السود، بعد أن عاشوا في هذه البلاد، ومنهم بعض الهنود الآسيويين؛ إضافة إلى بعض المهاجرين من أهل البحر الكاريبي، الموجودين في سورينام، وإن لم يكونوا من أهلها الأصلاء.

وهؤلاء السود جيء بأكثرهم عبيداً أرقاء من إفريقية، ومن الأقطار المجاورة التي كثر جلب العبيد إليها مثل غيانا وترينداد.

وقد بقوا في هذا الجو الاستوائي على ألوانهم الإفريقية السوداء؛ لم يتغيروا لأن الجو لم يتغير كثيراً، عما كان عليه في إفريقية بالنسبة إليهم، وعلى سبيل المثال فإننا شعرنا أن الشمس في الثامنة والنصف من هذا الصباح، كأنما نحن في الظهيرة لشدة حرارتها، وأثر وقعها على الجسم، ولم يكونوا شيئاً مذكوراً إبان الاستعمار الهولندي؛ إذ كانت مقاليد الأمور كلها بيد المستعمرين، وكانت هناك وظائف يشغلها هنود آسيويون، وأندونيسيون.

أما الآن، فقد اختلفت الحال؛ إذ أصبح قائد الجيش من السود، وإن كان رئيس الجمهورية لا يزال هندي الأصل من الهنود الآسيويين.

ومن العبارة التي تفوه بها أحد الحاضرين الليلة البارحة عندما سألته عن الحالة الاجتماعية لهؤلاء المواطنين السود، وعن علاقة ذلك باستعدادهم لقبول الدعوة الإسلامية، قال: إن السود لهم الأغلبية

النسبية هنا؛ غير أن قلوبهم مع الخمر والنساء، فليس لهم تجارة، ولا وظائف فنية مهمة.

والحكومة الحاضرة، حكومة عسكرية تميل إلى اليساريين، ولذلك انخفضت قيمة العملة، وهربت رؤوس الأموال الأجنبية، وتأخرت حالة التجارة، وتبع ذلك تعطل بعض الطوائف العاملة، وتبع هذا - فيما قيل لنا - تردٍ في حالة الأمن، فأصبحت جرائم السرقة من منازل الأثرياء والموسرين كثيرة الوقوع.

اللغات:

الهولندية هي اللغة الرسمية للبلاد، وهي لغة الثقافة والتعليم، والمستعملة في الدوائر الرسمية، وذلك من كون البلادكانت مستعمرة هولندية، وأن الجيل الحالي من المثقفين ثقافته هولندية، ولسبب آخر، وهو أنه لا توجد لغة رسمية وطنية موحدةراقية يمكن أن تحل محل الهولندية.

وهناك لغة محلية عامة اسمها (تاكي تاكي)، تتألف من كلمات من الهولندية، والفرنسية، والإنكليزية، ولغات السود الذين قدموا من إفريقية، ويتكلم بها السود من أهل البلاد، ولا تستعملها الجاليات التي جاءت بلغات قوية مثل الجالية الآسيوية التي تستعمل اللغة الأوردية، ولا تزال تدرسها في مدارسها الخاصة، والجالية الأندونيسية التي تتكلم اللغة الجاوية التي هي شائعة في جزيرة جاوا في أندونيسيا، وهي غير اللغة الرسمية الأندونيسية، وإن لم تكن بعيدة عنها.

أما الإنكليزية، فإنها شائعة من واقع مجاورة سورينام

لمستعمرات إنكليزية سابقة لا تزال تتكلم الإنكليزية بعد الاستقلال، مثل غيانا، وترينداد، فضلاً عن (بربادوس)، وعدد من الجزر الصغيرة في البحر الكاريبي.

ومن الغريب أن اللغة البرتغالية التي هي لغة البرازيل؛ الجار الكبير لسورينام غير شائعة هنا، ولا يكاد يعرفها أحد من السكان؛ بعكس الإنكليزية، وذلك بلا شك نابع - في أساسه - من تشابه الأجناس والألوان والثقافة ما بين السكان في سورينام والمستعمرات الإنكليزية السابقة؛ بخلاف البرازيل التي تختلف عنها في هذا الموضوع.

الجمعية الإسلامية السورينامية:

هذه جمعية إسلامية خاصة بالإخوة الأندونيسيين، وعلى الأدق، الجاويين؛ لأن أكثر الأندونيسيين الموجودين هنا هم من جزيرة جاوا في أندونيسيا.

زرنا مقرها في حي (تورتونيلان)، وهو من الأحياء القديمة من المدينة رأينا أن أكثر الأشياء ظهوراً في أفنيته أشجار الموز.

ووجدنا في الاستقبال (سكرتير) الجمعية الأخ (كاميرين سارجو)، وقد وضع على رأسه طاقية ليشير إلىأنه مسلم، لأن هذه الطاقية لا يلبسها هنا إلا المسلمون.

فحدثنا عن مشروعات الجمعية، وأرونا بعض منشوراتها، ومكتبتها، وهي تدل على نشاط الجمعية؛ إلا أن ذلك دون ما كنا نؤمل أن نجد عليه جمعية منظمة لأكبر مجموعة مسلمة في البلاد.

ولهم أعمال حسنة، منها أن لهم مكاناً في الجمعية زرناه، قد أعدوه لسكن الطالبات المسلمات، وفروا له ما يلزم لسكن المرأة المسلمة من صيانة وعناية، وذلك من أجل أن يؤوي الدارسات من بنات المسلمين الذين يسكنون خارج العاصمة.

وفيه مسجد خاص بهن، ومطعم لا يدخله رجال، وفيه سبع وأربعون طالبة، ذكروا أنهن يسكن فيه وذكروا أن عدداً من الفتيات غير المسلمات يمكن أن يسكن إذا دفعن أجراً يستعينون به على استمرار العمل في هذا المنزل، ويقولون: إنهم يلاحظون ألا يؤثر ذلك على المسلمات.

ولهم مشروع إقامة مركز إسلامي اشتروا أرضه، وجمعوا المال لبناء مسجد كبير عليها، فقدمنا لهم مبلغاً رمزياً مشاركة من الرابطة في بناء المسجد قدره ألف وخمسمائة دولار أمريكي.

العرب في سورينام:

لا بد من السؤال عن الإخوة العرب في المهاجر، وهنا قال إخوتنا المسلمون، وكادوا يجمعون القول: إن أخاً عربياً مسلماً نشيطاً يحضر معهم صلاة الجمعة، ويتبرع للجمعيات الإسلامية لا بد من اللقاء به، قالوا: وأما المسيحيون من العرب، فإننا لا نتصل بهم، ولا نعرف عنهم شيئاً؛ لأن أكثرهم يعيشون كما يعيش الأوروبيون.

ذهبنا إلى الأخ العربي المسلم (إبراهيم رمحي)، وهو فلسطيني يحمل جنسية سورينام، ملتزم بالإسلام، بل إنه يعمل كثيراً مع الدعاة إلى الله، وهو تاجر، زرناه في متجره، فوجدناه كبيراً واسعاً، تعمل فيه معه زوجته، وهي عربية، وبعض الموظفين.

وجلسنا في مكتب له خاص، في مكان مرتفع من متجره الكبير، فجرى معه حديث عن العرب المسلمين في هذه البلاد السورينامية، فكان من ذلك قوله: إن أكثرية العرب هنا من المسيحيين، وإن لهم مكانة عالية في البلاد، وخصوصاً من كانوا منهم قدماء، وأكثرهم يشتغلون بالتجارة، وبعضهم لهم مناصب مهمة، مثل رئيس بنك سورينام (يوسف إبراهيم الحجار)، وهو من أصل لبناني، وقال: إنه رجل محبوب، وإنه يتعاون معنا نحن المسلمين، وقال: ويبلغ عدد العرب في سورينام (مائة أسرة)، منهم سبع أسر من المسلمين، كلهم فلسطينيون، والبقية من المسيحيين، من سوريا ولبنان، ولكن أكثريتهم من اللبنانيين، وحدثنا عن تجارته فقال: إنها رائجة، وإنه هو وأسرته بخير، ولا يكدر صفو حياته إلا أنه رأى أن ذريته قد يضيعون في هذه البلاد، فينغص ذلك عليه حياته، ويكدر صفوه، وذكر أن له ابنين: أحدهما ضابط في الجيش، والثاني تاجر له تجارة مستقلة.

أما هو فإنه يملك إلى جانب متجره هذا الواسع ذي التجارة الرائجة أرضاً زراعية كبيرة، أعطته الدولة إياها مجاناً كما قال؛ بشرط استصلاحها.

وذكر بهذه المناسبة أن الأراضي الزراعية الخصبة كثيرة، وتحتاج إلى من يستغلها بأيسر النفقات، ولكن عامة الأهالي لا يعملون في هذه الأمور، وليست لهم القدرة المالية والفكرية لذلك، أما ذوو الأصول الأجنبية، فإنهم يعملون في التجارة والوظائف المريحة.

مغادرة باراماريبو:

ودعنا هذا الأخ العربي المسلم متأثرين من تمسكه بإسلامه

رغم بعد الدار، وقلة الأنصار، وودعنا بعد ذلك فندق (إمباسادور) الذي جاملنا، أو لعل هذا فعله للجميع دون مجاملة بأن رضي أن ندفع أجرة الغرف بالعملة المحلية؛ دون أن يطلب منا إبراز شهادة الصرف الرسمية من البنك، فقد صرف لنا أحد الإخوة الدولار بضعف قيمته في البنك، وقيل لنا: إن الناس هكذا يفعلون، لأن الحكومة لم تطلب منا في المطار أن نتقيد بشيء من ذلك، ولم تحص علينا نقودنا التي دخلنا بها.

وودعنا بذلك مدينة (باراماريبو) عاصمة سورينام التي إن قل فيها الجمال الظاهر في الناس، فإن السماحة في القلوب ربما لا تكون كذلك.

ولكننا لم نودع سورينام كلها حتى الآن، فقد بقيت لنا زيارات لبيوت من بيوت الله يعمرها إخواننا المسلمون، واخترنا منها ما كان يمر بالمطار الذي عرفنا أن المسافة إليه طويلة تبلغ ٤٦ كيلومتراً.

ورأينا من الطريق إلى المطار في النهار ما لم نره في الليل البهيم الذي قدمنا فيه.

فكان من الأشياء الصغيرة التي شدت انتباهنا أن الأخ الشيخ (محمد علي أحمد)، وكان يقود السيارة بنا، أوقف سيارته عند محطة لتزويدها بالوقود، فحياه العامل بتحية الإسلام، وقال لنا الأخ محمد أحمد: إن هذه المحطة يملكها أخ مسلم هندي آسيوي، والعامل هنا أخ مسلم أندونيسي.

أما ما رأيناه من الطريق في النهار مما لم نره في الليل فهو أنه على ضيقه الذي يجعله لا يتسع لأكثر من سيارتين متقابلتين فإنهم جعلوا

على جانبيه طريقين ضيقين معبدين لتسير فيهما الدراجات التي يكثر استعمالها هنا، وخصوصاً من الزراعيين، وذلك من اجل تفادي الازدحام على هذا الطريق الذي يكاد يضيق بالسيارات، وهو على ضيقه أيضاً فإنه عامر بالسيارات لأن هذا المطار المتجه من المدينة إلى المطار تتفرع منه طرق أخرى تتجه إلى قرى وأماكن ريفية متعددة.

وجميع الفواصل بين الطرق فيه هي من الحشائش النابتة، إذ ليس فيه أرصفة، ولا يستطيع المرء أن يعرف لون التربة إن أراد، لأنه لا يرى من وجه الأرض شيئاً عارياً عن الخضرة إلا إذا حفر لتوه.

وتوجد بيوت خشبية على الطريق مرفوعة عن وجه الأرض بأخشاب قوية فتبدو كأنها معلقة لأن ما تحتها يكون خالياً، وقد فعلوه تفادياً للرطوبة، كما هي الحال في أكثر البيوت التي تقام في المناطق الاستوائية المطيرة، وهي من طابق واحد، وذات سقوف مسنمة.

وذلك لأن الأمطار كثيفة جداً، وقد رأينا شاهداً على ذلك في أشجار النارجيل النضرة وأشجار العمبة (المانجو) الفخمة على هيئة مجموعات كبيرة للاستغلال والاستثمار لأنهم يعتمدون على استغلال الحقول أكثر من استغلال الأشجار، كما يزرعون (الكسافا) بكثرة، وهو شبيه بالبطاطس، له عروق تنبت في الأرض غليظة خشنة، وهو طعام استوائي رخيص يعتمد عليه الفقراء في إفريقية الاستوائية خاصة لرخصه، وكثرة إنتاجه، إلا أن فيه عيباً، وهو أنه مؤلف من النشا الخالص، فإذا اقتصر الإنسان على أكله دون أن يضيف إليه مادة زلالية (بروتينية) كاللحم واللبن فإنه يصاب بسوء التغذية.

مسجد نمرة:

سمي على اسم (مسجد نمرة) الشهير في عرفات، وما أجمل هذا الاسم، وما أحسن وقعه في الآذان والأذهان، وخصوصاً في هذه البلدان.

وكما رفع اسمه ارتفع رسمه، فهو مبني على طريق المطار الذي يراه الذاهبون والآيبون من المسافرين والمواطنين، فيعرفون بذلك أن الإسلام موجود؛ لا سيما أنه رفيع المنار ظاهر الشعار، ذو أربع منارات جيدة، وقبة خضراء ملايوية، وهي لا تبعد كثيراً عن شكل القبة العربية، فهي بينها وبين القبة المغولية، والمراد من ذلك كله طراز البناء، وليس الانتماء، وفوق القبة الخضراء شاهد يحمل شعار المسلمين المعروف على وجه الأرض، وهو الهلال الذي تتوسطه نجمة.

والمسجد إلى جمال مظهره، فإنه فسيح الفناء، متسع الأرجاء، إذا قيس بالمساجد الأخرى التي رأيناها داخل المدينة، وقد زينوا واجهته بالحروف العربية الجميلة ذات المعاني الجليلة، من ذلك الشهادتان، و(حي على الصلاة)، و(حي على الفلاح) بالحروف العربية، أما اسمه (مسجد نمرة)، فقد كتبوه بالحروف اللاتينية.

وكنا نأمل قبل ذلك أن نستطيع أن نجتمع بالمسلمين الذين يسكنون حوله، والذين يرتادونه للعبادة، ولكن الوقت لم يسعفنا بذلك، فاكتفينا بإلقاء نظرة على ما حوله، فرأينا امرأة مسلمة أندونيسية تبيع خضراوات على الطريق، فكلمها الإخوة المرافقون بالجاوية، وقالوا بهذه المناسبة: إن هذا المسجد الواسع بناه الأندونوسيون، أما بضاعة الأخت المسلمة، فإنها نوع من القرع غريب، و(لوبيا) أغرب؛ يبلغ طول القرن، وهو الواحد منه ذراعاً، على حين أن

اللوبياء في بلادنا لا يزيد طول القرن على شبر، وبرتقال أخضر، وهو النوع الاستوائي المعتاد الذي عرفته في المناطق الاستوائية في كل القارات، وهو أقل جودة من ذي اللون الأصفر، والبرتقالي - إن صح التعبير - الذي ينمو في البلدان المعتدلة؛ مثل لبنان، ويباع في بلادنا، فهذا الاستوائي يكون أخضر، وإن كان ناضجاً ولا يصفر، كما أن قشره صعب النزع، لذلك يبيعه بعض الباعة وقد قشروه بالسكاكين ليكون أسهل لآكليه، ونوع من اليوسفي المسمى في مصر (يوسف أفندي)، واسمه في كثير من دول المغرب (ماندرين)، وهو كبير الحجم غير لذيذ الطعم، ومثله نوع من الفاكهة الحامضة المسماة (قريب فروت) كبير جداً.

وبينما كنا نقف عند الأخت المسلمة، ونتأمل بضاعتها جاء زوجها فرحاً، فسلم يحيينا، وأهدى لنا من بضاعة زوجته من (الماندرين) لأنه أسهل تقشيراً.

وقالوا: إن مزارع المسلمين خلف المسجد في هذه المنطقة، وإن حالتهم جيدة، وكثير منهم يعملون في الزراعة ملاكاً ومستغلين، وليسوا أجراء، وذلك لأن أكثرهم ليست لديهم الشهادات العلمية العليا التي تمكنهم من العمل في الوظائف الكبيرة.

وانطلقنا بعد (مسجد نمرة) مع الطريق نفسه وسط غابات كثيفة، لا نرى ما وراءها بخلاف ما كان قرب المدينة؛ حيث نرى البساتين، أو لنقل: الأراضي المزروعة؛ لأن المنطقة كلها بستان واحد من غابات ومزارع.

وأخبرونا أن كثيراً من سكان الغابات الكثيفة والريف الندي هم من السود، وأنهم يغرسون الموز، ويزرعون الكاسافا، ويأكلون

من فواكه الأشجار التي لا تحتاج إلى عناية، أو رعاية مثل النارجيل، والعمبة (المانجو).

وعند مدخل المطار كان هناك ضابط ينظر في جوازات المسافرين، ويرى انطباق الصورة التي فيها على حاملها، وكذلك على التذاكر، ويكتب الجميع لديه في قوائم، وهذا يدل على أن حركة السفر عندهم ليست كثيفة، وإلا لما كان بإمكانهم أن يفعلوا ذلك مع الركاب، وذكر الإخوة المرافقون أن هذا الضابط هو من الشرطة العسكرية؛ لأن البلاد تخضع الآن للحكم العسكري، أما بقية الإجراءات فكانت سهلة ميسرة.

وعندما وقفنا عند ضابط الجوازات، وهو أسود اللون، سمح الوجه، لطيف اللقاء، مثل أكثر السود في هذه البلاد، قال وهو ينظر في صورتي باللباس العربي الموجودة في الجواز: إن لباسكم الوطني جميل جداً، فرددت له المجاملة بقول: إنني أرجو أن نراك في بلادنا.

ووجدنا قاعة المغادرة صغيرة، فبحثنا فيها عن الحوانيت التي تكون في مثيلاتها في العادة تبيع شيئاً من منتوجات البلاد الخفيفة التي يحملها السائح معه عند السفر للذكرى، فلم نجد فيها إلا محلاً صغيراً كان مغلقاً، ربما لأن الوقت وقت الغداء عندهم، ولكون صاحب الحانوت، أو صاحبته لم يتوقع قيام طائرة في هذا الوقت. إلا أنه قبيل قيام الطائرة فتح فأسرعت أنظر ما فيه، وقد أقبل المسافرون على الشراء منه، فوجدته لا يحتوي إلا على خمر وعطر، يشتري منه الناس لكونه بدون ضرائب.

ودخلت حمامات المطار، فوجدتها تحتاج إلى إصلاح مما يدل على أن الإدارة عندهم ليست على ما يرام، وهذا شيء عرفناه قبل ذلك،

وذكرتني به حالة المراحيض.

ومن سماحتهم، وسهولة طباعهم، أننا بعد أن دخلنا قاعة المغادرة، وودعنا الإخوة الذين كانوا معنا، حضر أحد الدعاة، ولم يكن معهم، فأراد توديعنا، فمسحوا له بدخول قاعة المغادرة لتوديعنا، ثم عاد أدراجه في سماحة ويسر.

وفي الساعة الواحدة والنصف ظهراً كنا نغادر (سورينام) على طائرة تابعة لخطوط غيانا من طراز بوينج ٧٢٧ قديمة المقاعد إلى درجة الاتساخ في بعض الأغطية، وهي خالية من الدرجة الأولى، بل كلها سياحية، والمضيفات بيض، مع أن البيض في غيانا لا يوجد منهم من يستحق الذكر، ولكنهم أرادوا مجاملة الركاب البيض الذين يسافرون في طائراتهم.

وقامت الطائرة من مطار (باراماريبو) قاصدة (جورج تاون) عاصمة غيانا في زيارة لنا لهذه العاصمة مرة ثانية.

وعندما ارتفعت أبصرنا (سورينام) نهاراً، ولم أكن استطعت أن أراها في القدوم؛ لأننا كنا قد قدمنا إليها ليلاً، فرأيتها من الطائرة، وخاصة بعد ارتفاعها، غابة كثيفة واحدة، وفيها نهر يتلوى يخيل إليك أنه يرويها، مع أنها هي التي ترويه؛ لأنها لا تشرب من مياهه، وإنما تتسرب إليه مياهها، وعندما بلغت الطائرة نهاية ارتفاعها بدت الأرض تحتها سوداء، فقلت في نفسي: إنها بتسمية أرض السواد أجدر من أرض العراق التي سماها قومنا أرض السواد؛ لأنهم كانوا قد قدموا إليها من صحراء الجزيرة العربية.

وقد أعلن مكبر الطائرة أن المسافة ما بين (باراماريبو) و(جورج

تاون) هي ٣٥ دقيقة.

وبهذا انتهى الكتاب، والله أعلم بالصواب.

* * * * * *

* * * *

* *

*

المحتويات

الفصل الثاني